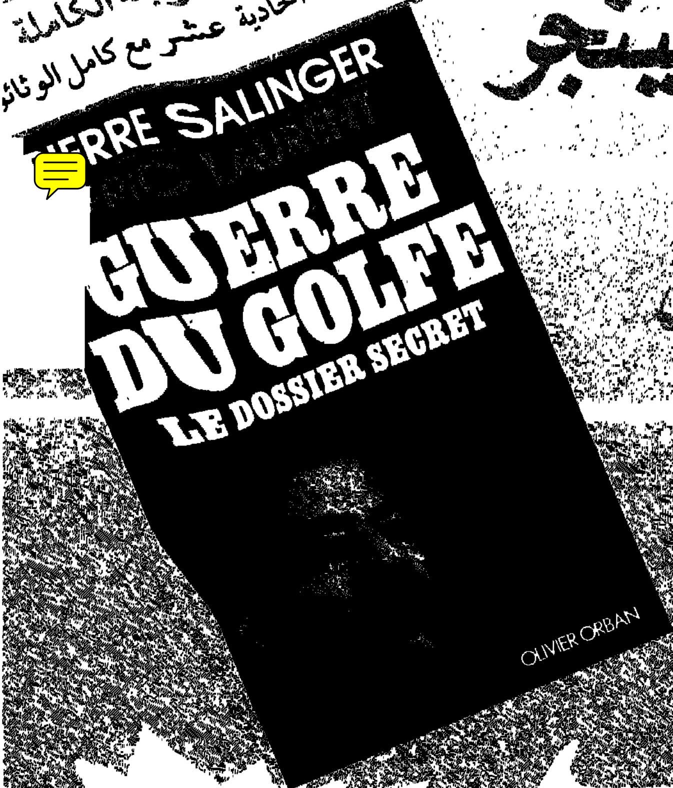
الترجمة الكاملة

الطبعة الحادية عشر مع كامل الوثائق

بيار سالينجر

اريك لوران



الكتاب الذي باع مليون نسخة في فرنسا

حرب الخليج

الملف السري

حرب الخليج

الملف السرى

بيار سالينجر
أريك لوران

شركة المطبوعات

للتوزيع والنشر

بناية الوهاد - شارع جان - دارك
ص.ب. ٨٣٧٥
بيروت - لبنان

هاتف : ٣٤٤٢٣٦ - ٣٤٥٤٦٠ / ٢ - ٣٥٠٧٢١
فاكس: ٥٢٢١٠٧ - ٩ - ٣٥٧ / ٦٠٢٠٢٩ - ٩٦١١
تلكس: ٢٢٦٦١

الطبعة الحادية عشر

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الفصل الأول
المعطيات الأولى

وضعت الحرب الايرانية ـ العراقية أوزارها في الثامن من آب عام ١٩٨٨دون أن يكون بإمكان أحد التنبؤ بأن هذا التاريخ سوف يشكل أيضاً بداية لأزمة الخليج.

لقد كان الرأي السائد يعتبر العراق وكأنه خرج منتصراً من صراع عسكري أدى إلى ما يقارب المليون قتيل على امتداد سنوات الحرب الثمانية. وما كان يؤكد هذا الاعتقاد أن طهران هي التي أخذت المبادرة في عرض وقف إطلاق النار.

في الحقيقة، لقد أنهت بغداد الحرب وهي تتمتع بالقوة وتعاني في الوقت نفسه من مفاعيل الإستنزاف. فآلتها العسكرية كانت تثير الدهشة: ٥٥ فرقة مقابل١٠ فرق عام ١٩٨٠، مليون جندي مدرب تدريباً جيداً وعلى أتم الاستعداد للقتال، ٥٠٠ طائرة، ٥٥٠٠ دبابة (أكثر مما تملكه الولايات المتحدة الأميركية والمانيا الاتحادية مجتمعتين). أما الوضع المالي فكان كارثياً بدوره. ففي بداية الحرب كان العراق يملك ٣٠ ملياراً احتياطياً من الدولارات. ولم تكد سنوات الحرب الثمانية تمضي حتى تجاوزت ديون العراق ١٠٠ مليار دولار. ولهذا السبب، لم يترك صدام حسين مناسبة واحدة إلا واغتنمها ليقوم بابلاغ جميع الزائرين الأجانب الذين كان يستقبلهم في صالونات قصره الرئاسي الفخم في وسط بغداد أنه لعب دور «الدرع الواقي للاخوة العرب في مواجهة الخطر الفارسي» وإنه يتوقع من «الأثرياء بينهم وعلى الأخص المملكة العربية السعودية

والإمارات العربية المتحدة والكويت العون والمساعدة في تسديد كامل ديوننا».

في التاسع من آب عام ١٩٨٨ ، غداة وقف إطلاق النار بين العراق وإيران، أخذت الكويت قراراً بزيادة انتاجها النفطي، مخالفة بذلك الاتفاقات المعقودة في اطار منظمة الأوبيك. وقد تم التركيز الكويتي في تحقيق هذه الزيادة الإنتاجية على آبار الرميلة الواقعة في المنطقة الحدودية المتنازع عليها مع العراق والتي كانت موضوعاً في السابق لمناقشات دبلوماسية صاخبة.

لقد اعتبر صدام حسين مبادرة الكويت في زيادة انتاجها النفطي استفزازية وخيانية. وهي أدت إلى انخفاض أسعار النفط العالمي وإلى خسارة العراق الذي يعتمد في ٩٠٪ من وارداته على النفط لحوالي٧ مليارات دولار سنوياً أي ما يوازي فوائد الديون السنوية التي ينبغي عليه دفعها.

لقد أصبح العراق مهدداً بالاختناق الفعلي اذن.

من ناحية أخرى، لا يمكن تصور بلدين هما على طرفي نقيض كالعراق والكويت. ففي العراق تتركز السلطات في شخص حاكم مطلق التصرف يعيش هَوَسْ أحلام السلطة والقوة. وفي مواجهة العراق، البلد المتقشف الذي يعد ١٨ مليوناً من البشر يعانون مختلف أشكال الحرمان، تتربع إمارة الكويت على الثروة والوفرة حيث يتقاسم ما يوازي الألف من أفراد أسرة آل الصباح الحاكمة المناصب المختلفة إضافة إلى السلطة والأرباح وكأنهم أعضاء مجلس الإدارة في أي شركة من الشركات المزدهرة. أما الاستثمارات الكويتية في الخارج فتتجاوز ١٠٠ مليار دولار

وتؤمن للامارة حوالي ٦ مليارات دولار سنوياً أي أكثر من عائدات البترول ذاتها. ويستفيد من هذه الأرباح السنوية الضخمة في الدرجة الأولى ٧٠٠ ألف شخص من الذين يملكون الهوية الكويتية في حين لا يتلقى مليون و٢٠٠ ألف مهاجر من الفلسطينيين والفيليبيين والباكستانيين والمصريين وهم الذين يجعلون اقتصاد البلد يعمل سوى فتات الوليمة.

ان وفرة المال تؤدي في الغالب الى الإدعاء وفقدان البصيرة. ولأنهم لم يحسنوا تجنب الوقوع في أسر هاتين النتيجتين السلبيتين، مهد حكام الكويت الطريق أمام مأساة لم يعوا بالتأكيد مؤشراتها الأولية فأصبحت معالمها واضحة وغدت جاهزة لنقل المآسي والحروب الى المنطقة.

في ١٢ شباط عام١٩٩٠، ذكرى مولد الرئيس ابراهام لينكولن، وصل جون كيلي عند الظهر الى بغداد. وهو رجل متوسط القامة، يقترب من الخمسين، أسمر البشرة، تتميز حركاته بالهدوء والرزانة.

وبالنسبة لهذا الدبلوماسي المحترف الذي اقتصرت مهامه الخارجية حتى ذلك الوقت على احتلال مركز سفير الولايات المتحدة الاميركية في لبنان، فان هذه الزيارة هي الاولى له للعراق بصفة سكرتير الدولة المساعد لشؤون الشرق الأوسط.

كان الطقس بارداً، وسفيرة الولايات المتحدة في العراق، ابريل غلاسبي، تنتظره على سلم الطائرة بصحبة اثنين من الرسميين العراقيين. ان ابريل غلاسبي، ذات الوجه الناعم، والدقيق الملامح، والتي يوحي مظهرها الخارجي بالجدية، تتكلم العربية بطلاقة وهي انخرطت في السلك الدبلوماسي بعد حيازتها دبلوم جامعة جون هوبكنز، وتنقلت بين العديد من المناصب وعلى الأخص في تونس ودمشق قبل أن تتولى إدارة

الشؤون الاردنية والسورية واللبنانية في وزارة الخارجية الأميركية. لقد كانت تعيش وحيدة في بغداد برفقة والدتها وكلبها ولم تكن حتى مجيء كيلي قد أجرت أي لقاء مباشر مع صدام حسين.

لقد اتخذت التقارير الموضوعة من قبل الادارة الاميركية والمتعلقة بالزعيم العراقي عدة اتجاهات وتركزت حول ثلاثة محاور رئيسية: قدرته وإرادته في أن يصبح زعيم العالم العربي دون منازع، رغبته الشديدة في التماهي بجمال عبد الناصر وانبهاره بالهالة التي أحاطت بزعيم مصر السابق، تقاربه مع الغرب. وهذه النقطة الأخيرة كانت برأي كيلي وخبراء الادارة الأميركية هي الحاسمة والأكثر أهمية. ففي عام ١٩٨٠، عندما هاجمت الوحدات العراقية إيران، كان النظام العراقي يحتل موقع الصدارة بين حلفاء موسكو في المنطقة. كذلك الأمر عام ١٩٧٨، بعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد بين إسرائيل ومصر، احتلت بغداد مركز الصدارة أيضاً في جبهة الرفض. تلك الجبهة التي حاولت جاهدة عزل القاهرة ومعاقبتها بسبب تقاربها مع تل أبيب. وإضافة الى ذلك، لقد كان العراق يحمي على الدوام الارهابيين الفلسطينيين الأكثر شراسة ودموية وعلى الأخص تلك الجماعة التابعة لأبو نضال. واذا كان هذا الوضع السائد عند بداية الحرب مع ايران، فإن العراق الذي خرج من المعركة لم يكن في تاريخه الحديث اكثر قرباً من الغرب. فاقتصاده اصبح مرتبطاً بالبلدان الاوروبية اكثر من ارتباطه بالاتحاد السوفييتي، وترسانته العسكرية كانت تشمل معدات توزعت مصادر الحصول عليها بالتساوي بين البلدان الاوروبية، وعلى الاخص فرنسا، وموسكو. وقد ادت مختلف هذه الوقائع بالأميركيين الى اعتبار العراق عامل استقرار وقوة في المنطقة والى المراهنة عليه.

استقبل صدام حسين جون كيلي بعد ظهر الثاني عشر من شباط. وكانت المقابلة هي الأولى مع أحد الرسميين الاميركيين منذ زمن بعيد. وقد بادر المبعوث الاميركي مضيفه، خلال تبادل التحيات، الى القول: «انتم قوة اعتدال في المنطقة وتتمنى الولايات المتحدة إقامة أوثق العلاقات مع العراق».

لقد سرّ صدام حسين بهذا الاطراء وغمره شعور بالفخر، حسب التعابير التي استخدمها في رده على كيلي، وقام بعد ساعات من المقابلة بنقل ما دار فيها الى عدد من زعماء الدول العربية وكان أول من اتصل به هاتفياً هو الملك الاردني حسين.

وبأقواله هذه، أنجز جون كيلي صياغة الرسالة الأولى بين سلسلة طويلة من الرسائل المبهمة والمتناقضة والتي سوف تكون نتائجها شديدة الوطأة والتأثير.

ولم تكد تمضي ثلاثة أيام على المقابلة حتى بث «صوت اميركا» في برامجه الموجهة الى العالم العربي ليوم ١٥ شباط برنامجاً إذاعياً قال مقدمه انه يعكس وجهة نظر الحكومة الاميركية وتضمن دعوة الى الرأي العام للتحرك ضد الدكتاتوريات في العالم. واحتل صدام حسين موقعاً متميزاً في اللائحة وتم تقديمه على أنه الأسوأ بين الطغاة على وجه الأرض.

غضب رئيس النظام العراقي غضباً شديداً ولم تنفع معه رسائل الاعتذار التي قدمتها واشنطن بواسطة سفارتها في بغداد ولم يكن باستطاعته القبول بما قدّم له عن وجود اختلاف في وجهات النظر بين السلطات الرسمية وصوت اميركا الاذاعي. وقد بدا له هذا الحادث، بعد فترة وجيزة من إشادة جون كيلي و إطرائه به، بأنه الدليل القاطع على لعبة أميركية مزدوجة.

ومما رسّخ قناعته هذه، قيام وزارة الخارجية الاميركية ، يوم ٢١ شباط، بنشر تقرير عن حقوق الإنسان خصّت العراق بعدد من صفحاته تجاوز ١٢ صفحة وصفت فيها الحكومة العراقية بأنها الأكثر سوءاً في مجال خرق حقوق الانسان وأشارت الى ممارسة هذه الحكومة المتكررة للتعذيب والاعدامات السريعة دون محاكمة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد لأن لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأميركي أرادت، بعد صدور هذا التقرير، تبني قرار يدين «العراق لخرقه الفاضح لحقوق الانسان» مما دفع بادارة الرئيس بوش الى الاحتجاج على هذه الخطوة والحؤول دون تبنيها من قبل مجلس النواب .

ويمكن اعتبار مجمل هذه المداخلات المتناقضة والمتضاربة هي من مؤشرات الحيرة والتردد في الادارة الاميركية ، ذلك أن اهتمام الرئيس بوش وطاقته كلها، بالاضافة الى مساعديه وعلى الأخص وزير خارجيته جيمس بايكر، كانت مركزة على الحوار الاميركي السوفييتي وعلى التحولات الديمقراطية في اوروبا الشرقية .

وصل صدام حسين الى عمان في ٢٣ شباط عام ١٩٩٠ . وحتى اللحظة الأخيرة بقي مسار الرحلة سرياً وكذلك موعد الوصول . فخوفاً من محاولة لاغتياله كان الرئيس العراقي ينتقل بواسطة طائرة خاصة لا تثير الانتباه وتخلو من الاشارات الخاصة . اما الطائرة التي كان يستقلها خلال زياراته الرسمية السابقة فكانت قد حطت قبل ساعات وعلى متنها مساعديه وحرسه الخاص . وقد بدا الرئيس العراقي عنداستقبال العاهل الاردني له مهموماً ومتوتراً . فهو يأتي للمشاركة في احتفالات السنة الأولى على تأسيس مجلس التعاون العربي . واذا كان هذا المجلس يمثل الكثير

بالنسبة للملك حسين فإن صدام حسين لم يكن يعيره اهتماماً شديداً ولم يكن يثير عنده اهتماماً خاصاً. وكذلك الامر بالنسبة للرأي العام العربي وللعدد الضئيل من المراسلين الاجانب في عمان. الحدث كان عادياً اذن والتوقعات عادية فيما يتعلق بما سوف يدور في الكواليس.

وفي مواجهة الزعماء العرب الحاضرين، استخدم صدام حسين لهجة شديدة وتوقع ما سوف يتيحه ضعف موسكو خلال السنوات الخمس القادمة من حرية في الحركة لا مثيل لها في الشرق الأوسط للولايات المتحدة الأميركية. «اليست واشنطن هي نفسها التي تؤمن الهجرة اليهودية الى اسرائيل؟ اليست هي نفسها التي تسيّر سفنها ودورياتها في مياه الخليج بالرغم من انتهاء الحرب الايرانية العراقية؟»

اما العوامل الكامنة في السلوك الاميركي المتوقع فواضحة جداً بالنسبة لصدام حسين حيث قال في مداخلته التي نقلها التلفزيون الاردني «إن البلد الذي سوف يمارس نفوذاً حاسماً على الخليج وبتروله، سوف يعمل أيضاً على تأسيس تفوقه كقوة عظمى لعدم وجود قوة أخرى تنافسه. وهذا يؤكد أنه في حال عدم تنبّه شعوب الخليج والعالم العربي، سوف تتم ممارسة الحكم على هذه المنطقة حسب مشيئة الولايات المتحدة. وعلى سبيل المثال، سوف يتم تحديد سعر البترول بشكل يؤمن المصالح الاميركية الخاصة ويتجاهل مصالح الآخرين».

وهكذا تكون الرسالة التي نقلها صدام حسين الى نظرائه واضحة جداً: ان مصلحة العالم العربي هي في جعل العراق يهيمن على الخليج لا الولايات المتحدة الاميركية. ولقد أدت تلك التصريحات إلى إثارة غضب الرئيس حسني مبارك الحليف الرئيس للولايات المتحدة. فالقاهرة كانت

تتلقى سنوياً أكثر من ملياري دولار على شكل مساعدات من واشنطن.

أكثر من ذلك، لقد أوحى صدام حسين أيضاً بأنه ينبغي سحب أرصدة البترول من الغرب للضغط على السياسة الاميركية. «ليس هناك مكان، الى جانب العرب الأخيار والأبرار، للجبناء والمترددين والمتقاعسين الذين يدّعون ان قوة عظمى كالولايات المتحدة الاميركية هي العامل الحاسم وان الآخرين لا يملكون من خيارات سوى الخضوع لها».

خرج مبارك، الذي اعتبر هذه الكلمات هجوماً شخصياً عليه، من القاعة ولحق به الوفد المصري. وقال للملك حسين الذي بدت على محياه علائم القلق والذي كان قد تبعه بعد وقت قصير:

ـ لا يمكن السماح بكلام كهذا. سوف أعود الى مصر.

وفي محاولته تلطيف الأجواء، اقترح الملك حسين تنظيم لقاء مع الرئيس العراقي لازالة سوء التفاهم. فرفض مبارك أول الامر هذا الاقتراح بشدّة ثم عاد واقتنع بالحجج التي قدمها الملك الأردني. وهكذا اجتمع الثلاثة مساء ٢٤ في القصر الهاشمي حيث كان الملك حسين يقطن قبل مصرع زوجته الملكة عالية إثر حادث تحطم طائرة هليكوبتر. كان جو اللقاء متشنجاً شديد الوطأة. وبدل أن يحاول صدام حسين تهدئة الأمور أعلن مطالب محددة وتكلم بلهجة لا مجال للمسايرة فيها وأشار الى ٣٠ مليار دولار من الديون التي كانت العربية السعودية والكويت قد منحتها للعراق خلال الحرب مع ايران.

ـ في حال لم يلغوا تلك الديون وفي حال لم يعطوني ٣٠ مليار دولار إضافية سوف اتخذ التدابير الرادعة.

وفي قمة سخطه، وبعد أن تلاسن مع صدام، ختم مبارك الإجتماع بقوله «إن مطالبك ليست مبررة ولا معقولة وسوف تؤدي الى كارثة». ومع عودته السريعة الى القاهرة اضطر الملك حسين الى إلغاء اجتماعات اليوم الثاني لمجلس التعاون.

لقد أدت الصدمة التي أحدثها صدام حسين وضخامة ما يطالب به إلى إثارة القلق في العالم العربي وعلى الأخص بالنسبة للكويت والعربية السعودية حيث كان الخوف شديداً من استخدام بغداد لصواريخها وقيامها بهجوم مباغت يتبعه اجتياح شامل أو اللجوء الى أعمال ارهابية تستهدف أفراد الاسرتين الحاكمتين.

وفي الرياض، بادر المسؤولون السعوديون الى الإتصال بشعبة وكالة الاستخبارات المركزية فيها وأبلغوها تهديدات صدام حسين. وقامت هذه الشعبة، بدورها، بنقل المعلومات الى مركز القيادة العامة في لينغلي قرب واشنطن. ولكن لم يصدر أي رد فعل من السلطات السياسية الاميركية. وكانت النتيجة العملية الوحيدة هي قرار وكالة الاستخبارات المركزية بوضع العراق تحت الرقابة الدائمة وتكثيف عملية جمع المعلومات حوله. وقد واجهتها في تحركها هذا صعوبة الركون الى مصادر معلومات جديرة بالثقة. لأن السيطرة التامة على قنوات السلطة في بغداد كافة كانت معقودة بحزم لصدام حسين ولأفراد أسرته عن طريق البوليس السري الذي يتمتع بحضور كثيف وفعالية كبيرة.

إن وليام كايسي، المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية في عهد ريغان كان قد أشار في السابق بمرارة شديدة الى واقع لم يعرف التغيير ابداً: لا يتعامل مع الوكالة في العراق أي عميل يمكن أن يقدم معلومات هامة.

في الوقت نفسه، تداولت العواصم العربية الرئيسية تقريراً سرياً حول الوضع الاقتصادي العراقي قام بانجازه أحد رجال المال النافذين في الشرق الأوسط.

يبدأ التقرير بتحليل يستعيد الفترة بين ١٩٧٢ و ١٩٨٠ أي حتى بداية الحرب ضد إيران ويشير الى ارتفاع العائدات البترولية العراقية من مليار واحد الى ٢٥ مليار دولار. وبالرغم من ذلك، لا يخفي واضع التقرير تشاؤمه الشديد حيال مستقبل البلد ويقدم التحليل التالي الذي ينجح في دمج التخيل والتصور بالوقائع الملموسة: «ان بريق قوس القزح في السبعينات يتناقض مع الوقائع القائمة والباهتة للاقتصاد الحالي وعلى الأخص مدى الخراب واتساعه وشموله العراق بكامله بحيث يؤدي ذلك الى ضياع الآمال المرتجاة للأجيال القادمة. هل يمكن تجنب هذا الواقع المثير لمشاعر الأسف وتغييره؟ إن من واجبي البرهنة، بالرغم من الحزن الذي يتملكني، ان الاوضاع الحالية لا يمكن إلا وأن تزداد سوءاً».

وبعد أن يقدم التقرير هذه الصورة المأساوية يشدد على واقع تراكم الديون على العراق الى حد لم يعد باستطاعة بغداد تسديد فوائدها المستحقة. وبرأي واضع التقرير سوف تصل الأمور الى «سياسة نقدية متهورة وخطرة تضطر الى الاقتراض بفائدة تتعدى ٣٠٪ سنوياً»

ويلقي التقرير أيضاً الأضواء على ظاهرة مثيرة للدهشة: عام١٩٨٩ كان العراق المستفيد الأول من مساعدات «برنامج القروض الميسّرة الأميركي» الذي ينشط لبيع المنتجات الزراعية الاميركية في الخارج. أما الفقرة الأخيرة من التقرير فهي الأكثر أهمية لأنها تتوقع مآل الأمور بوضوح يثير الاعجاب: «ان صدام حسين يعرف دقائق وضعه النقدي. فما هي

الخيارات المطروحة أمام العراق وأمامه؟ إنها خيارات محدودة. والكويت موجودة دائماً على كيلومترات قليلة من تجمعات جيشه المتعطل عند شط العرب. إن العراق بحاجة الى منفذ على مياه الخليج المفتوحة».

هناك شخصية أخرى كانت تراقب تفكك الأسرة العربية بقلق متزايد ولا تنفك تعبر عنه في خطاباتها العلنية أو جلساتها المغلقة. إنها الملك حسين الذي أمضى ٣٧ عاماً في حكم يعي هشاشة وضعه ويمتلك في الوقت نفسه غريزة استثنائية للبقاء. وقد رصد أكثر من أي شخص آخر مؤشرات الكوارث المقبلة. وكان يعرف ان زلزالاً سياسياً جديداً يمكن أن يعرّض الاردن للخطر وان دولة كدولته تفتقر الى الموارد وتعد٣ ملايين نسمة بينهم أكثر من ٦٠٪ من الفلسطينيين يمكن أن تزول عن الخارطة.

«انني أشعر بوطأة مشابهة لتلك قبل حرب ١٩٦٧. وخلال ٤٠ عاماً من ممارستي للسلطة لم أجد المنطقة وصلت الى مفترق طرق أكثر خطورة مما يجري حالياً».

لقد كان الملك حسين يعبر عن نفسه بجدية مطلقة وبصوت لا يتهدج تحت تأثير الانفعال ويجلس بمواجهة زائريه وظهره الى حائط علقت عليه صورة للرئيس صدام حسين. وكان الرئيس العراقي يمثل بالنسبة له حليفاً مفترضاً ومصدراً للهم والمتاعب في آن. فهو حليف ليس بإمكان بلد ضعيف كالاردن إلا أخذ قوته بعين الاعتبار وهو أيضاً زعيم يمكن أن تؤدي طموحاته المعلنة الى الإخلال بالتوازن الدقيق الذي ما يزال قائماً.

بعد فشل لقاء عمان، يوم ٢٤ شباط، اقترح الملك الاردني على

الرئيس العراقي أن يقوم بنفسه بجولة تشمل دول الخليج في محاولة للتفتيش عن اتفاق بين الكويت والعربية السعودية والعراق .

ولم يمض يوم ٢٦ شباط حتى كان الملك حسين يقوم بجولة امتدت ثلاثة أيام وشملت مختلف عواصم المنطقة وأجرى خلالها محادثات مكثفة مع الزعماء الخليجيين ، ثم عاد الى عمان في الأول من آذار منهوك القوى . وعند صباح الثالث من آذار اتصل به صدام حسين :

ـ أنا أنتظرك في بغداد، سوف أرسل طائرة خاصة .

التقى الرجلان على مدى أربع ساعات قدم خلالها الملك حسين تقريراً مفصلاً عن جولته . وسرعان ما تبين ان المفاوضات وصلت الى الطريق المسدود، لأن الملك الهاشمي لم يتلق أي اشارة إيجابية من زعماء الخليج فيما يتعلق بأهداف صدام حسين الثلاثة: تسوية الخلافات الحدودية مع الكويت وبالأخص حقول الرميلة الغنية التي تقع في المنطقة المتنازع عليها . الموافقة على تأجيره جزيرتي وربا وبوبيان اللتين تؤمنان له منفذاً على الخليج . تسوية مشكلة الديون المتراكمة على العراق خلال الحرب مع ايران .

ولقد أبلغ الملك حسين للرئيس العراقي ان أمير دولة الكويت يرفض المفاوضات المباشرة ما دام العراق لم يعترف رسمياً بسيادة واستقلال الكويت . ومن الجدير ذكره هنا ان حكومة بغداد كانت قد اعترفت عام ١٩٦٣ باستقلال الكويت الا ان مجلس الثورة الغى هذا القرار فيما بعد .

لم يظهر الغضب على وجه صدام حسين الذي كان جالساً على كنبة واسعة ومريحة ، يشعل بين الحين والآخر سيجارة ، ويتابع باهتمام شديد

ما يقوله الملك الهاشمي، كما لو كان يتوقع وينتظر هذا الرفض.

وعند نهاية اللقاء شكّر صدام حسين زائره مطولاً على الجهد الذي بذله وأبلغه بأنه يأمل « أن تسود مع الوقت روح الوئام والارادة الطيبة في هذه القضية وأن تحل الحكمة المتوخاة».

ومما يدعو للاستغراب التعابير الهادئة التي استخدمها صدام والتي توحي بالرغبة في التفاهم والبعيدة كل البعد عن سلوكه المعتاد تجاه القادة العرب الآخرين والمتسم بردات الفعل العنيفة.

ومن الأمثلة على هذا النوع من ردات الفعل الاتصال الذي أجراه صدام حسين بالملك فهد في كانون الأول من العام ١٩٨٩ عندما حل به الغضب نتيجة تعثر المفاوضات مع الكويت وموقف العربية السعودية المحرض والممالىء للكويت.

لقد أجرى صدام حسين هذا الاتصال الهاتفي مع الملك فهد عند منتصف الليل في قصره وسط جدة، وجرى بينهما تلاسن حاد وصل لحدود الشتائم.

اما حسني مبارك الذي لم يكن يبذل الجهد الكافي لإخفاء نفوره من صدام حسين فقد عبر عن مشاعر غالبية الزعماء العرب عندما وصفه «بمضطرب الشخصية والعقل».

ولم يتطلب الأمر، بعد عودة الملك حسين من جولته، أكثر من ثلاثة أيام كي يتخذ الرئيس العراقي قراراً بدعوة قيادته العسكرية الى اجتماع سري طلب خلاله من المسؤولين العسكريين السرعة القصوى في إعداد خطة لحشد القوات على الحدود مع الكويت.

وبالرغم من ان تنفيذ الخطة لم يكن قد بدأ بعد، إلاّ أن درجة التوتر أخذت ترتفع بشدة. وقد أظهر الكويتيون خلال تلك الفترة وضوحاً في الرؤية سوف يفتقدونه على امتداد الأشهر التالية.

وبعد أسبوعين من اعطاء الأوامر بتجميع القوات في المنطقة الحدودية وصل مسؤول كويتي رفيع الى عمان. وبالرغم من ان أية فرقة عسكرية لم تكن قد تحركت بعد قيد انملة إلا ان هذا المسؤول صارح الاردنيين بالتالي: «لا يريد صدام حسين الجزيرتين اللتين يطالب بهما فقط واللتين تؤمنان له منفذاً على الخليج. انه يريد الكويت بكاملها».

الفصل الثاني
الدور الغربي

ظلت لندن لمرحلة تاريخية تعدت القرن الواحد من الزمان تعتبر الخليج أرضاً بريطانية خالصة تتيح لها امكانية مراقبة الممر البحري باتجاه الهند والشرق الأقصى. وقد تضافرت إرادة لندن الأكيدة في الحؤول دون سيطرة قوى أخرى على المنطقة مع المهارة التكتيكية لدبلوماسيتها في زرع بذور أزمة الخليج الحالية.

وحتى الحرب العالمية الأولى، شكل العراق والكويت جزءاً من الامبراطورية العثمانية. وفي الحقيقة، كانت الكويت بمساحتها الضئيلة البالغة ١٨٠٠٠ كلم٢ تابعة لولاية البصرة. ولم تكد الإشاعات تتوسع في أوروبا حول الحرب القادمة عام ١٩١٣ حتى كانت بريطانية قد وقعت مع الأتراك اتفاقاً يجعل الكويت ولاية مستقلة. وفي خضم الحرب، عندما كان الأتراك يحاربون الى جانب الألمان، اعترفت بريطانيا بحدود الكويت وباستقلال الإمارةالكويتية التام عن الامبراطورية العثمانية.

ان خط التقسيم الذي اتبعته بريطانيا والذي سمح لها بحليف ومرتكز استراتيجي في المنطقة رُفض بشدة من قبل بلد كالعراق وجد نفسه محروماً من أي منفذ على الخليج، كما وجد نفسه وقد انتزعت منه منطقة لم تكن، برأيه، تمتلك مقومات الوجود المستقل.

وقد كان للعراق، الواقع تحت الانتداب البريطاني منذ ١٩١٨، أسباباً أخرى تغذي شعور العداء لديه تجاه بريطانيا. ففي عام ١٩٢٥ وقعت حكومة بغداد معاهدة مع الكونسورتيوم النفطي الضخم أي شركة

البترول العراقية نصت بنودها الرئيسية على استمرار هوية الشركة بريطانية وعلى ضرورة ان يكون رئيسها بريطانياً أيضاً وعلى استمرار الامتياز حتى سنة ٢٠٠٠. وهكذا أصبحت الشركة المعروفة بـ IPC حرة في استغلال أكبر حقول للنفط في العالم على هواها ودون أية قيود وفي تحقيق أرباح خيالية. من ناحية أخرى، في هذه المنطقة من العالم حيث الحدود بين الدول غير واضحة المعالم، كان الكيان العراقي بدوره، كياناً مصطنعاً على غرار الكويت، قد تم تأسيسه بفضل اتفاقات سايكس بيكو التي وزعت ما تبقى من جثة الامبراطورية العثمانية على فرنسا وبريطانيا. وهكذا تشكل العراق من ثلاثة مناطق تركية قديمة هي بغداد، الموصل، والبصرة.

وتعبِّر الفكرة التالية أفضل تعبير عن هذا الواقع: «العراق حصيلة نوبة جنون أصابت تشرشل الذي أراد الجمع بين حقلين للنفط لا يوجد بينهما أي قاسم مشترك: كزكوك والموصل. ولهذا السبب تم جمع ثلاثة من الشعوب التي لا يجمعها جامع: الأكراد، السنة، الشيعة.»

وعلى الأرجح، وبسبب ولادته من رحم بناء هش وغير مستقر، يسيطر العنف على العراق الحديث ويخترقه في مواقع متعددة. ففي عام ١٩٥٨، نجح الانقلاب على الملكية المؤيدة للغرب وقتل الملك وسُفح دم رئيس وزرائه نوري السعيد على يد الجماهير الغاضبة. ولم يستمر رئيس الدولة الجديد الجنرال قاسم عاماً واحداً في الحكم حتى تعرض لمحاولة اغتيال قام بها مجموعة من الفدائيين ضمت بين عناصرها شاباً يبلغ الثانية والعشرين من العمر ويعرف باسم صدام حسين الذي تمكن، بالرغم من الجراح التي اصيب بها، من الفرار الى جارة العراق، سوريا.

وعام١٩٦٣ رفعت الجماهير الغاضبة رأس الجنرال قاسم على وتد وطافت به الشوارع. وعام ١٩٦٨ وصل حزب البعث الى السلطة. إنه انتصار صدام حسين الذي اعتبر رجل النظام القوي وإن كان لم يحصل سوى على منصب نائب رئيس مجلس الثورة.

وفي ممارسته السلطة سيطر صدام حسين على مختلف دوائر الأمن بواسطة ثلاثة من أخوته غير الأشقاء: برزان، سبوي، وثبان. أما قريبه الآخر، حسين كمال المجيد فقد كان المسؤول المباشر عن المذابح التي لحقت بالأكراد وعن استخدام الاسلحة الكيمائية ضد السكان المدنيين. كما يعتبر هذا الرجل مفتاح كل مشتريات الدولة من السلاح فيقتطع من كل عملية عمولة معينة. وعام ١٩٨٧ ارتفعت عمولته من شراء ١٢٠ صاروخ سكود صيني الى ٦٠ مليون دولار.

ان هذه المجموعة الصغيرة على رأس السلطة كانت متحدة بصلات الدم أو بالأحرى دم الآخرين. إن عدي، الابن البكر لصدام، ضرب حتى الموت، بحضور مدعويه، حارساً من حراس أبيه مما جعل صدام يهدد بقتل ابنه. وهذا ما دفع زوجته ساجدة الى الطلب من أخيها وزير الدفاع التوسط مع صدام لمصلحة ابنها عدي. وسوف يعفو صدام عن ابنه وانما لن يغفر ابداً لوزير دفاعه، فأوعز بقتله وجرى تمويه الواقعة على انها حادث طوافة عادي.

ان العنف هو سلاح صدام الأول والأخير، فعندما وصل الى سدة الرئاسة عام ١٩٧٩ احتفل بالمناسبة عن طريق إعدام ٢١ من أفراد مجلس وزرائه. ومن بينهم أحد أقرب المقربين اليه وقد رثاه بالجملة التالية: «بعد أن كان قريباً جداً مني ابتعد أكثر من اللازم».

ولم تكد تمضي سنة على هذا الحادث حتى دعى وزراءه ومساعديه الى اجتماع في سجن بغداد المركزي وجعلهم يشهدون إعدام العديد من السجناء السياسيين. وقد أراد من هذا التصرف جعلهم يتذوقون نكهة ما يتعرض له من يعارضه أو يخرج عن طاعته. وفيما بعد، أشار صدام نفسه الى هذه الواقعة بقوله «الأكثر إخلاصاً هم الذين أصبحوا مذنبين».

لم يكن صدام عسكرياً محترفاً بل كان يقف موقف الانبهار والحذر تجاه جيشه الذي يفضله قوياً ومطيعاً. وهو يحب ارتداء زيّ الجنرالات ويحتفظ بعقدة نقص تجاه كبار الضباط الذين يعتبرونه، في غالبيتهم، طارئاً عليهم وغريباً عنهم.

وتحت تأثير هذه العقدة، كان يعمد الى تطهير صفوف القادة بكثافة. وأثناء الحرب الايرانية ـ العراقية، وبمواجهة الشائعات التي انتشرت حول إعدام العديد من العسكريين ذوي الرتب العالية قال صدام حسين في مجال رده عليها: «هذا ليس صحيحاً لقد أعدمت إثنين فقط من قادة الفرق ورئيس الوحدة الميكانيكية. وهذا الأمر طبيعي جداً أثناء الحرب».

ومع ذلك، حاول أحد الضباط معارضة الخطط الهجومية التي وضعها صدام أثناء اجتماع للقيادة العامة. لقد أصغى صدام للإنتقادات ثم سحب مسدسه فجأة، ودون سابق إنذار أطلق رصاصة باتجاه هذا الضابط كانت كافية لقتله.

وفي عام ١٩٨٨، بعد وقف المعارك بقليل، وضع المئات من الضباط في السجون وتمّ إعدام العديد منهم فيما بعد. في عداد الذين اختفوا الى الأبد بطل من أبطال الحرب هو الجنرال ماهر عبد الرشيد والد

زوجة أحد أبناء صدام.

من ناحية أخرى، صدر تقرير عن حقوق الإنسان عام ١٩٩٠ يؤكد واضعوه أن «العراق أصبح تحت مظلة حزب البعث أمة من المخبرين».

وهذا التعريف حزين وصحيح في الوقت نفسه لأن ٢٥٪ من سكان العراق يعملون لحساب أجهزة الأمن المختلفة وقد تم تنظيم معظمهم وتدريبهم بواسطة خبراء البوليس السري الالماني الشرقي LA STASI.

وفي حياته الخاصة، يطلب صدام حسين على الدوام، وبشكل دوري، ان يعرضوا عليه فيلمه السينمائي المفضل... العراب. كما يرتاح الى مقارنة نفسه بملك بابل نبوخذ نصر الذي حكمها بين ٦٠٥ و٥٦٢ قبل الميلاد. ويبدو ان سبب إعجابه بواحد من أجداده السياسيين هو احتلاله للقدس وتهديمه الهيكل وأسرِه الشعب اليهودي. وكل ذلك لايمانه المطلق بالقوة وبفعاليتها.

ان نابليون كان قد أسرّ مرة «إنني استوحي، لوضع خطط معاركي، أحلام جنودي في سباتهم». أما صدام حسين فيبدو أنه يضع خططه العسكرية ويحقق طموحاته ومشاريعه وأحلامه بفضل ترحيب الديمقراطيات الغربية وتواطئها. فعام ١٩٨٤ انفق العراق ١٤ مليار دولار على شراء الأسلحة أي ما يوازي نصف انتاجه الوطني الخام. وبين ١٩٨٢ و ١٩٨٥، استوزد هذا البلد بما يعادل ٤٢,٨ مليار دولار من الأسلحة. ولم تنخفض مشترياته بفعل وقف إطلاق النار مع ايران. إن بغداد كانت على امتداد السنوات القليلة الماضية أكبر مستورد للعتاد الحربي في العالم واحتكرت لنفسها ما يقارب ١٠٪ من الاسلحة التي بيعت على وجه الأرض.

ان حليف موسكو هذا، الذي وقّع معها معاهدة صداقة وتعاون عام ١٩٧٢ أخذ يتحول شيئاً فشيئاً وسنة بعد سنة الى البلدان الغربية القادرة لوحدها على تلبية حاجاته الأساسية. هل كان يرمي الى تأسيس صناعة نووية؟ لقد أمده الفرنسيون أواسط السبعينات بالمفاعل الذي كان يطالب به وغضوا الطرف عن مخاطر انتشار وتصنيع البلوتونيوم. إن صدام حسين يبدي رغبة شديدة، لا يحاول إخفاءها، في الحصول على السلاح النووي. وقد تحطم حلمه هذا، لفترة مؤقتة، عندما قصفت الطائرات الاسرائيلية عام ١٩٨١ المفاعل النووي العراقي ودمرته.

في موازاة ذلك، يملك صدام حسين ترسانة ضخمة من الاسلحة الكيميائية التي استخدمها لكسر موجات الهجوم العسكري الإيراني ولإخضاع القرى الكردية المتمردة. هنا أيضاً كان للمساعدة الغربية الدور الحاسم. لقد استطعنا إحصاء ٢٠٨ من الشركات التي ساهمت، بدرجات متفاوتة، في البرامج الحربية العراقية وعلى الأخص فيما يتعلق بتأسيس الصناعة الكيماوية. وتتألف اللائحة على الوجه التالي:

٨٦ منشأة المانية غربية، ١٨ شركة أميركية، ١٨ شركة بريطانية، ١٦ شركة فرنسية، ١٢ إيطالية، ١١ سويسرية، ١٧ نمساوية، ٨ بلجيكية، ٤ إسبانية، ويتوزع الباقي بين الارجنتين (٣)، اليابان (١)، البرازيل (١)، مصر (١)، السويد (١)، هولندا (١)، بولندا (١)، الهند (١)، موناكو (٢)، جرسي (١). وبالرغم من النفي المتكرر للولايات المتحدة في مجال تزويد العراق بالأسلحة فإن العديد من الشركات الاميركية الخاصة تبيع العتاد العسكري وتنقله الى بغداد عبر شركات أخرى تتستر بها أو تلجأ الى الشركات الوسيطة.

ان العملية التي كشف النقاب عنها في مطار هيثرو اللندني يوم ٢٨ آذار ١٩٩٠ أظهرت اتساع التبادل ومداه. فعند هذا التاريخ وضعت الجمارك البريطانية يدها على قطع كهربائية لأغراض عسكرية تدخل في تركيب الصاعق الخاص بالقنبلة النووية. وقد تطلبت هذه المصادرة ١٨ شهراً من التحقيقات المشتركة للأجهزة الأمنية البريطانية والجمارك الاميركية. وقد تم صنع تلك القطع في شركة أميركية تقع ضمن ولاية كاليفورنيا وبالتحديد في سان دييغو.

بدأت العملية عندما اتصل وسطاء يعملون لحساب العراق بهذه الشركة فسارع مدراؤها الى إبلاغ أجهزة الجمارك الاميركية التي جعلت رجالها يشاركون جماعة الشركة المكلفة بالمفاوضات. وسارت الإجراءات بشكل طبيعي جداً حتى تم نقل القطع المطلوبة الى لندن بواسطة طائرة شحن تابعة لشركة TWA حيث بقيت لمدة أسبوعين في عنبر التخزين التابع لمنطقة مطار هيثرو الحرة. وعند نقل البضائع الى طائرة عراقية تدخلت الجمارك وأوقفت عملية النقل وألقت القبض على خمسة أشخاص: إثنين عراقيين، واحد لبناني، إثنين بريطانيين.

أما في الجهة الأخرى، عند سان دييغو، فقد أدت متابعة خيوط الشبكة الى القبض على عدد من البريطانيين العاملين في فروع شركات بريطانية في أميركا.

لقد ساهمت القطع المصادرة في إحراج السلطات إحراجاً كبيراً. وعلى الأخص بوجود تقارير كانت تشير قبل سنة أو سنتين الى الجهد الذي تبذله بغداد لصنع القنبلة النووية. إن مصادرة هذه المواد جعلت القلق الذي يساور الخبراء مبرراً ومفهوماً: أليست اللحظة التي يصبح

العراق عندها قادراً على امتلاك السلاح النووي هي أقرب بكثير مما يتصوره البعض؟

وسرعان ما برزت ردة فعل صدام عندما أشار في أحد خطبه الى «القوى المعادية للعرب التي تحاول وقف مسيرة العراق نحو التقدم» وقد كان لردة الفعل هذه ما يبررها لأن موقف العراق، بعد كشف العملية، كان دقيقاً وحساساً.

وفي أيلول من العام ١٩٨٩ هزّ انفجار ضخم المجمع العسكري للإسكندرية الواقعة جنوبي بغداد حيث يتم تصنيع السلاح الكيميائي. وبالرغم من التغطية التامة التي فرضها النظام فإن صور الاقمار الصناعية التجسسية وما أدلى به بعض الشهود العيان أظهرت ضخامة الكارثة: أكثر من ٧٠٠ قتيل ومئات المصابين بعاهات دائمة. وفي شباط ١٩٩٠ حاول أحد الصحافيين التابعين لمجلة الاوبزرفر البريطانية التحقيق في تلك المأساة. وكان اسمه بهزاد بازوفت، من اصل ايراني ويحمل الجنسية البريطانية. ولم يكد هذا الصحافي يبدأ بجمع المعلومات حتى ألقت المخابرات العراقية الرهيبة، التي يديرها سَبَوَيْ الأخ غير الشقيق لصدام، القبض عليه. وبعد ان اتهم بالتجسس لحساب اسرائيل عرض على شاشة التلفاز حيث أدلى باعترافات بدا انها فرضت عليه وانتزعت منه بالقوة. ولقد أدى حكم الاعدام الذي صدر بحقه الى إثارة المشاعر في اوروبا والولايات المتحدة إضافة الى بعض المسؤولين العرب.

وبعد أيام قليلة من صدور الحكم اغتنم وزير الخارجية الاردني مروان القاسم فرصة تواجده في تونس للإتصال بطارق عزيز وزير خارجية العراق المشارك بدوره في اجتماع وزراء الخارجية العرب. حيث

قال القاسم الى عزيز أثناء مقابلة جرت بينهما على هامش الاجتماعات «إنه لمن الخطأ القادح ان تقدم الحكومة العراقية على إعدام بازوفت. لأن الصحافة سوف تستغل القضية وسوف تصبح الصورة التي يكونها الغرب عن العراق سلبية تماماً».

ومما أثار دهشة مروان القاسم، الذي يعرف طارق عزيز منذ زمن بعيد معرفة وثيقة، هو ردة فعل الوزير العراقي الغاضبة والقاطعة والحاسمة «يجب إعدامه وإلاّ سوف يكون في العراق الاسبوع القادم أكثر من ١٠٠٠ جاسوس».

أعدم بازوفت شنقاً في١٥ آذار وقد أثارت موجة السخط العارمة شعوراً بالاضطراب عند صدام، فهو لا يستطيع أن يفهم حدة انتقادات البلدان الغربية التي طالما أظهرت رحابة صدر تجاهه.

وهكذا تضافرت قضية بازوفت ومصادرة القطع في مطار هيثرو وردود الفعل الاميركية المتشنجة على ترسيخ الاعتقاد عند صدام بوجود حملة عالمية معادية ومنسقة.

وبشخصيته الانفعالية والذكية، وبادعائه وافتخاره وشعور العظمة لديه، أخذ صدام ينظر الى العراق ويعتبره قلعة حصينة قادرة على تحدي العالم بأجمعه. وهو العالم نفسه الذي جعل صدام قوياً ومنيعاً.

الفصل الثالث

التردد والحيرة

في ٢ نيسان، ألقى صدام حسين أمام قيادات جيشه خطاباً تم نقله، بكامله، على موجات الإذاعة العاملة. وقد كان حاسر الرأس، يرتدي زياً كاكياً تزينه شارات رتبة الجنرالية.

لم يستغرق خطابه أكثر من ساعة، إلا أن بعض الجمل التي وردت فيه أصابت بالذهول العالم بأسره. فبعد ان شرح ما توصل اليه العلماء والباحثون العراقيون في مجال انتاج الأسلحة الكيمائية اضاف: «بعون الله، اذا حاولت اسرائيل اي شيء ضد العراق سوف نعمل على جعل النار تلتهم نصفها... اما الذين يهددوننا بالقنبلة النووية فسوف نقضي عليهم بواسطة السلاح الكيميائي».

وصلت مقتطفات من الخطاب الذي ألقاه صدام الى مكتب جون كيلي في اليوم نفسه. فقام سكرتير الدولة المساعد لشؤون الشرق الأوسط بقراءتها اكثر من مرة. وفي كل مرة كان يتملكه شعور بالذهول لقساوة لهجة الخطاب وعنفها.

إن الرجل نفسه الذي وجه للرئيس العراقي منذ شهرين أقوالاً مفعمة بالودّ والاعتدال، انتقل في الحال الى مكتب دنيس روس الواقع في أحد الطوابق العليا من بناء وزارة الخارجية. وكان روس يحتل منصب مدير مكتب التخطيط السياسي ومن أقرب المساعدين لوزير الخارجية جيمس بايكر.

.لقد رأى كيلي وجوب القيام بردة فعل سريعة ومحددة تعبر عن رفض

الولايات المتحدة السماح بتهديدات من هذا النوع. وكان جون كيلي، فيما يتعلق بالشؤون العراقية، يلعب في بعض الاحيان دور دكتور جيكل ويتحول الى مستر هايد في أحيان أخرى وذلك حسب تتابع طبيعة المواقف التي يتخذها: مواقف مهادنة أم مواقف صلبة. وبعد ان عملا سريعاً على خطة أولية للعقوبات، انتقل روس وكيلي الى مكتب جيمس بايكر الواقع في الطبقة السابعة. ولم يكونوا بحاجة للانتظار، في غرفة الاستقبال القائمة، اكثر من لحظات قليلة حتى كان بيكر يستمع لحججهما ومبرراتهما بانتباه كلي: «ينبغي إرسال اشارة واضحة وتنفيذ عدد من العقوبات الاقتصادية».

وافق بيكر، المضطرب بدوره من عدوانية صدام حسين، على مبدأ العقوبة وعلى الاقتراحات المقدمة اليه، وهي ثلاثة بالتحديد: رفض منح القروض الميسّرة لبنك العراق للتصدير والاستيراد، إلغاء برنامج القروض المسهّلة المتعلق بعدد من الاجراءات التي تسمح بتمويل مشتريات بغداد من القمح الأميركي، تبنّي وتنفيذ قرارات تمنع استيراد السلع التي يمكن استخدامها عسكرياً من قبل نظام صدام حسين.

وفي حين كان الخبراء يعملون على الصياغة النهائية للخطة، بدأ جورج بوش بالتعبير عن مشاعره تجاه تهديدات صدام حسين. ولقد فعل ذلك أول الأمر وهو على متن طائرة البوينغ الرئاسية التي كانت تنقله من أتلنتا الى انديانا بوليس.

لقد استخدم بوش في تصريحه كلمات عامة مبهمة عكست تردده وحيرته وبيّنت ان الملف العراقي ليس بين اولوياته: «إنني اعتبر تلك التصريحات سيئة جداً واطلب من العراق بإلحاح وحزم ان يصرف النظر

عن استخدام الاسلحة الكيميائية. وأظن أن هذا الاستخدام لا يساعد الشرق الاوسط ولا مصالح العراق الأمنية واقول اكثر من ذلك انه يؤدي الى نتائج معاكسة، واقترح صرف النظر عن كل ما قيل في استخدام الاسلحة الكيمائية أو البيولوجية».

في ٩ نيسان، اجتمع دنيس روس وجون كيلي في مكتب جيمس بايكر ولحق بهما روبير كيميت سكرتير الدولة المساعد للشؤون السياسية والذي يعتبر في عداد الحلقة الضيقة من مساعدي الوزير.

كان بيكر قد حصل على موافقة بوش المسبقة. وبعد أن تم استعراض الخطة بالتفصيل من جديد، أُقرت بشكلها النهائي ووقع الاختيار على كيميت للقيام بمهمة التفاوض مع مختلف الوزارات والوكالات المعنية بتطبيق المشروع. وبالرغم من الحزم والارادة الصلبة التي طبعت الاجتماع بطابعها فإن خطة العقوبات ما لبثت أن تبخرت وبقي المشروع حبراً على ورق. أما السبب في هذا الفشل فقد نتج عن المقاومة التي تبديها البيروقراطية الفيدرالية الاميركية وعن غياب المتابعة السياسية الدقيقة.

لقد بادرت وزارة التجارة أولاً الى إبداء تحفظات عديدة تجاه وقف مشروع القروض الممنوحة لبنك التصدير والاستيرادلأنه في الدرجة الأولى يلحق الأذى برجال الاعمال الاميركيين. كذلك الأمر، أبدى مسؤولو وزارة التجارة رفضاً قاطعاً لإلغاء برنامج القروض الميّسر لأنه يضر بمصالح منتجي الحبوب الاميركيين.

أما مجلس الأمن القومي التابع للبيت الأبيض والمكلف بمتابعة مسائل السياسة الخارجية فأكد دعمه لمبدأ العقوبات ولكنه رفض السرعة في تطبيقه ودعا الى التأني.

ان روبير غايت الرجل الثاني في المجلس والمساعد السابق لمدير وكالة الاستخبارات الاميركية دافع عن وجهة نظر تدور حول الرد المتدرج او المتصاعد.

وقد رأس روبير كيميت فيما بعد اجتماعاً عقد في إحدى غرف اجتماعات البيت الأبيض في حضور المسؤولين المساعدين للوكالات الحكومية الرئيسية. ولم يكن الإجتماع الشكلي الذي ساد الإجتماع ليخدع أحداً فقد جرى تشريح الخطة وتقسيمها وتفكيكها الى درجة فقدت معها انسجامها وتكاملها. اما الرجل الوحيد القادر على مواجهة تلك المواقف الحذرة والمترددة وعلى فرض وجهة نظره فهو جيمس بايكر، ولكنه كان منشغل الذهن ومستنفد الوقت في مشروع توحيد ألمانيا وفي الرحلات العديدة المقررة لمقابلة نظيره السوفياتي أدوارد شيفارنادزه، والتحضير سوية للقمة التي ينبغي ان تعقد في مالطا خلال شهر أيار بين الرئيسين بوش وغورباتشيف. وبالتالي فقد أسرّ بيكر الى احد معاونيه: «ان اجهزة الرادار في واشنطن لم تتعرف بعد على اي صاروخ عراقي».

وهكذا، لم يتلق صدام حسين أي تحذير رسمي أميركي، وعلى العكس من ذلك تماماً، لقد تلقى عدداً من مبادرات التشجيع التي ساهمت في جعل الموقف الاميركي أكثر غموضاً وتشويشاً.

في ١٢ نيسان، أي بعد ستة أيام من الخطاب العنيف الذي ألقاه، وصل خمسة من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي في زيارة رسمية الى بغداد برئاسة ممثل كنساس والزعيم الحالي للأقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ السيناتور روبير دول. وهو نفسه الذي كان قد واجه جورج بوش في الانتخابات الأولية على طريق السباق الأخير من أجل الرئاسة.

لقد كان بمواجهة صدام حسين اذن رجل محاور يعتبره الرئيس العراقي فاعلاً، مؤثراً، هاماً، وعلى الأخص قريباً من مقام الرئاسة الأميركية ومن وجهات نظرها.

جرى الاجتماع في مدينة الموصل الواقعة شمالي البلاد قرب الحدود السورية. وقد حضر صدام وهو يرتدي بزة رمادية أنيقة وربطة عنق قاتمة اللون. وجلس وسط صالون صغير على كنبة مغطاة بالحرير الاخضر وأمامه طاولة زجاجية في حين توزعت المقاعد الباقية بشكل دائري حوله.

بدأ أحد أعضاء الوفد بقراءة نص مكتوب يؤكد مجيئهم «لاننا اذا كنا نؤمن بدور العراق الأساسي في الشرق الأوسط، فإن سعيكم الى الاسلحة الكيميائية والبيولوجية لا بد وان يعرض بلدكم لمخاطر جمّة بدل تأمين الحماية له. إن مبادرات كهذه تهدد ايضاً بلداناً أخرى وتثير الاضطرابات في الشرق الأوسط. ان تصريحاتكم الأخيرة التي تهدد باستخدام السلاح الكيميائي ضد اسرائيل، أحدثت صدمة قوية في العالم أجمع. ومن الأجدى بالنسبة لكم وللسلام في الشرق الأوسط ان تتراجعوا عن برامج ومشاريع شديدة الخطورة وعن تصريحات ومواقف مشبعة بالإستفزاز.»

كان صدام حسين يتابع القراءة ببرودة شديدة قاتلة دون ان يرف له جفن واحد. وعند الإنتهاء من النص هزّ رأسه والتفت الى دول الجالس على يمينه وقال بلهجة تخلو من العداء:

ـ أنا أعتقد بوجود حملة واسعة منسقة ضدنا بواسطة الولايات المتحدة الاميركية.

أجاب دول على الفور:

ـ على جميع الاحوال ليس جورج بوش مصدر هذه الحملة. لقد قال لنا البارحة إنه لا يؤيدها.

وأعاد دول الى الذاكرة موقف الولايات المتحدة الذي أدان اسرائيل عام ١٩٨٠ إثر الهجوم الجوي الذي شنته على المفاعل النووي العراقي. هنا قاطعه صدام حسين بالقول:

ـ لقد أدنتموها بالتأكيد، ولكني اطلعت على تقارير عديدة تفيد ان الولايات المتحدة كانت على معرفة مسبقة بالهجوم.

وتدخل السيناتور الجمهوري لولاية وايومنغ، آلان سمبسون بالقول:

ـ ان مشكلتكم ليست مع الحكومة او الشعب الأميركي وإنما مع صحافتنا المتعجرفة والمدعية والمتطلبة.

فأكمل روبير فكرة سمبسون وأشار الى البرنامج المعادي للعراق الذي بثته إذاعة صوت اميركا في شباط، وقدم اعتذاره وأبلغ صدام ان المسؤول عن البرنامج قد تمت معاقبته.

وختم دول حديثه بالقول «صرح لي الرئيس بوش منذ ١٢ ساعة فقط انه يبحث عن افضل العلاقات معكم وان حكومته تفتش عن امتن الروابط مع العراق. واستطيع التأكيد ان الرئيس بوش سوف يعارض فرض العقوبات ولو تطلب الأمر استخدام الفيتو في مواجهة قرارات كهذه، الا اذا حدث استفزاز معين».

عند هذه النقطة، تدخلت سفيرة أميركا أبريل غلاسبي، وكانت صامتة طوال المقابلة، فأجملت ما دار من أحاديث على الوجه التالي: «استطيع التأكيد، كسفيرة للولايات المتحدة، ان هذه هي، سيدي

الرئيس، السياسة الحقيقية للولايات المتحدة الاميركية».

يعكس جو الاعتدال والدعوة للحوار واللهجة الهادئة التي سادت اللقاء الضرورات الانتخابية ايضاً. لأن اعضاء الوفد الزائر كانوا يمثلون ولايات اميركية زراعية. فروبيرت دول يمثل ولاية كنساس التي تصدّر كميات كبيرة من القمح الى العراق. وعلى هذا الاساس تصدرت المصالح التجارية لائحة الاسباب الداعية للإعتدال الاميركي.

فالولايات المتحدة الاميركية تبيع بغداد ما يقارب المليار دولار سنوياً من القمح والدواجن والذرة. وقد تم تمويل غالبية المشتريات بواسطة قروض بلغت ٥ مليارات دولار بضمانة الدولة الاميركية.

ولن يكون بإمكاننا التعبير عن هذا الواقع بأفضل من الكلمات التالية التي استخدمها أحد ممثلي كنساس، ولخص بواسطتها حقيقة الوضع: «نحن نلبي حاجة العراق من الغذاء بأسعار مدعومة».

ولم يوجد في الادارة الاميركية شخص واحد يجرؤعلى تعكير مبادلات جيدة من هذا النوع. وعندما استقبل بوش، في البيت الأبيض، الوفد العائد من العراق أصغى بعناية شديدة الى آراء روبيرت دول المفعمة بالتفاؤل وسمع كلاماً عن صدام حسين يصفه «بنموذج القائد الذي تستطيع الولايات المتحدة التأثير عليه وتوجيهه إذا أرادت ذلك».

لقد حضر اللقاء رئيس مجلس الأمن القومي الجنرال برنت سكوكروفت. وكان هذا العسكري الدقيق الملامح والطويل القامة قد تدرج في كواليس السلطة العليا منذ سنوات طويلة. فكانت بداية عمله في البيت الأبيض كمساعد لهنري كيسنجر.

وبسبب من طبعه الهادىء والاعتدال في تحليلاته، تبنى هذا العسكري المحترف وجهة نظر«دول» الداعية الى اعتبار العراق ورئيسه دعامتي توازن الشرق الأوسط الأساسيتين.

وسرعان ما استعاد جورج بوش اعتداله فوجه الى صدام حسين، بمناسبة حلول شهر رمضان في ٢٥ نيسان، رسالة صداقة يبدي فيها الأمل «بأن تساهم الروابط بين الولايات المتحدة والعراق في سلام الشرق الاوسط وتعزيز استقراره».

اما جون كيلي نفسه الذي رفع لواء الحزم في ٢ نيسان، عاد بعد وقت قصير وغيّر لهجته وافكاره خلال شهادة ادلى بها امام لجنة الشؤون التابعة للكونغرس: «ما تزال الادارة الاميركية ترفض العقوبات لأنها تؤذي المصدّرين الاميركيين وتزيد العجز التجاري. ولا أرى كيف يمكن لإجراءات كهذه ان تسمح بتهدئة العراق».

تعبر الأقوال التي ادلى بها جون كيلي اذن عن الموقف الرسمي للادارة الاميركية وهو التالي: «ليس مطروحاً في الوقت الراهن اتخاذ تدابير اكثر حزماً تجاه العراق». وكان جيمس بايكر قد تبنى هذا الموقف قبل أيام متبعاً في ذلك نصيحة حسني مبارك الذي التقاه في موسكو، خلال زيارة الأخير لها، وقد تمحورت نصيحة مبارك، عند لقائهما ومناقشتهما التهديدات العراقية، حول ضرورة التهدئة كأفضل وسيلة لنزع فتيل الاستفزازات العراقية.

في بداية شهر أيار، وصلت الى واشنطن إشارتان تنذران بالخطر، ولم يكن أحد من المسؤولين الرسميين مستعداً من قبل لأخذهما بعين الاعتبار. تمثلت الاشارة الأولى في تقرير أرسلته وكالة الاستخبارات

المركزية الى البيت الأبيض تؤكد فيه حسب المعلومات التي بحوزتها «ان هجوماً عراقياً على الكويت أصبح وشيكاً ومحتملاً». وكانت دوائر البيت الأبيض قد تلقت في السابق إنذارات حول إمكانية الهجوم باتجاه اسرائيل وليس الكويت. ولهذا السبب أثار التقرير الجديد شعوراً عميقاً بالتشاؤم دون ان يؤدي ذلك الى تغيير في السياسة الرسمية.

وفي هذه الاثناء، وصل وفد من الخبراء العسكريين والسياسيين الإسرائيليين الى العاصمة الفيدرالية وفي جعبته تحليلات تتوقع الأسوأ: «إن ما يوحي به النظام العراقي من اعتداله وطابعه الاصلاحي هو من قبيل ذر الرماد في العيون. فبين شباط، والوقت الحاضر لم يتوقف صدام حسين عن اتخاذ المواقف المتصلبة: طلب رحيل السفن الاميركية من الخليج، دعا العرب الى استخدام سلاح النفط، لم يكتف بتهديد اسرائيل، حليفة الولايات المتحدة، بل أشار الى إمكانية استخدام الاسلحة الكيميائية. وبالنتيجة، لا يمكن إلا إعتبار تقوية الجيش العراقي وزيادة عديده وعتاده مؤشراً إضافياً على ارادة صدام حسين العدوانية».

لم ينجح الاسرائيليون في جعل الآخرين يشاطرونهم هواجسهم وقلقهم. أكثر من ذلك، حاول بعض المسؤولين الاميركيين تبرير المواقف العراقية، بالخوف من غارة اسرائيلية جديدة على مراكز تصنيع الأسلحة الكيميائية، وشدد البعض الآخر، في مجال التبرير ايضاً، على رغبة أكيدة عند صدام لتكريس زعامته العربية.

كان العمى وفقدان البصيرة يطبعان نظرة واشنطن إلى صدام حسين، على أنه شخصية ضيقة الأفق ومحدودة. فهو لا يتكلم أي لغة

أخرى غير العربية ولم يقم إلا بزيارة واحدة إلى الغرب عام ١٩٧٥ حيث أجرى مع رئيس الوزراء الفرنسي جاك شيراك مفاوضات لشراء مفاعل نووي. وإلى ذلك، هو يجهل كل شيء عن الولايات المتحدة الأميركية إلى حد أنه فوجىء، أثناء استقبال أحد الغربيين، بأن توجيه الانتقادات إلى الرئيس الأميركي غير محظور قانوناً على الدرجة نفسها من تعامل القانون العراقي، حيث يواجه الاعدام كل من يجرؤ على انتقاد الرئيس.

ولم تكن توجد شخصية واحدة في واشنطن تفهم بأن ضيق الأفق هذا هو مصدر الخطر، لأن صدام يجهل القواعد الدولية وحدودها ويمكن أن يطبق على الصعيد العالمي الاسلوب نفسه الذي يحكم بواسطته العراق. وفي هذا الإطار، كان لدى صدام حسين، على مدى سنوات عديدة مراقباً جيداً ومحترماً ممثلاً بشخص سفيره في واشنطن نزار حمدون، صاحب العلاقات المثيرة للاهتمام مع العديد من الرسميين الأميركيين. وقد وصفته جريدة وول ستريت جورنال قبل شهر من بداية الأزمة على أنه «أفضل الدبلوماسيين الأجانب في الولايات المتحدة على الاطلاق». ولم يكن باستطاعة نزار حمدون لعب دوره كاملاً لأنه استدعي عام ١٩٨٧ إلى بغداد ليشغل منصب نائب وزير الخارجية. أما خلفه في واشنطن فلم يكن على المستوى نفسه من الجدارة الشخصية والدبلوماسية.

هناك قناعة فرضت نفسها على صدام حسين وكان لها أبلغ الأثر في المستقبل، وقد توصل إليها بفعل الحوار الذي أجراه مع عدد من المسؤولين من أمثال جون كيلي وبفعل المواقف المتناقضة التي كانت تتخذها واشنطن. وهذه القناعة هي التالية: الإدارة الأميركية ضعيفة الإرادة، لا تعرف ما تريده، تميل إلى المهادنة وتتجنب المجابهة.

في أيار، حصلت حادثة رفعت التوتر السائد درجات إلى الأعلى: قتل أحد الإسرائيليين سبعة من الفلسطينيين العزّل. ولم تنجح إدانة الحكومة الإسرائيلية واستنكارها في الحؤول دون تجدد الاضطرابات ودون استعادة انتفاضة الأراضي المحتلة عنفها.

ولم يكن بوسع هذه المأساة أن تختار لحظة تاريخية دقيقة وحساسة أكثر من اللحظة التي وقعت فيها. لقد حصلت قبل أسبوع فقط من انعقاد مؤتمر القمة العربي في بغداد لإدانة الاستيطان اليهودي السوفييتي في إسرائيل.

أكثر من ذلك، لقد عارضت الولايات المتحدة الأميركية بشدة اقتراحاً قدمته منظمة التحرير الفلسطينية إلى الأمم المتحدة بضرورة إرسال مراقبين دوليين إلى الأراضي المحتلة. مما أجّج الشعور المعادي للولايات المتحدة في العالم العربي. وعرف الأردن مظاهرات دموية صاخبة.

في ٢٤ أيار، بدا الملك حسين أمام مدعويه، بمناسبة احتفال أقامه في حدائق قصره، منشغل الذهن والخاطر إلى درجة كبيرة. وهو كان يتنقل بين حلقات المدعوين ويشارك في الأحاديث الجارية ويوجه تعابير المجاملة.

كان الملك حسين يعمل جاهداً، دون أوهام كبيرة بالطبع، للحفاظ على حكمه بمنأى عن تقلبات المنطقة. ولم يكن لهذا الجهد الدؤوب أن يخدع أحداً. وهو نفسه عبّر عن شعوره العميق بالانخراط في الوضع العربي عندما قال أثناء انعقاد قمة بغداد: «سوف تكون مطالبتي بالمساعدة المالية للأردن ولمنظمة التحرير الفلسطينية مطالبة صاخبة» وكان صدام حسين قد أسّر له من قبل «سوف أجبرهم على الدفع لك».

التقى ٢١ رئيس دولة عربية صبيحة ٢٨ أيار في بغداد وهم يجهلون كل ما رُسِمَ وحيك وحُبِكَ من قبل. فبالنسبة لهم، لقد أتوا لإدانة تدفق اليهود السوفييت ولتقديم الدعم لصدام حسين الذي كان هدد بتدمير نصف إسرائيل.

لقد بدا الرئيس العراقي وكأنه بطل القمة. فمنذ جمال عبد الناصر، لم ينجح زعيم عربي في إثارة قلق إسرائيل كما فعل الرئيس العراقي.

منذ البداية، أخذ اللقاء ينحو منحى غير متوقع وغير منتظر. فعند اختتام جلسة الإفتتاح، فاجأ صدام الجميع عندما اقترح تحويل اللقاء إلى جلسة سرية.

حاول الملك فهد معارضة هذا الاقتراح إلا أن موقفه لم يلقَ تأييداً واسعاً. وهكذا تحقق لصدام ما يطلبه. إنه يريد الزعماء العرب بمفردهم دون مساعدين ولا مستشارين. وهو كان قد قال بصددهم: «ينبغي ألا يسمعوا ما سوف يقوله بعضنا للبعض الآخر».

حبس الزعماء العرب أنفسهم في قاعة مغلقة. وكان أول المتكلمين صدام حسين الذي لم يبدأ باتهام إسرائيل وأميركا كما كان الجميع يتوقع وإنما أخذ يهاجم دول الخليج بعنف شديد ويضرب الطاولة بقبضته:

- إنهم يستخرجون البترول بأكثر من اللازم لتخفيض أسعاره. وكل انخفاض يوازي دولار واحد من سعر البرميل، يجعل العراق يخسر مليار دولار في السنة. إنكم تخوضون حرباً اقتصادية حقيقية ضد العراق.

سيطر الذهول على الحاضرين جميعاً وكان الشيخ زايد، رئيس الإمارات العربية المتحدة أول المتكلمين المدافعين عن أنفسهم. وما كاد الشيخ زايد، الفارع الطول والمرتدي عباءة بيضاء موشاة بخيوط الذهب،

ينتهي من مداخلة أظهرت أنه لا يحسن الخطابة، حتى قال صدام:

- أشكر الإمارات العربية على مواقفها الإيجابية وعواطفها تجاهنا. وأنا أحذركم بأنني لم أنس الأسلحة والعتاد العسكري الذي شحن من دبي (إحدى إمارات الإتحاد) إلى إيران خلال الحرب. وذات يوم سوف يكون الحساب بيننا حساباً عسيراً.

كان مبارك يحاول تثبيت نظره على الطاولة أمامه وهو يغلي من الغضب ويبذل الجهد الكبير كي يمنعه من الانفجار. أما القذافي فبدا وكأن المشهد يسليه، في حين كان الملك فهد متجهماً تتنازعه مشاعر الغيظ والملل.

لقد كان الخطاب المرتجل الذي ألقاه صدام حسين مشوشاً، تداخلت فيه المطالب العدائية والاتهامات والروايات العربية المستخدمة بين حين وآخر والفخامة الكلامية وحركات اليد المتزايدة.

- أيها الاخوة، اسمحوا لي بأن أروي لكم اسطورة قد يعرفها البعض منكم. ذات يوم، حلت كارثة بقرية صغيرة فطُلِبَ من القرويين أن يساهم كل واحد منهم بقدر معين لتعويض الخسائر. وكان يعيش في هذه القرية رجل فقير اتفق السكان على ألا يطلبوا منه المساهمة. ولكن الرجل الفقير أبى ذلك وقال لهم إن الاهانة سوف تلحق به، وقدم لهم وعاء النحاس الذي يملكه. وهكذا أيها الاخوة، إن العراق في هذه القمة هو الرجل الفقير ولكننا لن نخل بواجباتنا. سوف نمنح الأردن ٥٠ مليون دولار ومنظمة التحرير ٢٥ مليوناً. ونحن نريد من وراء ذلك ممارسة الضغط الاخلاقي والمعنوي على كل من تسوّل له نفسه عدم المشاركة. وأنتم تعرفون التضحيات التي قدمناها منذ سنوات في حين لا يحترم الآخرون الاتفاقات المعقودة.

وهنا توجه صدام حسين بحديثه إلى جابر الصباح أمير الكويت الجالس على بعد أمتار منه، وكان النفور يطغى على شعور الواحد منهما تجاه الآخر:

ـ حسب اتفاقات الأوبيك، ينبغي ألا تتعدى حصة الكويت ١,٥ مليون برميل يومياً. ولكنها تستخرج ٢,١ مليون برميل، وهذا يحصل ضد مصلحتنا. إن العراق يريد العودة إلى وضعه الاقتصادي عام ١٩٨٠ قبل الحرب مع إيران. وفي الوقت الراهن نحن بحاجة ماسة إلى عشرة مليارات دولار بالإضافة إلى الغاء ٣٠ مليار دولار من الديون التي منحتنا إياها الكويت والإمارات العربية المتحدة والعربية السعودية أثناء الحرب. في الحقيقة أيها الاخوة العرب، أقول كل هذه الوقائع بوضوح وصراحة. إن العراق يعيش في الوقت الحاضر صراعاً...

ـ ... إن العدوان على شعب من الشعوب واستعباده لا يحصل فقط بالدبابات والمدفعية والسفن ويمكن أن يتخذ أشكالاً أكثر مكراً ودهاءً كإغراق السوق بالنفط والضغوطات الاقتصادية.

وعندما وصل صدام بكلامه إلى هذا الحد، ران الصمت فتدخل الملك حسين ليضيف:

ـ ينبغي ألا يحصل ما يضر العراق اقتصادياً.

بعد مداخلة صدام حسين أتى دور الذين وُضِعوا في قفص الاتهام، وعلى الأخص ملك السعودية وأمير الكويت، فتكلم الإثنان ولم يخرجا عن العموميات ولم يقدما اقتراحات محددة. ومما أثار فضول الزعماء العرب وانتباههم الهدوء الغريب الذي حلّ بالأمير جابر واللامبالاة التي أبداها.

وكان بإمكان المرء أن يلمس في موقف الوفد الكويتي ورئيسه شيئاً هو أقرب إلى الاحتقار تجاه المواقف والمطالب العراقية. ولعدد من المرات وصل إلى ثلاثة، منذ انتهاء حرب إيران والعراق، كان انتاج الأوبيك يزيد، في كل مرة، بضغط من المسؤولين الكويتيين الذين لم يتكبدوا، ولا مرة، عناء نفي هذا الواقع للمبعوثين العراقيين أو تعميته.

كان الكويتيون يرتاحون إلى وصف بلدهم «سويسرا الشرق الأوسط» ويحاولون قدر الإمكان تجاهل التعريف الذي يطلقه العراقيون على الكويت: «بئر من البترول جرى تحويله إلى دولة». وقد نسوا أيضاً الغزو الذي قام به صدام عام ١٩٧٣ واحتل اثناءه شمالي الإمارة قبل أن يخضع لضغوط العالم العربي ويضطر إلى الانسحاب.

أما المسؤولين العراقيين فكانوا يخوضون غمار السياسة، وفي ذهنهم خمسة آلاف سنة من التاريخ الماضي، ويعيشون أسرى صورة الامبراطورية البائدة ويحاولون بث الحياة فيها.

الكويتيون إدرايون حاذقون يعيشون الحاضر ويركزون اهتمامهم على إدارة استثماراتهم الضخمة في العالم، ويقيمون المراهنة على حدود لا يمكن تجاوزها برأيهم: لم يحصل في تاريخ الأمة العربية الحديث أن قامت دولة عربية باجتياح دولة أخرى. وهم، بالتأكيد، ليسوا على اطلاع بمعادلة تصلح للكويت وتحمل في طياتها حيثيات الحكم وطبيعية العقوبة «إن عالماً دون ذاكرة هو عالم دون مستقبل».

وهكذا بعد خطاب صدام حسين، كانت أحاديث الممرات والصالونات تذهب بالتوقعات في اتجاهات متضاربة. وإنما حقيقة واحدة فرضت نفسها على الجميع: رؤساء دول، وزراء، مستشارين

ودبلوماسيين. هذه الحقيقة هي أن العراق ورئيسه، يجتازان مصاعب جمّة. والقلّة ممن حضر مؤتمر القمة، وصل الى حدّ تصوّر الحل الوحيد المتاح أمام صدام حسين: **غزو الكويت واحتلالها.**

الفصل الرابع
«غلاسبي» تستمع

مضت الأسابيع الأولى بين ٣٠ أيار و ٢ آب في هدوء تام مما أثار الاستغراب ودفع الى التساؤل حول ما اذا كانت الحسابات او العواطف فقدت دفعها وقوتها .

ففي أواسط شهر حزيران ، قامت شخصية أوروبية بزيارة واشنطن وقدمت التقييم التالي للحالة العراقية : «لا أحد يعتبر هذه الدولة مصدراً للخطر والتهديد. فالكل ينظر إليها على أنها سوق هام للمنتجات الاميركية وأحد البلدان القلائل حيث ما زالت التكنولوجية الاميركية تتمتع بقدرة تنافسية تصل الى حد التفوق على التكنولوجيا اليابانية» .

في نهاية شهر حزيران ، قام رئيس الوزراء العراقي سعدون حمادي بجولة في بلدان الخليج. وكان هذا الاقتصادي من الطائفة الشيعية ، والذي يبلغ الستين من العمر، صاحب شخصية حساسة ، أنيقة ، ورعة. وهو من خريجي الجامعة الاميركية في بيروت. وقد تمت زيارته قبل شهر واحد من اجتماع هام للأوبيك ، وحاول خلالها إقناع مستقبليه بخفض حصصهم الانتاجية واحترام هذا الخفض، كي تزول العقبات في وجه ارتفاع اسعار النفط .

وعند وصوله الى الرياض في ٢٥ حزيران التمس من الملك فهد ، الوحيد القادر على تسهيل تطبيق هذه الاستراتيجية ، دعم المبادرة العراقية وتأييدها .

عام ١٩٣٠ ، اعترف مؤسس العربية السعودية ، إبن سعود ، «أنه

فقير الى درجة لا يملك معها حجراً يركن رأسه اليه». وحتى سنتين من نجاح إبن سعود في تأسيس المملكة وتوحيد القبائل البدوية حوله، لم يكن يملك مورداً غير رسوم الحج التي يدفعها الحجاج الراغبين في زيارة مكة. وقد مرت سنوات عدة، انخفض أثناءها هذا النوع من العائدات مما جعل المملكة تقترب من حافة الافلاس. وتحت وطأة هذا الوضع، كان ابن سعود يوجه نداءات يائسة الى الشركات النفطية، البريطانية في مجملها، يحثّها على استغلال بترول مملكته. ووصل به الامر الى مصارحة أحد رجال الأعمال البريطانيين بالقول: «انا مستعد لمنحهم كل الامتيازات التي يريدون مقابل مليون دولار».

وبالرغم من هزالة المبلغ، فإن دعواته بقيت دون صدى. ففي الحقيقة كان الفائض في سوق النفط قد جعل الشركات الكبرى تتفق فيما بينها على نقطة أساسية: ينبغي للبترول السعودي ان يبقى في جوف الصحراء. ولهذا السبب، لم تكن شبه الجزيرة العربية، بفضل كميات النفط الضخمة المنتجة في العراق، تتمتع بجاذبية تجارية أو سياسية.

ولم تكن تمضي خمسون سنة حتى انقلب التاريخ رأساً على عقب، فتحولت المملكة الى مارد بترولي قادر، بموارده المحدودة، على ضخ ٨ أو ١٠ مليون برميل يومياً الى سوق النفط العالمي. ولم تعد من امكانية لاتخاذ قرار استراتيجي في الأوبيك، دون السعوديين.

وفي مقابل هذا الوضع، كان الملك السعودي فهد، يتمتع بكل الصفات الممكنة ما عدا القدرة على اتخاذ القرارات السريعة المناسبة. وهكذا، شيئاً فشيئاً، تبلورت الصورة التالية: مملكةٌ من اصحاب المداخيل والريوع تم الحصول عليها بسهولة وسرعة قياسية تبلغ ثروتها

١٥٠ مليار دولار من العائدات، وسياسة سعودية اقليمية تتصف بالحذر والتردد في أحيان كثيرة.

وكان الملك فهد، كما افراد أسرته الحاكمة، يكره غطرسة الكويتيين الذين يجهدون لتقديم بلدهم على صورة حديثة وعصرية لا تمكن مقارنتها بالسعودية. ففيما كان السعوديون يعتبرون بلدهم مسجداً كبيراً ويوجهون انظارهم الى مكة، اتجه الكويتيون باهتمامهم الى الغرب.

ولو اقتصر الامر على شعور من القلق يساور الكويت العاصمة، لما حزن الملك فهد كثيراً، ولكنه يعرف أن تهديدات صدام حسين للكويت هي اشبه بضربات الجزار التي بإمكانها زعزعة كل الممالك البترولية في المنطقة.

استقبل الملك فهد المبعوث العراقي في قصر جدة وأصغى الى مطالبه بعناية وانتباه. وقد وافق الملك، ذو الوجه الدائري واللحية الصغيرة والنظرة المتْعَبة (كان يعاني كالغالبية من أفراد الاسرة الوهابية منذ ابن سعود من مرض وراثي في عينيه)، على المطلب العراقي الخاص بفائدة ارساء النظام بين البلدان المنتجة للنفط، ولكنه لم ير ضرورة الدعوة الى اجتماع سريع للأوبيك واشار بصوت ودود ولهجة محسوبة الى ان الاستعجال لا يفيد ويمكن لوزراء البترول طرح هذه القضية اثناء اجتماعهم الدوري المقرر بعد شهر، وحتى ذلك الحين، من الأفضل ترك الامور على حالتها.

لم يرق هذا الجواب للعراقيين فهم يفتقرون الى عامل الوقت الذي يمكن ان يمتد، اذا تُرك الأمر للملك فهد، الى ما لا نهاية.

من ناحية ثانية، أعاد سعدون حمادي الى ذاكرة الملك السعودي، كما

كان قد فعل عند الشيخ زايد، مطلب صدام حسين المتعلق بمنحه عشرة مليارات دولار فلم يحصلْ سوى على أجوبة غامضة ومائعة. وعندما وصل الى الكويت وأكد على هذا المطلب في حضور الشيخ جابر أجابه الأخير:

ـ هذا جنون مطبق. نحن لا نملك المبلغ جاهزاً.

وكان حمادي، أثناء نقاشاته كلها، يحمل بين يديه صفحتين مطبوعتين على الآلة الكاتبة تحويان تفصيلاتِ ما تملكه الكويت من رؤوس أموال وأسهم وأموال سائلة في العالمْ والتي تصل الى ١٠٠ مليار دولار. وعندما سمع الأمير جابر ملاحظات رئيس الوزراء العراقي حول هذه النقطة اقترح مساعدة، هي أشبه بالحَسَنة، تبلغ ٥٠٠ مليون دولار موزعة على ثلاثة أعوام ورسم الشرط التالي لمنحها: نتفق اولاً على تخطيط الحدود ثم نبحث القضايا الأخرى.

وما كاد سعدون حمادي يقفل راجعاً الى الكويت، حتى كان وزير البترول الكويتي يصرح بأن بلاده سوف تحافظ على حصص انتاجها الاضافية حتى تشرين الأول. ولقد اجتمع هذا القرار مع رفض السعودية تحديد اجتماع سريع للاوبيك في ترسيخ قناعة صدام حسين، كما أشار الى أحد معاونيه، بوجود «محاولات لاخضاع العراق وتركيعه».

في ١٦ تموز، وصل وزير الخارجية العراقي طارق عزيز الى تونس للمشاركة في اجتماع وزراء الخارجية العرب.

يبلغ طارق عزيز الستين من العمر وهو يعتبر، بشاربه الكثيف ونظاراته السميكة، من المسيحيين القلائل الذين تبوؤا مناصب عالية في جهاز القيادة العراقي. كما أنه يتمتع بقدرة فائقة على التعبير عن افكار

صدام حسين وارادته وعن المواقف المتصلبة، وكل ذلك بلباقة وبراعة وبحدة في بعض الأحيان. وقد مثّل طارق عزيز العراق في كل المفاوضات السابقة على الصعيد العالمي المتعلقة باعادة جدولة الديون العراقية والحصول على قروض جديدة للتسلح.

ولم تكن اجتماعات مجلس الجامعة العربية في غالب الأحيان سوى لقاءات شكلية يتوافق الجميع خلالها على عدم اظهار الخلافات العربية والحؤول دون انتقالها الى العلن. ولكن طارق عزيز، منذ وصوله الى تونس، بعث جواً من التوتر الضاغط.

«كنا نعرف، قال أحد الحاضرين الشهود، إن طارق عزيز كان، صلباً لا يعتمد المسايرة، عندما يتعلق الامر بمواقف بلاده، إلاّ أنه، في المقابل، جميل المعشر في حياته الخاصة منفتحاً على الغير ساعياً على الدوام لإقامة العلاقات الشخصية الحارة. ولكن طارق عزيز، هذه المرة، بقي منزوياً ومتعالياً وكأنه يريد التأكيد، منذ البداية، على الخلافات القائمة بين العراق وبعض بلدان الجامعة العربية». كذلك الأمر بالنسبة للوفد العراقي الذي بدا متمسكاً بأهداب البروتوكول مما جعل عدد لقاءاته مع باقي الوفود يصل الى الحد الأدنى.

وكان الأمر مفهوماً لأن صدام حسين، بتهديده إسرائيل، غدا بطلاً حقيقياً بالنسبة للجماهير العربية ورجلاً يتابع الجميع أحاديثه وخطبه. وهكذا، أصبحت كل كلمة ينطق بها طارق عزيز وكأنها صادرة عن الرئيس العراقي نفسه.

«نحن مقتنعون بمشاركة بعض الدول في المؤامرة ضدنا. وأنتم تعرفون بالتأكيد أن بلدنا لن يركع وأن نساءنا لن يصبحن عاهرات وأن أولادنا لن يحرموا من الغذاء».

وما ان انهى مداخلته حتى قدّم الى الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي قليبي إنذاراً مكتوباً، وأبلغه شفوياً أن الرئيس صدام سوف يضع النقاط على الحروف في اليوم التالي الموافق ١٧ تموز في بغداد. وبدا الشاذلي قليبي، الدبلوماسي التونسي والمثقف الخجول والرجل المعتدل، وكأنه فاقد النطق عند قراءته الورقة، فهي تتعلق باعلان حرب حقيقية على الكويت. ولم تعد الاعتراضات العراقية تدور، كما في السابق، حول الزيادة الانتاجية النفطية الاضافية. إن بغداد تتهم الكويت باقامة مراكز عسكرية داخل الاراضي العراقية وبوضع اليد على ٢,٤ مليار دولار من البترول المستخرج في حقل الرميلة العراقي. كما تتهم الورقة الكويت والإمارات العربية المتحدة بالمشاركة في «مؤامرة صنهيونية إمبريالية ضد الأمة العربية».

عند سماعه هذه التعابير بادر مروان القاسم وزير الخارجية الاردني الى القول: «انتم يا أخ طارق تنصبون فخاً، فحاولوا الا تقعوا فيه». سلّم الشاذلي قليبي نسخة عن هذا الإنذار الى كل وزير خارجية من الحاضرين. وعندما تفحص الشيخ صباح الجابر محتويات الورقة وتفاصيل الاتهامات امتقع لونه واصابه، حسب أحد الشهود، الجمود الشديد لأن الورقة تذكره بالاسم على أنه عميل اميركي، فألغى كل مواعيده وقفل عائداً.

كان رجال البورصة والبنوك العاملون في المراكز الآسيوية وهونغ كونغ وسنغافورة يتابعون منذ نهاية شهر أيار تحركات مريبة. فمكتب الاستثمار الكويتي، وهو هيئة تدير من لندن الاستثمارات الكويتية الضخمة في العالم، أجرى عمليات بيع غير مبررة في ظاهر الأمور. ولم تكد تمضي أيام عدة على ١٩ تموز حتى عمدت الهيئة الى تصفية استثماراتها الآسيوية

واستبدالها بالأموال السائلة. لقد تصرف الكويتيون بسرية مثيرة وسرعة واضحة كي لا تؤدي حركتهم الى أزمة في الأسواق المالية حيث تحتل الاستثمارات الكويتية مكانة بارزة.

في ١٧ تموز، ذكرى الثورة العراقية، ظهر صدام على المنصة محاطاً بأعضاء مجلس قيادة الثورة. وكان الكل يقف متأهباً ومرتدياً ثيابه العسكرية. وفي بغداد، حيث جرت العادة على أن تبدو وكأنها محاصرة كل مرة يظهر فيها الرئيس العراقي علانية، فإن التدابير الأمنية كانت، هذه المرة، استثنائية.

قال صدام في خطابه على موجات الاذاعة فيما بعد:

ـ بفضل أسلحتنا الجديدة، لن يستطيع الامبرياليون بعد الآن خوض معركة عسكرية معنا، وبديل ذلك أنهم يخوضون حرب استنزاف اقتصادي بمساعدة بعض عملاء الامبريالية من حكام الخليج. إن سياسة تخفيض أسعار النفط التي يطبقونها هي الخنجر المسموم في ظهر العراق.

ولأول مرة، أشار الى احتمال التدخل العسكري:

ـ اذا لم تنفع الكلمات في حمايتنا فلن يكون أمامنا سوى العمل على إعادة الأمور الى نصابها واستعادة حقوقنا.

في اليوم نفسه بدأت الفرق العسكرية العراقية بالتحرك باتجاه الحدود الكويتية. ويوم ١٨ تموز، اجتمعت الحكومة الكويتية. كان أعضاء الحكومة عصر هذا اليوم، وهم في طريقهم الى الاجتماع، يخرجون من سياراتهم الليموزين الاميركية متجهمي الوجه. فالتهديد العراقي أصبح

واقعة ملموسة تتخذ شكل قوافل دبابات من طراز (ت ٦٢) تتحرك باتجاه الكويت على بعد عشرات الكيلومترات.

وبالرغم من الخطر الشديد الذي يفرض نفسه، كان الجميع يرفض التصديق أن الأمور الى حافة اللارجوع.

كان الأمير جابر آخر الواصلين برفقة ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح. وهو يحضر هذا الاجتماع بعد مقابلة اجراها في الصباح مع الملك السعودي الذي اقترح القيام بدور الوساطة.

لقد تباحث الأمير ورئيس وزرائه، قبل بداية الاجتماع، وناقشا إمكانية الهجوم العسكري على الكويت، إلاّ أنهما اعتبرا كلاهما التحرك العراقي عملية عسكرية ضيقة سوف تقتصر على المنطقة الحدودية المتنازع عليها ولم يخطر ببالهما أن الكويت بكاملها هي الهدف.

بدأ الاجتماع بإعطاء الإذن بالكلام لوزير البترول السابق، وزير المالية الحالي، علي خليفة الصباح. وكان هذا الرجل، بأسلوبه وحركاته القريبة من رجال البنوك الغربيين، صاحب شخصية تتمتع بالإحترام ضمن أسرة رجال المال على الصعيد العالمي.

«أظن أن العراق يحاول انقاذ اقتصاده، وهو يلوم دول الخليج على فشل محاولاته وجهوده. ينبغي ألا تراودنا أوهام كثيرة. لن تتغير لهجة العراق، وسوف يستمر في سياسة دفع الأمور والمجابهة ولن يثنيه اجتماع الأوبيك في جنيف».

هزَّ العديد من الوزراء رؤوسهم علامة على الموافقة. ولكن ما اضافه علي خليفة الصباح كان أقل واقعية من كلامه السابق، لأنه اقترح

البحث عن حل المشكلة بواسطة مجلس التعاون والدفاع الخليجي الذي يضم بالإضافة الى الكويت الامارات العربية المتحدة، عمان، قطر، البحرين، المملكة العربية السعودية أي كل الممالك والامارات والدول التي تضعها بغداد في مرتبة الأعداء.

وبالنسبة للمداخلات الأخرى، فقد اتفق الوزير المسؤول عن البرلمان والوزير المسؤول عن شؤون مجلس الوزراء على الاشارة الى أن هدف التهديدات العراقية هو «ابتزاز المال الكويتي» وقد أضاف أحدهما: «يجدر بنا الحفاظ على رباطة الجأش والهدوء» اما وزير التخطيط، سليمان المطوع، فحاول التقليل من أهمية الإنذار العراقي وتأكيد سهولة مواجهته.

في الحقيقة، لا تعبر الآراء السابقة عما دار في الاجتماع من تبادل أحاديث. وهي كانت على جميع الأحوال إزاء الأقلية. فمن السهل ان يدلي وزير الدفاع على سبيل المثال بتصريح يرفض بواسطته الاتهامات العراقية ويشير الى بغداد على أنها هي التي تحشد قواتها على الحدود. ولكن فحوى القضية لم يعد هنا. ما هي حدود التهديد العراقي ومدى خطورته؟

إن الأمير هو الذي طرح هذا السؤال.

أجاب الشيخ صباح الأحمد الصباح وهو وزير الخارجية نفسه الذي كان قد أصابه الاضطراب أثناء اجتماع مجلس الجامعة العربية بفعل الانذار واتهامات طارق عزيز له: «توجد إمكانية فعلية لاعتداء عسكري عراقي. إن الوضع على الحدود متفجر. ولقد قمنا باتصالات عاجلة مع أشقائنا في مجلس التعاون الخليجي».

كانت الألسن كلها تردد تعبير «التفاوض» وتعتبره الحل الشافي قبل غرق السفينة ومن فيها. وانما نسي الجميع، وتناسوا، اللقاءات العديدة السابقة بين ممثلي الكويت والعراق والتي كرر المندوبون الكويتيون خلالها رفضهم الواضح والحاسم والمتكرر لمطالب العراق.

قال ولي العهد الشيخ سعد العبد الله الصباح :

«أظن أن التدابير العسكرية العراقية سوف تقف عند الحدود في منطقة الرتقة وأم قصر».

وبمقدار ما كان الوقت يمضي كان الشعور بالاطمئنان يعود ويتملك أعضاء الحكومة، فلم يعيروا آذاناً صاغية لمداخلة وزير العدل وهي أهم المداخلات التي قيلت أثناء الإجتماع: «ليس الإنذار العراقي سوى البداية. ويعلم الله الى أي حد يريدون دفع الأمور. إن مسألة أسعار النفط ليست سوى الحجة. في الحقيقة يتواجه العراق والكويت كما يتواجه الذئب مع الحمل».

انتقل النقاش بعد ذلك الى المسائل الاقتصادية فأصبحت المداخلات غامضة ومشوشة.

هل ندفع ١٠ مليارات دولار للعراق وهل نتخذ اجراءات لإلغاء الديون العراقية السابقة؟

وبالرغم من حراجة الوضع والسرعة المطلوبة، لم يتخذ مجلس الوزراء الكويتي أي قرار. واقتصر الأمر على تكليف الشيخ صباح الأحمد الصباح بالدعوة الى اجتماع لمجلس التعاون والدفاع الخليجي في العاصمة الكويتية كي يطلب بدوره تدخل مجلس الجامعة العربية. أما

الإجراءات العسكرية المضادة فلم تتم مناقشتها ولم تتخذ بشأنها تدابير معينة. هل كان حكام الكويت يعتقدون أنهم يملكون ورقة الدعم الاميركي الرابحة؟

يقول العراقيون بهذا الصدد إنهم وضعوا يدهم على وثيقة غامضة تعود الى ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٨٩ (لم يصدر نفي لوجودها من قبل الحكومة الكويتية في المنفى أو الحكومة الاميركية)تلقي الضوء الساطع على الأزمة الحالية.

تتعلق هذه الوثيقة (١) بتقرير وضعه مدير أمن الدولة الكويتي وقدمه الى وزير الداخلية. وتشير الفقرة الخامسة منه الى الآتي: «لقد اتفقنا مع الفريق الأميركي على أنه من الاهمية بمكان الاستفادة من تدهور الاوضاع الاقتصادية في العراق كي نمارس الضغوط على حكومة هذا البلد بهدف تأزيم الامور على الحدود المشتركة. ولقد أبلغتنا وكالة الاستخبارات الاميركية وجهة نظرها حول أفضل الوسائل والاساليب لاستمرار تلك الضغوط. إن مسؤولي الوكالة أكدوا لنا على أهمية تنسيق تلك النشاطات على المستويات العليا» ويشير مدير أمن الدولة أيضاً الى زيارة قام بها بين ١٢ و ١٨ تشرين الثاني حيث أجرى لقاءات بالغة السرية مع مسؤولي وكالة الاستخبارات الاميركية. وقد أبدى هؤلاء عدم رضاهم على جدارة الحرس الملكي الكويتي المكلف بحماية الأمير.

وبرأي مسؤولي الوكالة أيضاً أن الأمير تعرض لمحاولات اغتيال عديدة وأن الاستخبارات الاميركية تتخذ التدابير اللازمة لتدريب ١٢٣

(١) أنظر النص الكامل في الملحق.

من الاشخاص الذين تختارهم السلطات الكويتية كي يأخذوا على عاتقهم في المستقبل مهمة تأمين حماية الأمير وولي عهده.

هل ذهب الكويتيون بأبعد من اللازم في قناعتهم الراسخة بالدعم الاميركي؟

منذ ١٩٨٧، لم يساور حكام الكويت أدنى شك في دعم الولايات المتحدة، وعلى الأخص عندما رأوا الاعلام الاميركية ترفرف على السفن الكويتية لحمايتها إبان الحرب العراقية الايرانية.

في اليوم نفسه الذي تحركت فيه القوات العراقية، أعلن البرلمان العراقي قراره الذي اتخذه بالإجماع: تسمية صدام حسين رئيساً مدى الحياة. وفي ٢٤ تموز وصلت الى مركز القيادة العامة لوكالة الاستخبارات المركزية معلومات حول تحرك فرقتين عراقيتين من قاعدتهما واتخاذ مواقع لهما على الحدود الكويتية.

وصل مبارك يوم ٢٤ تموز الى بغداد في مهمة وساطة. ولم يكن اختيار حسني مبارك من قبل مجلس الجامعة العربية أفضل الخيارات نظراً لروابط الشك والحذر القائمة بين الرئيس المصري وصدام حسين. قال صدام لنظيره المصري:

«لن استخدم القوة العسكرية ما دامت المفاوضات بين الكويت والعراق قائمة. وإنما، يا أخ مبارك، ارجو عدم الكشف عن ذلك للكويتيين لئلا يزدادوا غطرسة وادعاء».

بعد هذا اللقاء، انتقل مبارك على الفور الى الكويت وأبلغ الأمير بتفاصيل ما قاله صدام. ولكنه اختار من التفاصيل ما يرغب بنقله.

لقد أبلغه على سبيل المثال «سمعت من صدام حسين شخصياً أنه لن يدفع بجيشه ولن يهاجم الكويت» في حين نسي، أو تناسى، ان يبلغه ما تبقى من الحديث أي «ما دامت المفاوضات بين العراق والكويت جارية». كذلك الأمر، نقل مبارك الرسالة المنقوصة نفسها الى واشنطن.

في ٢٥ تموز، قبل ساعة فقط من اعلامها باللقاء، استدعى صدام السفيرة الاميركية أبريل غلاسبي، مما حال بينها وبين الاتصال بواشنطن للتزود بتعليمات وزراة الخارجية الاميركية.

دخلت غلاسبي الى مكتب صدام وهي على درجة من التوتر، فهذه هي المرة الأولى التي تقابله خلالها وجهاً لوجه.

إن الحوار الذي جرى، وحصلت قناة التلفاز الأميركية اي بي سي (A.B.C.)على نصه يثير الدهشة ويبعث على الحيرة ويشكل وثيقة على قدر كبير من الأهمية وتحوي مجموعة من الرسائل، بينها غير المقصود، ينبغي العمل على فك رموزها و إشاراتها.

كان برفقة صدام وزير خارجيته طارق عزيز. وبعد ان استقبلها الرئيس العراقي بمودة واشار اليها بالجلوس بادرها بالقول:

ـ طلبت مجيئك كي نتحاور في العمق وهذا الحوار اعتبره رسالة موجهة للرئيس بوش.

بهذا القول، اعتبر صدام المقابلة على أنها لقاء على أعلى المستويات وبدأباستعراض تاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية والعراق.

«قبل شهرين من بداية الحرب مع ايران، اتخذنا القرار باعادة

العلاقات الديبلوماسية مع اميركا. وعندما بدأ الصراع العسكري، وكي لا يفسر هذا القرار تفسيراً مغرضاً رأينا تأجيل تنفيذه، وكنا نتوقع الاّ تطول الحرب».

«عندما استمرت الحرب ولم تنته بالسرعة المرجوّة، وجدنا أنه من المهم لبلدنا، كي نؤكد عدم انحيازه، اقامة العلاقات الديبلوماسية مع واشنطن دون انتظار نهايتها وهذا ما فعلناه عام ١٩٨٤. وكنا نتوقع من تلك العلاقات تفهماً اكبر وتعاوناً أوثق علّنا نفهم ما لم نكن نفهمه من مبررات تقف وراء قرارات اميركية عديدة».

«ولكن علاقاتنا مع الولايات المتحدة عانت الكثير من الاضطرابات. اخطرها عام ١٩٨٦ عندما انفجرت فضيحة ايران غيت أثناء احتلال ايران لشبه جزيرة الفاو».

«عندما تكون المصالح المشتركة بين دولتين ضيقة وحديثة العهد، يكون التفاهم المتبادل ضعيفاً ويكون لسوء التفاهم نتائج سلبية. وفي بعض الأحيان يمكن لنتيجة الخطأ ان تكون اكثر خطورة من الخطأ نفسه. وبالرغم من كل ذلك، قبلنا اعتذار الرئيس الاميركي، بواسطة موفوديه، عن فضيحة ايران غيت، واستخدمنا الممحاة لتنظيف كل ما علق باللوح من شوائب. ولم تكن في اعتبارنا العودة الى تحريك شجون الماضي، الاّ في حال تدفعنا الى ذلك احداث جديدة تبيّن ان الأخطاء الماضية ليست مجرد مصادفات».

«لقد تزايدت شكوكنا بعد تحرير شبه جزيرة الفاو. فوسائل الاعلام الاميركية بدأت بادخال أنفها في الشؤون العراقية الخاصة. ووصلت

شكوكنا الى حد طرح السؤال حول ما اذا كانت الولايات المتحدة منزعجة من انتهاء الحرب لمصلحتنا» .

وبعد هذه المقدمة المطولة أضاف :

«يبدو جلياً لنا ان بعض الاوساط الاميركية ـ استثني شخص وزير الخارجية ايضاً ـ لا تحبذ واقع تحرير أرضنا . إنهم يضعون الدراسات التي تحمل عنوان «من يخلف صدام حسين؟» . وقد اجروا اتصالات مع دول الخليج لاقناعها بعدم تقديم المساعدة الاقتصادية لنا بهدف ارهاب العراق . ونحن نملك البراهين على تلك النشاطات» .

وكان الرئيس صدام يعتبر أن الانقسامات التي تعصف بالعالم العربي هي جزء من المؤامرة الاميركية الرامية الى زعزعة النظام العراقي .

وبعد ان ارتاح عدة لحظات عاد صدام الى حواره الآحادي الجانب :

«بسبب الحرب ، ارتفعت ديوننا الى ٤٠ مليار دولار، دون ان نحسب مساعدات الدول العربية التي يعتبرها البعض منها ديوناً علينا تجاههم . ليعرف الجميع تماماً أنه ، دون العراق ، لما كان باستطاعتهم التمتع بعائداتهم لأن مصير المنطقة كان اختلف جذرياً» .

«لقد واجهنا فيما بعد سياسة تخفيض الأسعار. ثم بدأت الحملة على صدام حسين في وسائل الاعلام الاميركية . إن الولايات المتحدة تعتمد وجهة نظر تقيم المقارنة بين الوضع في العراق وبولندا أو تشيكوسلوفاكيا أو رومانيا .

لقد فوجئنا بهذه الحملة وتملكت المرارة بنا . وان كانت المفاجأة غير كاملة فنحن كنا نأمل أنه بمرور الاشهر سوف يتلمس اصحاب القرار

الاميركي الوقائع الملموسة ويتأكدون من عدم فاعلية الحملة بالنسبة للعراقيين. لقد كنا نأمل ان تتخذ السلطات الاميركية القرار الصائب بشأن علاقاتها مع العراق، فمع الروابط الجيدة بامكاننا تفهّم الخلافات بين وقت وآخر».

«ولكن، عندما تؤدي سياسة واعية جرى التخطيط لها الى تخفيض سعر النفط دون مبرر تجاري مقنع فهذا الامر يعني أن حرباً من نوع آخر تخاض ضد العراق.

إن الحرب العسكرية تقتل الشعب وتصفي دمه. اما الحرب الاقتصادية فتؤدي الى حرمانه من حياة افضل. انتم تعرفون غزارة الدم الذي سال منا على امتداد سنوات الحرب مع ايران. وبالرغم من ذلك لم نفتقد انسانيتنا. للعراقيين الحق في كرامة الحياة ونحن لا نقبل المساس بالشرف العراقي وبحقوقنا في مستوى معيشة لائق».

«لقد تصدرت الكويت والامارات العربية سياسة النيل من مكانة العراق السامية وحرمان الشعب العراقي من مستوى معيشته، وانتم على دراية بالعلاقات الجيدة التي كنا نقيمها مع الامارات.

ولم تقف الامور عند هذا الحد. لقد اغتنمت الكويت فرصة حربنا مع ايران كي توسع حدودها على حسابنا».

«قد يتبادر الى ذهنكِ أنني اضخم الأمور. يكفيني ان تُلقي نظرة على وثيقة ـ خط الدوريات العسكرية ـ وهو الخط الفاصل بين الكويت والعراق الذي تبنته الجامعة العربية عام ١٩٦١. اذهبي بنفسك وعايني الوضع على الأرض. سوف ترين الدوريات الكويتية والمزارع الكويتية

والمنشآت النفطية الكويتية في أقرب مسافة يمكن تصورها من الخط المرسوم بهدف اعتبار تلك الأراضي كويتية فيما بعد».

«منذ ١٩٦١، وبعكس الحكومة العراقية، لم تتغير الحكومة الكويتية. لقد بقينا مستغرقين في مشاكلنا الداخلية لمدة عشرة أعوام بعد عام ١٩٦٨ (١): مشاكل شمالي العراق اولاً (٢) ثم حرب ١٩٧٣ (٣) وبقي الحال كذلك حتى تحول اهتمامنا الى الحرب مع ايران».

«ما يثير الاستغراب أن الولايات المتحدة تنجح في تحقيق التفاهم على المصالح المشتركة مع الشعوب التي تعيش حالة من الرخاء والامن الاقتصادي. ولكن عندما يصل الأمر الى الشعوب الجائعة المحرومة تختفي تلك القدرة على التفاهم وتزول».

«نحن لا نقبل التهديد من أي كان ولا نهدد أحداً. ونأمل بشدة الا تقع الولايات المتحدة الاميركية أسيرة الأوهام في هذا المجال وننصحها بالتفتيش عن أصدقاء جدد لها لا أنْ تزيد عدد أعدائها».

«لقد قرأت تصريحات أميركية عديدة عن اصدقائها في المنطقة. من حق الجميع ان يختاروا أصدقاءهم ولا اعتراض لدينا على ذلك. ولكنكم تعرفون جيداً انكم لستم الذين حميتم هؤلاء الاصدقاء خلال الحرب مع ايران. وأستطيع التأكيد لكم أن الايرانيين في حال سيطروا على المنطقة لن تستطيعوا إيقافهم الاّ بالسلاح النووي».

---

(١) سنة استيلاء حزب البعث على السلطة.

(٢) الحرب ضد الأكراد.

(٣) الحرب العربية الإسرائيلية.

«ما اقوله لا يهدف الى النيل من مكانتكم وانما انا آخذ بعين الاعتبار العوامل الجغرافية وطبيعة المجتمع الاميركي التي ترفض التضحية بأكثر من عشرة آلاف قتيل في المعركة الواحدة».

«انتم لا تجهلون أن ايران قبلت بوقف اطلاق النار. ولم يحصل هذا القبول بعد قصف الولايات المتحدة لمنشأة نفطية ايرانية واحدة، وانما حصل بعد تحرير الفاو. أهكذا يكافأ العراق لأنه ساهم في تأمين استقرار المنطقة وقام بحمايتها من مدٍّ لا مثيل له؟ ثم ماذا يعني ايضاً القول: «سوف يحمي الاميركيون أصدقاءهم» إنه في الحقيقة يعني موقفاً عدائياً تجاه العراق. وهو الذي شجع الكويت والامارات العربية على تجاهل حقوقنا بالإضافة الى المناورات والتصريحات التي ترددونها».

«استطيع التأكيد لكم أن حقوقنا سوف تعود الينا كاملة غير منقوصة، والواحد بعد الآخر. وقد لا نصل اليها اليوم أو خلال شهر أو سنة وانما سوف ننجح بالتأكيد في نهاية الأمر. نحن لسنا شعباً يتخلى عن حقوق لا تملك الكويت والامارات مبرراً تاريخياً او اقتصادياً أو شرعياً واحداً كي يحرمونا منها. وهم اذا كانوا متمسكين بها فنحن كذلك».
وبعد ان اكدّ إرادته في جعل الآخرين يحترمون حقوق العراق اكمل على الفور:

«على الولايات المتحدة الاميركية ان تصل الى تفهم اكبر للوضع وان تحدد بوضوح شديد من هم الأعداء بالنسبة اليها وما هي البلدان التي ترغب في الحفاظ على متانة علاقاتها معها. ولكن يجدر بها عدم زج كل بلد لا يتفق معها فيما يتعلق بالمشكلة العربية الاسرائيلية، في خانة الأعداء».

«نحن نفهم مصلحة الولايات المتحدة في الحفاظ على تدفق النفط

قائماً ومستمراً. ونفهم كذلك ان تنسج اميركا علاقات ودية مع دول المنطقة على قاعدة المصالح المشتركة، ولكننا لا نفهم تشجيعها لبعض الفرقاء على أذية المصالح العراقية».

«إن الولايات المتحدة ترغب في إمدادات نفطية متواصلة. ولهذه الرغبة تبريرات نأخذها بعين الاعتبار. ولكن عليها الا تستخدم، في سبيل ذلك، طرقاً وأساليب تقومْ هي نفسها بإدانتها في مناطق أخرى من العالم. عنيت بذلك ممارسة الضغوط وعرض العضلات».

«اذا لجأتم الى الضغوط سوف نرد بضغوط مماثلة، وسوف نظهر لكم قوتنا الحقيقية. انتم تستطيعون أذيتنا في حين لا تسمح قدرتنا بتهديدكم. ولكننا نستطيع اذيتكم نحن أيضاً. والكل حسب الوسائل التي يملكها وحسب حجمه يستطيع ان يكيل الضربات للآخر. واذا لم يكن باستطاعتنا القيام بانزال عسكري في بلدكم فإن العرب يستطيعون النيل منكم فرداً فرداً».

هنا، لم يعد صدام حسين يهتم للقواعد الدبلوماسية في الحوار فأضاف مهدداً بالعمليات الإرهابية:

«تستطيعون المجيء الى العراق بواسطة الصواريخ والطائرات، ولكن لا تدفعونا الى التخلي عن تملّك انفسنا. فنحن عندما نشعر بأنكم تسعون للنيل من كرامتنا والى حرمان العراقيين من تحسين مستوى معيشتهم سوف نترك لانفسنا العنان وسوف يكون الموت خيارنا الأول والأخير. وتأكدوا أن الحذر والتحسب لن يكون وارداً عندنا، ولو وصل الأمر الى ١٠٠ صاروخ من قبلكم في وجه صاروخ واحد من قبلنا. فبدون كرامة تفقد الحياة معناها وقيمتها».

«ليس من المعقول الطلب من الشعب العراقي بذل التضحيات والدماء على امتداد الاعوام الثمانية الماضية كي نقول له الآن: عليك القبول بعدوان الكويت والامارات العربية والولايات المتحدة واسرائيل. نحن لا نضع مختلف هذه البلدان في سلة واحدة. فبالنسبة للكويت والامارات يحز في أنفسنا وجود خلافات معها وينبغي التفتيش عن حل لها في الإطار العربي وعبر العلاقات الثنائية المباشرة. نحن لا نضع الولايات المتحدة أيضاً في خانة الأعداء. نحن نضعها في الموقع الذي نريده لاصدقائنا ونبذل الجهد كي نكون في عدادأصدقائها. ولكن تصريحاتكم المتكررة تظهر جلياً ان اميركا هي التي لا تريد صداقتنا، حسناً، للأميركيين حرية اختيار الاصدقاء».

«وفيما يتعلق بنا، نحن عندما نفتش عن صداقة أحد انما نبحث عن الشرف والحرية وحق الاختيار. وكما نريد التعامل مع الآخر على مستوانا نتعامل مع الآخر على مستواه. نحن نأخذ مصالحنا ومصالح الآخرين بعين الإعتبار ونطلب من الغير مقابلتنا بالمثل. ماذا يعني استدعاء وزير الدفاع الصهيوني، هذه الأيام، الى الولايات المتحدة الأميركية؟ وما هو معنى التصريحات النارية لإسرائيل مؤخراً؟ وماذا يعني تكاثر الحديث عن الحرب الى درجة لا مثيل لها في السابق؟»

يبدو واضحاً أن الرئيس صدام ما يزال مسكوناً بهواجس ضرب مفاعل اوزيراك النووي. وهو لا يتردد من الإفصاح عن مخاوفه من ضربة اسرائيلية قريبة بمساعدة الولايات المتحدة الأميركية في أغلب الظن.

«نحن لا نريد الحرب لأننا نعرف مآسيها في الملموس. وإنما لا تدفعونا لاعتبارها الحل الوحيد للعيش في كرامة وعلى مستوى معيشي لائق».

«نحن نعرف أن الولايات المتحدة الأميركية تمتلك السلاح النووي. ولكننا اخذنا قرار العيش بكرامة أو الموت حتى آخر فرد فينا. ولا يوجد في العالم بأجمعه شخص واحد لا يتفهم شعورنا. نحن لا نطلب منكم حل مشاكلنا. لقد قلت أن المشاكل العربية تحل بين العرب، وإنما المطلوب منكم عدم تشجيع أحد على فعل يتعارض مع مكانته. ولا أظن أحداً يفوّت فرصة الصداقة مع العراق. وبرأيي، لم يقترف الرئيس بوش أخطاء بحق العرب، مع اعتقادي بخطأ تجميد الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية. وقد يكون اتخذ هذا القرار لتهدئة اللوبي الصهيوني أو قد يكون القرار ضمن استراتيجية ترمي الى استيعاب الغضب الصهيوني قبل إعادة الحوار من جديد مع منظمة التحرير. أتمنى ان يكون التحليل الأخير هو الصائب. وبالرغم من ذلك نقول إنه قرار خاطىء».

«انتم تجزلون العطاء للمغتصب [1]: اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وحتى اعلامياً. وعندما يأتي الوقت سوف تكتشفون خصال العرب دفعة واحدة. هل بإمكان البشرية الاعتماد على الحل الأميركي العادل الذي يضع في كفة واحدة ٢٠٠ مليون كائناً بشرياً و ٣ ملايين يهودياً في الكفة الأخرى؟»

«نحن نريد الصداقة ولكننا لا نجري وراءها. وسوف ندفع عدوان أي كان. واذا أرادوا الأضرار بنا سوف نقاوم. هذا هو حقنا. ولا يهمنا مصدر الإساءة أميركا، الامارات العربية، الكويت أو اسرائيل. وإنما لا أضع جميع هذه الدول على الصعيد ذاته. فاسرائيل اغتصبت الارض العربية بمساعدة الولايات المتحدة الاميركية. إن الامارات لا تؤيد

---

(١) إسرائيل

اسرائيل وعلى جميع الأحوال فهي من العرب، ولكن إضعاف العراق يعني مساعدة العدو والعراق يملك حق الدفاع عن نفسه».

في هذه المرحلة من اللقاء، سوف يرتكز صدام حسين، لتأكيد اقواله واعطائها مصداقية، على واقعتين سابقتين ينبغي لاميركا، برأيه، البحث فيهما واستخلاص العبر منهما:

«عام ١٩٧٤ التقيت إدريس ابن الملاّ مصطفى البرازاني (١). وكان يجلس على الكنبة نفسها التي تجلسين عليها الآن. لقد طلب مني إرجاء تنفيذ استقلال الكردستان العراقية حسب اتفاق آذار ١٩٧٠. أجبته بأننا نصر على القيام بواجباتنا ويفترض به الحفاظ على كلمته. وشعرت بأن نوايا ادريس البرازاني من طبيعة عدوانية فقلت له: قدم احتراماتي الى والدك وأبلغه ما يتوقعه صدام حسين من مسار للأمور. ثم أخذت اشرح له ميزان القوى بالأرقام. كما فعلت مع الايرانيين أثناء الحرب.

لقد انتهت مقابلتي له بالقول التالي:

اذا فرض القتال علينا سوف ننتصر. أتعرف لماذا؟ وقدمت له الاسباب جميعها وأضفت سبباً سياسياً: إن مصيركم(٢). يتوقف على مصير خلافاتنا مع شاه ايران(٣). إن مصدر خلافنا مع ايران هو مطالبة هذا البلد بنصف شط العرب. فاذا استطعنا الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية لن نقوم بتنازلات في هذا المجال. ولكن اذا كان علينا الاختيار

---

(١) آخر زعيم كردي

(٢) الأكراد عام ١٩٧٤.

(٣) لقد مولت إيران تحرك الأكراد

بين نصف شط العرب ووحدة الاراضي العراقية الحالية، سوف نتخلى عن شط العرب للحفاظ على العراق في حدوده التي نريدها. نحن نرجو ألاّ تصبوا الزيت في النار لئلا تجعلونا نتجه الى الخيار الثاني.

بعد هذه المقابلة تخلينا عن نصف شط العرب[1]. ومات البرازاني ودفن خارج العراق وخسر حربه».

هنا توجه صدام الى السفيرة الأميركية قائلاً:

«نرجو الاّ نصل في المستقبل الى خيارات متطرفة كهذه. إن المشكلة الوحيدة التي ما تزال قائمة مع ايران هي شط العرب. فإذا وجدنا انفسنا في خيار بين كرامة العراق وشط العرب سوف نفاوض الايرانيين، ونحن نتمتع بالانفتاح والحكمة نفسها التي أبديناها عام ١٩٧٥. وكما أضاع البرازاني فرصة تاريخية سوف يفقد الآخرون فرصتهم كذلك».

اخيراً، أنهى صدام هذه المداخلة التاريخية الطويلة بقوله:

«أرجو إن يقرأ الرئيس بوش بنفسه ما قلته، ولا يتركه يقع بين أيدي عصابة ما في دوائر الدولة، واستثني منها وزير الخارجية جيمس بايكر، وجون كيلي الذي سبق وعرفته وقد تبادلت الاحاديث معه».

ولأول مرة منذ بداية اللقاء نطقت السيدة غلاسبي:

ـ اشكرك سيدي الرئيس. من حسن حظ أي دبلوماسي ان يقابلكم ويجري الحديث معكم. فهمت رسالتكم تماماً. لقد درسنا التاريخ في المدارس وعلّمونا ان نقول نحن أيضاً «الحرية أو الموت».

---

(١) اتفاقات الجزائر عام ١٩٧٥

اتصوركم تعرفون جيداً أن شعبنا خاض التجربة مع المستعمرين. لقد أثرت سيدي الرئيس عدداً من النقاط ليس بإمكاني الحسم فيها باسم حكومتي. وإنما بإذنكم سوف أتعرض لنقطتين منها: لقد تكلمت عن الصداقة وأظن أن رئيسنا بوش وجه اليكم بمناسبة عيدكم الوطني...» قاطعها صدام بالقول.

ـ إن رسالته كانت ودية وقد تطابقت تحياته مع تقديرنا وتحياتنا الخاصة.

أضافت غلاسبي:

ـ كما تعلمون، لقد أعطى التعليمات الى الادارة الأميركية برفض اقتراح العقوبات الاقتصادية ضد العراق.

ـ ولكن لم يعد بإمكاننا شراء شيء من أميركا. فقط القمح. وفي كل مرة نقدم طلباً يواجهونا بالرفض والامتناع. وأخشى ان تقولي لي: عليك تصنيع بارود المدافع بواسطة القمح!

ـ عندي تعليمات شخصية من الرئيس بضرورة التفتيش عن أفضل العلاقات مع العراق.

ـ نعم ولكن كيف؟ نحن أيضاً نشاطره تلك الرغبة. ولكن على الدوام تحصل أشياء تعاندها.

ـ كلما كثفنا من حواراتنا تضعف المعاندة وتصبح الرغبة حقيقة ملموسة. لقد اشرت الى تقرير الوكالة الاميركية للاعلام[(1)] ولقد قُدِّمَتْ لكم اعتذارات واضحة.

---

(1) البرنامج الإذاعي الذي بثّه صوت أميركا في ١٥ شباط ١٩٩٠

مال صدام اليها في حركة ترمي الى اثارة الاعجاب:

ـ ان ملاحظتك دقيقة. نحن العرب، عندما نواجه شخصاً يعترف ويقول: ـ إنني في غاية الأسف، لقد اخطأت ـ نكتفي منه بذلك. ولكن حملة وسائل الاعلام ما زالت مستمرة. وتتعدد الحكايات حولنا. ولو كانت تلك الحكايات صحيحة لما اشتكى أحد. ونحن نستنتج مما نلاحظه من إصرار إعلامي، وجود رغبة وسياسة وارادة لتشويه صورتنا.

ـ لقد شاهدت بنفسي برنامج ديان سواير على قناة (أي بي سي A.B.C) انه رديء ويفتقر الى الموضوعية. إنها معاناة الجميع مع وسائل الإعلام الأميركية، وحتى السياسيين الأميركيين أنفسهم. إنها وسائل الاعلام الغربي. وانا أشعر بالسعادة انكم تضمّون صوتكم الى أصوات الدبلوماسيين الذين يواجهون وسائل الاعلام بشجاعة. إن ظهوركم ولو لدقائق قليلة في وسائل الاعلام يساعدنا على ايصال الموقف العراقي الى الشعب الأميركي مما يؤدي الى تحسين التفاهم المتبادل. ولو كان الرئيس الأميركي يملك رقابة على الاعلام لهان الأمر عليه الى درجة كبيرة. لا أقول فقط إن الرئيس بوش يرغب في أفضل العلاقات وأوسعها مع العراق، وإنما يريد مساهمتكم أيضاً في ازدهار الشرق الاوسط وسلامه. إن الرئيس بوش رجل ذكي ولن يذهب الى حد اعلان الحرب الاقتصادية على العراق (السفيرة غلاسبي تعطي هنا الضوء الأخضر لصدام).

ـ الحق معكم، نحن لا نريد، كما أشرتم، أسعاراً أكثر ارتفاعاً للبترول ولكن، في المقابل، انا ادعوكم الى البحث في إمكانية تخفيض سقف السعر الذي تطالبون به.

بدا الرئيس العراقي مستعداً للتجاوب:

ـ نحن لا نريد اسعاراً مرتفعة إكثر من اللازم . وأذكرّك أنني أنا الذي أوحيت لطارق عزيز بفكرة المقال الذي ينتقد فيه سياسة الاسعار العالية . وكان هذا أول مقال عربي يعبر عن وجهة النظر هذه .

هنا أخذ طارق عزيز دوره في الكلام لأول مرة :

ـ إن سياستنا في الأوبيك تعارض التغيرات الفجائية في سعر النفط .

صدام حسين :

ـ ٢٥ دولاراً للبرميل الواحد ليس سعراً مرتفعاً .

السفيرة :

ـ العديد من الأميركيين في مناطقنا النفطية يرغبون بأكثر من هذا الرقم! (ضوء أخضر آخر: يمكن لصدام حسين الظن بأن السفيرة، وعبرها الرئيس بوش ، يوافقان على مطلب العراق برفع سعر البترول) .

صدام حسين :

ـ في وقت من الاوقات انخفض السعر الى ١٢ دولاراً للبرميل . إن خسارة ٦ ـ ٧ دولارات تعتبر كارثة بالنسبة للموازنة العراقية المتواضعة .

السفيرة :

ـ إنني أفهم هذا الأمر دون صعوبة . لقد عشت هنا سنوات عدة وكلي اعجاب بجهودكم الاستثنائية لبناء بلدكم . اعرف أنكم بحاجة للرساميل . نحن نفهم ونوافق على اتاحة الإمكانية أمامكم لاعادة إعمار العراق . ولكننا لا نملك آراء محددة فيما يتعلق بالصراعات العربية ـ ، مثل نزاعكم الحدودي مع الكويت . لقد كنت فيها نهاية الستينات

وكانت تعليماتي تقضي بعدم ابداء الرأي في هذه القضية التي لا تهمنا كأميركيين. لقد اعطى جيمس بايكر أمراً الى الناطق الرسمي عندنا لاعادة تأكيد هذه التعليمات. نحن نأمل ان تسووا القضية بالوسائل الصالحة عن طريق القليبي أو حسني مبارك رئيس مصر. وكل ما نرجوه هو الوصول الى حلول سريعة. وبالمناسبة، هل استطيع لفت انتباهكم الى المخاوف التي تراودنا فيما يتعلق بهذا الموضوع؟

(ضوء أخضر آخر: الخلافات الحدودية بين العراق والكويت ليست قضيتنا)

ـ حقيقة القول، نحن نلاحظ أنكم حركتم قوات ضخمة في الجنوب. ومن الطبيعي الا يعنينا الأمر بحد ذاته. ولكن، عندما يحصل في الاطار الذي رسمتموه بأنفسكم في عيدكم الوطني. كذلك الأمر، عندما نأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر العراقية في اعتبار ما تقوم به الكويت والامارات من طبيعة عسكرية، لا بدّ وأن نشعر أننا معنيّون بالوضع. وبالنتيجة لقد تلقيت تعليمات بأن أطلب منكم، بكل صداقة وود، إعلان نواياكم.

إنني أعبر لكم ببساطة عن قلق حكومتي. وانا أعرف أن الوضع ليس سهلاً وقد يكون إبداء الاهتمام هو الأسهل بالتأكيد.

الرئيس صدام:

ـ نحن لا نطلب من الناس الا يشعروا بالتزاماتهم عندما يكون السلام على المحك. وهذا شعور نبيل نتشاطره جميعاً. ومن الطبيعي ان تشعر قوة كبرى بأنها معنية. وإنما نحن نطلب منكم الاّ تعبروا عن انشغالكم بوجهة تجعل المعتدي يظن بإمكانية الحصول على دعمكم

ومساندتكم. نحن نريد إيجاد حل عادل يعترف بحقوقنا دون سلب الآخرين حقوقهم. وفي الوقت نفسه نريد ان يعلموا حدود صبرنا الذي بدأ ينفذ تجاه أفعالهم التي تصيب حليب أطفالنا وما يقوم بأود أراملنا وأيتامنا. نحن لنا الحق، كدولة، في الازدهار. لقد خسرنا فرصاً كثيرة، بسبب الحرب، وعلى الآخرين ان يقدّروا دورنا في حمايتهم حق قدره.

أشار صدام الى المترجم وقال:

«حتى العراقي هذا يشعر بالمرارة كاخوانه تجاه الوضع. نحن لسنا المعتدين ولا نقبل العدوان أيضاً. لقد أوفدنا مبعوثين ورسائل مكتوبة. حاولنا كل شيء. طلبنا من خادم الحرمين الشريفين ان يرتب لقاء قمة رباعياً ولكنه اقترح اجتماعاً لوزراء البترول. قبلنا الاقتراح كما تعلمين وحصل الاجتماع في جدة وتوصل الى مقررات قبلناها وهي لا تعبر عن مطالبنا.

ولم يكد يمضي يومان على الاجتماع حتى أدلى وزير النفط الكويتي بتصريح يتعارض مع نصوص الاتفاق. لقد عرضت القضية كذلك اثناء قمة بغداد، وقلت للملوك والرؤساء العرب إن البعض منهم يخوض حرباً اقتصادية ضدنا، وإن الحروب لا تعتمد الاسلحة بالضرورة ولا تفقد طابعها العسكري، لأن القدرة العسكرية لجيشنا تكون قد ضعفت، فاذا عادت ايران الى استئناف المعارك يمكن لهذا البلد ان يحقق غاياته. واذا خفّضنا من درجة دفاعاتنا يمكن لاسرائيل مهاجمتنا. قلت كل ذلك أمام الملوك والرؤساء العرب وحاولت الاّ أذكر الكويت والإمارات صراحة، لأنهما كانا ضيفين علينا. قبل ذلك كنت قد وجهت اليهما مبعوثين لتذكيرهما بأن حربنا ضد ايران ساهمت في الدفاع عنهم. وبالنتيجة فإن

المساعدة التي قدموها لنا لا يمكن اعتبارها ديوناً بأي حال من الأحوال. نحن نجرّب أساليب التعقل بأكثر مما يمكن للولايات المتحدة ان تجربه في وجه المعتدي على مصالحها».

«لقد طرحت الموضوع مع الدول العربية الأخرى. شرحت الوضع لأخي الملك فهد مرات عدة بواسطة موفدين وعلى الهاتف. تكلمت مع أخي الملك حسين ومع الشيخ زايد. وعند نهاية القمة قال لي الأخير وانا ارافقه الى الطائرة عند عودته الى بلاده من مطار الموصل «انتظر عودتي». ولكنه لم يكذ يصل الى بلده حتى صدرت التصريحات التي تنذر بالشؤم. وهي لم تصدر عنه شخصياً وإنما على لسان وزير نفطه.

بعد اتفاق جدة وصلتنا أيضاً تقارير تفيد بأن التزامهم به لن يتعدى شهرين يعودون بعدها الى تغيير سياستهم. قولي لي: ماذا يفعل الرئيس بوش مكاني؟ يصعب عليّ طرح هذه الأمور في العلن. وإنما من واجبي وضع الشعب العراقي الذي يتحمل المخاطر الاقتصادية على بيّنة بالمسؤول عن تلك المخاطر».

بمواجهة هذا الكلام فضلت غلاسبي تغيير الموضوع

ـ لقد أمضيت أربعة أيام رائعة في مصر

أجاب صدام.

ـ الشعب المصري منفتح، طيب وعريق. يفترض بدول النفط ان تساعده ولكنهم يدّعون المسكنة. من المحزن الاعتراف بواقع كره أكثرية العرب لأقلية منهم تتصف بالبخل الشديد.

السفيرة:

ـ من المغني والمفيد ان تعطونا رأيكم فيما يتعلق بالجهود التي يبذلها اخوانكم العرب. هل وصلت الى نتيجة محددة؟

الرئيس:

ـ نحن نتفق مع الرئيس مبارك على ترتيب لقاء في السعودية بين رئيس الوزراء الكويتي ورئيس مجلسنا الأعلى لقيادة الثورة. نحن نوافق لأن السعوديين نسجوا معنا، بمساعدة حسني مبارك، علاقات حسنة. إن مبارك اتصل بي للتو وأخبرني أن الكويتيين قبلوا الاقتراح.

السفيرة:

ـ تهاني سيدي الرئيس.

الرئيس:

ـ سوف يعقد اجتماع بروتوكولي في العربية السعودية. ثم ينتقل الجميع الى بغداد لإجراء مباحثات معمّقة بين الكويت والعراق. ونأمل ان يؤدي الاجتماع الى نتيجة. كما نأمل بأن ينتصر بُعْد النظر والمصالح الراسخة على البخل الكويتي الشديد.

السفيرة:

ـ هل أستطيع الاستعلام عن موعد وصول الشيخ سعد الى بغداد؟

الرئيس:

ـ أظن أنه سوف يصل السبت أو الاثنين (١). لقد قلت لأخي مبارك

---

(١) ٢٨/ ٣٠ تموز

بوجوب حصول الاتفاق يوم السبت أو الاحد. انت لا تجهلين أن زيارات أخي مبارك كانت فأل خير على الدوام.

السفيرة:

ـ هذا خبر جيد. تهاني.

لم يعد صدام حسين بحاجة الى إخفاء لعبته. :

ـ أبلغني أخي مبارك أنهم في حالة من الخوف الشديد [1]. لقد قالوا إن الفرق العسكرية العراقية هي على مسافة ٢٠ كلم فقط من خط الجامعة العربية[2]. بدوري، أكدت للرئيس المصري أنه مهما كانت طبيعة القوى العسكرية الموجودة: فرق عسكرية، قوى أمن، حرس حدود. ومهما كان عددها ومهامها، فبإمكانه التأكيد للكويتيين بأنها لن تقوم بأي عمل ولن تتحرك حتى نقابلهم ونجتمع معهم. وعندما يحصل الاجتماع سوف نرى، فاذا لاحظنا وجود الأمل لن يحصل شيء. أما اذا لم نستطع إيجاد حل فمن الطبيعي الاّ يقبل العراق بالموت، حتى ولو كانت الحكمة هي التي ينبغي ان تسود على اي اعتبار آخر. هذه هي أخبار جيدة.

قال طارق عزيز والدهشة تعتريه:

ـ انتم تملكون سبقاً صحفياً.

وصلت المقابلة الى نهايتها ولم يبق في ذهن أبريل غلاسبي سوى تلك

---

(١) يقصد الكويتيين

(٢) الحدود الكويتية.

النتيجة المتفائلة، فبدت وكأنها نسيت التهديدات والانذارات التي طبعت كلام الرئيس صدام منذ بداية اللقاء. فاستأذنت وهي تحاول التأكيد على وصول الرسالة الى صاحبها:

ـ أخطط للذهاب الى واشنطن يوم الإثنين (٣٠ تموز) وأرجو لقاء الرئيس بوش الاسبوع القادم.

يوم ٢٦ تموز انتهى ٣٠ ألف جندي عراقي من التمركز على الحدود الكويتية.

في ٢٧ تموز، نقلت وكالة الاستخبارات الاميركية الى البيت الأبيض صوراً جوية تظهر تجمعات كثيفة من الرجال والعتاد. أبلغت واشنطن الأمر في الحال للكويت، مصر، العربية السعودية. فأجمعت الردود العربية على استبعاد احتمال الغزو العسكري وأوحت بإمكانية «ابتزاز عراقي» للحصول على جزيرتين كويتيتين واقعتين في الخليج بالاضافة الى حقل بترولي متنازع عليه. وقد وافقت وزارة الخارجية الاميركية ومجلس الأمن القومي التابع للبيت الأبيض على تلك التحليلات والتوقعات.

في ٢٨ تموز أخذت تقارير وكالة الاستخبارات المركزية تصبح أكثر دقة وأكثر إيحاءً بالخطر. لقد أنشأ صدام خطوط إمداد واسعة لفرقه العسكرية على الحدود. وتمت ملاحظة حركة كثيفة من الشاحنات تؤمن دعماً لوجستياً كبيراً. وكان مدير وكالة الاستخبارات المركزية وليام وبستر، عندما يلقي نظرة على الصور الجوية يزداد قناعة بأن وضعاً لوجستياً كهذا الوضع ليس ضرورياً اذا كانت العملية تقتصر على الترهيب وممارسة الضغوط العسكرية المعنوية.

أخذت المعلومات الجديدة تصل ساعة فساعة الى وكالة

الإستخبارات المركزية وقد جمعت بمعظمها من أقمار التجسس التابعة لوكالة الأمن القومي. وكانت هذه الوكالة، بعديدها وموازنتها التي تتجاوز موازنة وكالة الاستخبارات المركزية الى حد بعيد، تعتبر المركز المعلوماتي الأكثر أهمية وتطوراً في العالم. وهي تقع في «فورت ميد» بالقرب من واشنطن وتتألف، كالدماغ البشري، من منطقتين: منطقة اليمين المسماة «كاريبون» ومنقطة اليسار «لودستون». اما العقول الالكترونية التي تملكها فهي قادرة على التعامل مع ٢٠٠ مليون كلمة في الثانية الواحدة. وهي تملك بعض العقول التي بإمكانها نقل ٣٢٠ مليون كلمة في الثانية اي ما يعادل ٢٥٫٠٠٠ من الكتب التي يحوي كل واحد منها ٣٠٠ صفحة. من ناحية أخرى، بفضل مراكز التنصت التابعة لها والموزعة في أرجاء العالم وأقمار تجسسها، كانت تلك الوكالة في موقع القادر على تتبع الأحاديث السرّية وعلى تحديدُ تحركات الفرق العسكرية، مهما صغرت، في كل نقطة من الأرض. وهي بفضل محلليها ورياضييها ومفككي الرموز فيها، وكلهم من أفضل الجامعيين الاميركيين، تستطيع معرفة دقائق اي حديث يجري في أي غرفة مقفلة على وجه الأرض، وذلك بالقياس الالكتروني لارتجاج الزجاج وتردده بواسطة حزمة من الاشعاعات غير المرئية.

في ٢٨ تموز نفسه، قابل ياسر عرفات صدام حسين الذي طلب منه الذهاب الى الكويت: «تحدّث مع الأمير وأبلغه أنه اذا دفع عشرة مليارات دولار، اطالب بها لأنه استثمر حقل الرميلة النفطي على الحدود، سوف أجمد حركة الفرق العسكرية وأقلل من تواجدها».

ولم يشر صدام حسين الى عرفات بأن غزو الكويت لا يساوره.

في ٢٩ تموز وصل رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الى الكويت

العاصمة. واضطر الى انتظار ساعات طويلة قبل مقابلته الأمير. وما ان بدأ عرفات بعرض الاقتراح العراقي حتى قاطعه الأمير جابر بجفاف: «لا أريد النقاش في هذا الموضوع. خلال ثمانية وأربعين ساعة سوف أذهب الى جدة لعقد قمة مع العراق. لنغتنم اللقاء ونتكلم عن الهجرة، اليهودية السوفييتية الى اسرائيل».

كان الاحتقار والجفاء يطغيان على لهجة الأمير. وبالرغم من المهانة التي شعر بها عرفات فإنه لا يستطيع شيئاً حيالها. فالكويت هي المموّل الرئيسي لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد حاول عرفات من جديد، عند نهاية اللقاء، العودة الى الاقتراح العراقي ولكن الأمير قاطعه من جديد: «قلت لك بوضوح، لا أريد الخوض في الموضوع».

بعد الأمير، قابل عرفات ولي العهد الشيخ سعد. فكان اللقاء بين الرجلين أكثر راحة:

ـ عليكم دفع المبلغ، قال عرفات، العراقيون يشكلون خطراً. انت تعرفني. أنا من الكويت وعشت فيها عدة سنوات حاولوا حل المشكلة بالحسنى.

أجاب الأمير سعد:

ـ سوف انتقل الى جدة.

ـ لا تذهب خالي الوفاض. اقترح حلاً.

قام الأمير بحركة توحي بالسأم والضجر:

ـ القرار الأخير، للأسف، ليس في يدي.

لقد كان ولي العهد بادي القلق من تردي الاوضاع .

ـ هل تستطيعون خوض مجابهة عسكرية؟ سأله عرفات

هز سعد رأسه بالنفي :

ـ كلا، لسنا اقوياء الى هذه الدرجة . ليست لدينا رغبة في القتال ضدهم .

من ٣٠ تموز، اصبح بمقدرة وكالة الاستخبارات المركزية تقويم صورة واضحة عن القوات العراقية على الحدود الكويتية وبالقرب منها . ١٠٠٠٠٠ جندي عراقي بينها فرق النخبة التابعة للحرس الجمهوري، ٣٠٠ دبابة، ٣٠٠ مدفع ثقيل . في واشنطن بقي الصمت مخيماً . وسوف يقطع في اليوم التالي عند دخول جون كيلي مبنى الكابيتول ليشهد أمام «اللجنة الفرعية للشرق الاوسط» التابعة لمجلس النواب . وبعد انتهائه من قراءة بيانه بدأ بالرد على الأسئلة الموجهة اليه وعلى الأخص من قبل النائب هالي هاملتون .

ـ قرأت الصحافة قولاً غير مباشر لوزير الدفاع ريتشارد تشيني يصرح فيه أن الولايات المتحدة ملتزمة بالذهاب الى الكويت وتأمين الدفاع عنها اذا هوجمت : هل هذا التصريح صحيح؟ هل يستطيع كيلي توضيح الأمور؟ :

ـ لست مطلعاً على التصريح الذي تشير اليه . ولكنني واثق من موقف الولايات المتحدة في هذه القضية . الكل يعرف بعدم وجود معاهدة دفاع بين الولايات المتحدة ودول الخليج . هذا واضح . نحن ندعم أمن استقلال أصدقاء اميركا في المنطقة . وقد حافظنا، منذ إدارة

ترومان، على وجود بحري في المنطقة لأن استقرارها هو مصلحة لنا. نحن ندعو الى حل سلمي للخلافات كافة ونصرّ على احترام سيادة كل دولة في الخليج.

ـ اذا تجاوز العراق، لأي سبب كان، الحدود الكويتية ما هو موقفنا بالنسبة لاستخدام القوات الأميركية في هذه الحالة؟

ـ هذا افتراض لا استطيع الدخول فيه. ويكفيني القول إننا في هذه الحالة سوف نكون معنيين الى درجة كبيرة. ولكنني لا استطيع الدخول في مجال «إذاً» و «إذاً».

ـ هل من الصحيح في وضع كهذا، إذا نشأ، القول بأننا لا نملك معاهدة أو التزاماً يجبرنا على ادخال القوات الاميركية في المعركة؟

ـ هذا صحيح!

لقد تم نقل مداخلة جون كيلي عبر الاذاعة البريطانية المسموعة في بغداد. وفي هذه الساعات الحرجة حيث تتأرجح الاحداث بين السلم والحرب، يكون كيلي قد بعث الى صدام حسين باشارة يمكن للأخير ان يترجمها على أنها ضمانة بعدم تدخل الولايات المتحدة الاميركية.

ولا يوجد في التاريخ الدبلوماسي الاميركي الحديث سوى حالة واحدة مشابهة لما قام به كيلي وشكلت خطأً فادحاً. إنها تصريحات وزير الخارجية دين أشيسون الذي أكد عام ١٩٥٠ أمام الكونغرس: «لا تشكل كوريا الجنوبية جزءاً من الحزام الدفاعي الاميركي». وذلك بعد وقت قصير من غزو كوريا الشمالية للجنوب.

في اليوم نفسه، غادر ثلاثة من الرسميين العراقيين بغداد الى جدة

للقاء الوفد الكويتي فيها ومتابعة المفاوضات. وقد اعتبر هذا الاجتماع الخيط الاخير الذي يربط العالم بمنطق السلام. وقبل ساعات من بدء القمة أعلن الامير الكويتي أنه لن يذهب الى السعودية وسوف يوفد ولي العهد مكانه.

وقع هذا النبأ على صدام حسين وقع «الإهانة القاتلة» فقرر بدوره عدم الذهاب، وايفاد عزت ابراهيم الرقم (٢) في حزب البعث.

الفصل الخامس
الغزو

شكل مؤتمر جدة لحظة ارتباك ومأساوية ونتج عنها حرب لم يحسن أحد تجنبها أو لم يبذل الجهد الكافي لذلك.

وكان الوفدان اللذان وصلا في ٣١ تموز قد بدآ اجتماعهما الساعة السادسة مساءً، وجهاً لوجه، في إحدى قاعات اجتماعات مركز المؤتمرات الحديث البناء والتجهيز.

شمل الوفد الكويتي ولي العهد، رئيس الوزراء سعد، يرافقه وزير الخارجية ووزير العدل نفسه الذي كان قد قدّم، اثناء اجتماع مجلس الوزراء الكويتي قبل ١٣ يوماً، آراءً اتصفت بالحكمة وبعد النظر.

توزّع المفاوضون العراقيون بين عزّت ابراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة والرجل الثاني في حزب البعث، سعدون حمادي نائب رئيس الوزراء، علي حسن الماجد إبن عم صدام حسين الذي سيعين حاكماً للكويت فيما بعد.

بقي الوفدان في جدة حتى الواحد من آب. ولكن المفاوضات الحقيقية لم تدم اكثر من ساعة ونصف من الزمن وبالتحديد بين السادسة والسابعة والنصف من مساء اليوم الأول. ثم رفعت الجلسة وذهب كل الحاضرين للمشاركة في الصلاة.

رحّب ولي العهد الامير عبدالله، الشخصية الثانية في المملكة السعودية، بالوفدين واستقبلهما ثم ما لبث ان غادر القاعة على الفور عند بداية الإجتماع.

بدأ العراقيون بالكلام فتلا عزت ابراهيم بياناً استعرض فيه الاتهامات العراقية للكويت واحداً تلو الآخر. وقد خلا بيانه من تهديدات محددة، وهو قرأه ببطء وعناية شديدة تجهد للوقوف عند كل كلمة فيه. وكان للتعابير المستخدمة في البيان، بمفرداتها المستوحاة من لغة التقوى والورع، صدىً من الغرابة الشديدة. وقد اعترف احد الكويتيين الحاضرين فيما بعد:

«تملكنا شعور غريب، إنها لغة متصوفين، وشيء قريب من خطبة الجمعة أو صلاة الأحد».

ارتبك الكويتيون في البداية، ولكن سعد، ولي عهد الامارة، ما لبث ان فنّد الحجج العراقية واحدة واحدة وصفحة صفحة. ولم تكن لهجته شديدة التشنج، ولكن الانطباع بدأ يتكون عند الفريقين بأن المؤتمر سوف يفشل بالتأكيد.

وبالنسبة لسعدون حمادي، الشخصية الثانية في الوفد العراقي:

«كان اللقاء فاشلاً، وكنا بنينا آمالاً كبيرة عليه واعتبرناه الفرصة الأخيرة وانتظرنا من الكويتيين خطة أو مشروعاً أو حلاً. لقد اتصلنا بهم وأوضحنا لهم وجهة نظرنا، ولكنهم لم يكونوا يملكون شيئاً ملموساً يقدموه ما عدا بعض الحجج الواهية للدفاع عن النفس وإبعاد الاتهامات الموجهة اليهم»

وحسب ولي العهد الأمير عبد الله: «تناولت النقاشات موضوع البترول. يتهمنا العراقيون بأننا وضعنا قوات أمن داخل اراضيهم. وبأن الكويت غيّرت سياستها وهذا كفيل حسب رأيهم بتعريضها للخطر. وقد أجبت على كل الاسئلة والملاحظات بطريقة مباشرة».

في إحدى مراحل اللقاء، انتقل المفاوضان الرئيسان الى غرفة جانبية لمدة ١٠ دقائق. ثم طلب عزت ابراهيم، رئيس الوفد العراقي، من الأمير سعد: «ما رأيكم بدعوة أعضاء الوفدين كي يسمعوا ما تقترحونه علينا؟» فوافق رئيس الوفد الكويتي. وقد بدا الجو غير العدائي السائد متناقضاً مع خطورة المواضيع المطروحة.

بدأت المحادثات بالتوتر عند طرح الأمور المالية. وبالرغم من نفي الفريقين، فإن الموضوع المالي أخذ حيّزاً طويلاً وصعباً من المناقشات.

طلب عزت ابراهيم مبلغ ١٠ مليارات دولار. وبشكل قرض إنْ استحال العطاء. وبعد أخذ ورد وافق ولي العهد على مبلغ ٩ مليارات دولار من القروض.

وقد أحسّ العراقيون بان المقصود من إنقاص المبلغ ملياراً واحداً هو الحطّ من كرامتهم وإهانتهم، فعلّق ابراهيم على الأمر قائلاً: «لست مخولاً من قبل الرئيس صدام حسين القبول بأقل من ١٠ مليارات دولار».

بعد رفع الجلسة وتأدية الصلاة، عاد الوفد الكويتي الى الفندق بانتظار حفل العشاء الذي يقيمه الملك فهد.

يقول عبد الله بشارة، أمين سر مجلس التعاون الخليجي، الذي حضر المناقشات: «لقد أَوْحينا لولي العهد السعودي تقديم اقتراح يتفق عليه الطرفان ويشتمل على النقاط الاربع التالية: وقف حملات وسائل الاعلام الدعائية العراقية خاصة، ووضع حد لتهجماتها، انسحاب القوات المرابضة على الحدود بين البلدين، ثم، وهذا هو الأهم سياسياً، اعتماد إجراءات كفيلة بزرع الثقة المتبادلة بين البلدين بواسطة الحوار والزيارات. . . الخ، وأخيراً التوصل الى اتفاق على تحديد لقاء مقبل».

وهكذا تم التوافق على إجراء المحادثات المقبلة في بغداد مما جعل الكويتيين يشعرون بالراحة لإزالة خطر العدوان الذي كان جاثماً على الصدور ولو بشكل مؤقت. والواقع ان طابع الإقتراحات كان يحوي شيئاً خيالياً أو سوريالياً أمام خطورة الوضع والقلق المتزايد على الصعيد العالمي.

لقد تأثر سوق النفط العالمي بالحشود العراقية على الحدود الكويتية. وفيما كان أعضاء الوفدين يتحضرون للجلوس على مائدة عشاء الملك فهد، سجل سعر برميل النفط ارتفاعاً مقداره ٥٤ سنتاً، وقارب سعر «البرنت»، بترول بحر الشمال، العشرين دولاراً.

بدأ تقديم العشاء في التاسعة والنصف، وأتى الملك فهد، الذي أحيط علماً بمجرى المفاوضات وبمبلغ التسعة مليارات دولار التي يرفض الكويتيون تجاوزها، يرافقه الملك حسين الواصل منذ ساعات فقط.

جلس الملك فهد متوسطاً ولي العهد الكويتي وعزت ابراهيم. وكان الجو ثقيلاً بالرغم من محاولات الملك فهد جرّ الحديث الى أمور تتعلق بتربية الحيوانات وتأصيل الخيول. وقد بدت جهوده كحوار مع الذات. فالعراقيون صامتون والكويتيون محبطون ومصدومون. ولم ينجح الفريقان في إخفاء مشاعرهما. وقد عبر، فيما بعد، أحد أفراد الوفد الكويتي عن ذلك بالقول: «على العراقيين أن يكونوا في قرارة أنفسهم، خلال هذا العشاء، سعداء. فقد انتهى اللقاء دون الوصول الى نتيجة وهذا ما كانوا يخططون له».

في نهاية الحفل، توجه الملك فهد نحو ضيوفه وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه، مبدياً استعداد المملكة العربية السعودية بدفع مبلغ

المليار دولار المتنازع عليه «هبةٌ من بلدي الى العراق دون شروط» .

شكر العراقيون الملك بحرارة . وبعد قليل ترك فهد المائدة وتوجه الى مقصورته . وكانت الساعة تقارب الحادية عشرة والنصف . وقد أراد الملك فهد، بهذه المبادرة، تنفيس الاحتقان بين الوفدين، وشاركه في هذا الشعور الملك حسين الذي ترك بدوره العراقيين والكويتيين وجهاً لوجه من جديد .

توجه الأمير سعد نحو عزت ابراهيم قائلاً :

ـ قبل الغوص في التفاصيل المتعلقة بمبلغ التسعة مليار دولار. علينا رسم حدودنا المشتركة . نستطيع إنجاز هذا الامر الآن . وبعد ذلك تصبح الأموال في حوزتكم على الفور.

تملك عزت ابراهيم الغيظ واتهم الكويتيين بسوء النية قائلاً :

ـ لماذا لم تطرحوا قضية الحدود في بداية اللقاء؟

فجاء جواب الأمير غريباً بعض الشيء .

ـ نحن لا نملك تعليمات ببدء مناقشاتنا انطلاقاً من هذا الموضوع .

عند هذا الحد ، بدأ الحوار يتخذ طابع الحدة اذ قال الأمير سعد بأن الكويت تلقت تأكيدات من الحكومة البريطانية بعدم حصول الهجوم العراقي .

وهذه الملاحظة التعيسة والمستفزة جعلت عزت ابراهيم يرد عليه :

ـ نعرف جيداً كيف نحصل على الأموال منكم ومن السعوديين .

وقف العضوان الرئيسان في مواجهة بعضهما وصوتهما يتهدج غضباً :

ـ لا تهددنا، أجاب سعد، لدى الكويت أصدقاء أقوياء (لا بد أن تفكيره اتجه الى الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا العظمى)، لدينا حلفاء، سوف تضطرون الى تسديد القروض المتوجبة لنا عليكم.

كانت هذه التهديدات هي كلمات اللقاء الأخيرة التي نطق بها الوفدان، فقد اتجها الى الفندق دون ان يتصافحا. كانت الساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل والملك فهد يغط في سبات عميق.

الأول من آب، تلقى سعدون حمادي، في العاشرة صباحاً اتصالاً هاتفياً، في غرفته، من مساعد وزير الخارجية الكويتي يقترح عليه إصدار بيان مشترك عن المحادثات. استمع حمادي مطولاً الى الاقتراح الكويتي المعروض الذي تضمن عبارة جعلته يقفز عن سريره. تقول العبارة «حققت المفاوضات تقدماً ملموساً».

أجاب سعدون حمادي محدثه بأنه في حاجة لمناقشة الأمر مع رئيس وفده.

ذهب حمادي الى غرفة عزت ابراهيم شارحاً له الموضوع فعلّق الاخير قائلاً: «ليس صحيحاً، لم يُسَوّ شيء، لا نستطيع ذلك».

أعاد حمادي الاتصال بالوزير الكويتي المساعد ليبلغه بان كل وفد سيصدر البيان الذي يراه مناسباً.

غادر الوفد الكويتي جدة في الساعة الرابعة بعد الظهر. وفور وصوله اتجه ولي العهد الى قصر بيان وهو مقر مؤتمرات شُيِّدَ عام ١٩٨٦ وفيه مكاتب الأمير.

بدا ولي العهد مثقلاً بالهموم خلال رحلة العودة إذْ أفضى الى مساعديه «الذي حدس بكارثة سوف تحصل».

غادر العراقيون السعودية دون لقاء وداعي مع مضيفيهم. تركوا جدة عند الظهر وحطوا لوقت قصير في المدينة المنورة. فسعدون حمادي نائب رئيس الوزراء كان شيعياً تقياً. وصلت بهم الطائرة الى بغداد الساعة الرابعة وتوجه إبراهيم، رئيس الوفد، على الفور للقاء صدام حسين الذي كان ينتظره بفارغ الصبر، فعرض له مبررات فشل المحادثات بالتفصيل.

استدعى صدام حسين أعضاء مجلس قيادة الثورة وقد اتخذ القرار قبل مضي ساعة على بدء الإجتماع: سيتم اجتياح الكويت ليلاً.

في اليوم ذاته ارتفع سعر البترول ٦٠ سنتاً. وعند العبدلي، نقطة الحدود الوحيدة بين البلدين، كانت السيارات ما زالت تمر بشكل عادي.

أما في إسرائيل، فقد أوردت الصحف نبأ مسلياً يفيد بعرض خط صدام حسين على خبير بالخطوط دون معرفته لصاحب الخط بالطبع فقال «ان صاحب هذا الخط بحاجة الى طبيب نفسي». وعند المسؤولين الاسرائيليين، لم تكن الساعة ساعة ترقب وتهيؤ. ففي هذا النهار بالذات كان الجنرال أمنون شاهاك رئيس الاستخبارات العسكرية يتهيأ لحفل عرسه. وقد طرح عليه الصحافيون المختلطون بالمدعوين إمكانية الغزو العسكري العراقي، فأجاب بالنفي وسيماء المرح بادية عليه. ولم تكد تمضي ساعات عدة حتى ذهب في رحلة شهر العسل.

أما جيمس بايكر فقد وصل لتوه الى اركوتسك في وسط سيبيريا الساعة السابعة مساءً بالتوقيت المحلي لإجراء محادثات مع نظيره السوفياتي أدوارد شيفارنادزه.

وكان الرجلان يجهلان ما ينتظرهما في هذه المدينة العادية المحفوفة

بالطرقات الواسعة وذات الابنية الرمادية. انهما سوف يدخلان أول امتحان فعلي للعلاقات الاميركية السوفييتية.

«بدأ عهد جديد» عبارة رددها جورج بوش وميخائيل غورباتشيف في أكثر من مناسبة ولم يخطر ببالهما ان هذا العهد سيفتتح بطريقة مأساوية. فقد علم بيكر، بواسطة خط هاتفي مباشر مع واشنطن، بالوضع المتأزم في الخليج. وبدأت الأشياء تأخذ بنظره منحى خطيراً.

التقى بايكر بشيفارنادزه على عشاء منفرد. فالسوفياتي صاحب الشعر الأبيض والابتسامة العريضة أثبت لخمس سنين خلت، وهو على رأس الدبلوماسية السوفياتية، بأنه مفاوض جيد بالرغم من عدم وجود شيء يؤهله لهذا المنصب. فهو ضابط سابق في الـ (ك. ج. ب) ثم وزير داخلية ثم رئيس جمهورية جورجيا حيث مارس سياسة قمعية.

اتخذ الرجلان مكانهما في المقعد الخلفي لسيارة من ماركة زيل سوداء. واجتاز الموكب شوارع مدينة إيركوتسك وكان الهواء البارد يحرك الأعلام الأميركية المنصوبة على جانبي الطريق.

تتابعت الاحداث بسرعة. وبدا أن الولايات المتحدة الأميركية تخرج من غيبوبتها لتأخذ الامور بين يديها. فتتالت الاجتماعات على أعلى مستوى بين الوزراء المعنيين طيلة النهار في مركز وزارة الخارجية. أثبت فشل مؤتمر جدة وتزايد القوات العراقية على الحدود بأن صدام حسين لا يبغي فقط الضغط على الكويت، فقد تلقى الاميركيون معلومات من وكالة الاستخبارات المركزية تفيد باحتمال حصول غزو للكويت.

في البنتاغون كان الجنرال كولن باول رئيس الأركان ـ وهو الأسود الوحيد الذي استطاع الوصول الى منصب كهذا ـ مجتمعاً بعد الظهر مع

كبار المسؤولين في غرفة مجاورة لمركز القيادة العسكري. وهو بمثابة صرح لجهاز الدفاع الاميركي. وقاعة الاجتماع هذة المسماة «مصفحة» معزولة عن كل خطر تجسس الكتروني.

حتى تاريخ ٣٠ تموز، لم يكن البنتاغون يُؤْمِنْ بإمكانية الغزو العراقي. فبحسب محلليه، لا تتوفر لصدام الشروط الاربعة التالية: شبكة اتصالات جيدة، مدفعية قوية، ذخائر هامة، دعم لوجستي قادر على مساندة الهجوم.

في أول آب، أصبحت كل هذه الشروط مؤمنة ولكن استبعاد العدوان شكّل القناعة السائدة الى درجة دفعت بالجنرال شوارزكوف للعودة الى مركز قيادته في فلوريدا فور انتهاء الإجتماع.

في اليوم ذاته، كان مضر بدران ـ رئيس الوزراء الاردني ـ يعقد اجتماعاً مغلقاً مع أعضاء البرلمان. لقد شارك مضر بدران الملك حسين في محاولاته السلمية بين العواصم العربية. وليومين مضيا زار بغداد ثم الكويت.

قال بدران للنواب الحاضرين: «من الواضح ان العراق لا يقبل بتنازلات. انه لا يريد إلغاء ديونه فقط ولكنه يعتبر ان اتجاه الكويت ودولة الامارات لزيادة إنتاج النفط هو أمر أسوأ من الحرب مع ايران».

على مدى ثلاث ساعات شرح بدران للنواب مجموعة من التفاصيل حول الموقف العراقي. وعلى ذلك علّق أحد النواب فيما بعد: «من الواضح انه على علم بغزو قريب خلال الساعات القليلة المقبلة وهو يريد تحضيرنا لذلك».

رفع رئيس الوزراء الجلسة في الساعة العاشرة ليلاً. ومن الصدف

الغريبة ان اسرائيل علمت، بواسطة استخباراتها العسكرية، عن طريق الأردن، ان الهجوم وشيك الحدوث.

فسارعت الى إبلاغ وكالة الاستخبارات المركزية بحسب الاتفاقات المعقودة بينهما منذ عدة سنوات.

في واشنطن، كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف مساءً حين غادر ريتشارد هاسّ ـ مسؤول علاقات الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي ـ وزارة الخارجية ليعود الى البيت الأبيض، بعد ان شرح له الجنرال سكوكروفت رئيس مجلس الأمن القومي وجهات النظر التي طرحت اثناء الاجتماع.

لقد ظهر واقع جديد عند الأميركيين، فلم يعد التوافق قائماً حول الرأي السائد من قَبْل بان العراق يعرض عضلاته فقط لإرغام الكويت على التراجع عبر المفاوضات.

بعد نصف ساعة، غادر سكوكروفت وهاسّ مكاتب الأمن القومي في الطبقات السفلية. وذهبا معاً للقاء بوش في الطابق الأول من المبنى الرئيسي للبيت الأبيض. وتحادثا معه لمدة ٤٥ دقيقة عن الاجتماع المشترك الذي تم في وزارة الخارجية. وخلال اللقاء رن جرس الهاتف فأجاب سكوكروفت وكان المتحدث روبرت كيميت ـ الرجل الثالث في الدبلوماسية الأميركية ـ بصفته وزير الخارجية بالنيابة لغياب جيمس بايكر ومساعده لورنس ايغلبرغر.

أطلع كيميت سكوكروفت على معلومات لم يتم تأكيدها بعد عن بدء إطلاق عيارات نارية باتجاه الكويت.

وكان كيميت قد تحدث للتو الى بايكر في أركوتسك. وبما أن الخط

غير آمن ومعرض للتنصت فقد أجرى معه حواراً ملتبساً حاول خلاله إرسال المعلومات بدقة مع الحفاظ على أسلوب غامض.

فهم بايكر بأن الغزو أصبح وشيكاً وقد أطلع شيفارنادزه على الأمر حين رآه بعد نصف ساعة في لقاء ثان.

قال بايكر:

«ان مصادر معلوماتنا تؤكد حشوُدات كثيفة على الحدود الكويتية وتتنبأ بغزو قريب. نأمل ان تحاولوا إيقافه».

ان بايكر هو صديق شخصي لجورج بوش. وكلاهما متحدر من طبقة المجتمع الراقي للساحل الشرقي، ولديهما مَلَكَةُ التعبير دون انفعال عن أشد الأمور مأساوية.

توجه بايكر الى شيفارنادزه، وهو يكن له احتراماً، ببساطة وكأنه يتوجه لأحد زملاء الدراسة في برنستون فتلقى شيفارنادزه حديثه بمزيج من الانزعاج وعدم التصديق وأجابه بأن القادة السوفيات يعرفون صدام حسين منذ وقت طويل (وقد قدموا له مساعدة عسكرية كبيرة وعقدوا معه سنة ١٩٧٢ معاهدة تعاون وصداقة). «إنه زبون» قالها ادوارد شيفارنادزه بابتسامة فريدة: «انني واثق، لا أعتقد انه حضّر خطة للغزو».

بعد قليل، توجها لعقد مؤتمر صحافي دون أن يعرفا بأن اجتياح الكويت قد تم.

كانت الساعة تقارب الحادية عشر ليلاً حين وصلت معلومات كاملة للرئيس الأميركي ولمعاونيه مصدرها وكالات الاستخبارات تؤكد

حجم الغزو. فقوات صدام لا تكتفي بالمناطق الحدودية بل تتجه نحو كل البلد.

في مدينة الكويت. تم إيقاظ ولي العهد عند الواحدة والنصف ليلاً بالتوقيت المحلي بواسطة مكالمة أجراها وزير الدفاع من مركز القيادة العسكرية العامة وأخبره باجتياز القوات العراقية للحدود الكويتية.

كانت الفكرة الأولى التي وردت الى ذهن الأمير سعد تنسجم مع قناعته الخاصة بأن صدام سوف يكتفي بوضع يده على حقول النفط القريبة من الحدود وربما ايضاً على جزيرتي بوبيان ووربة الواقعتين عند مدخل الخليج واللتين يطالب بهما منذ سنوات.

اتصل ولي العهد سعد على الفور بعدد من أفراد الأسرة الحاكمة. وكان الذهول يسيطر على الجميع ويزيد في حدّته الأنباء المتوافدة الى القيادة العامة. مئات الدبابات الثقيلة (ت ٦٢) السوفياتية الصنع تتجه نحو العاصمة مصحوبة بشاحنات تنقل عشرات آلاف الرجال ودعماً لوجستياً هاماً من الماء والمحروقات.

أذاع راديو بغداد بياناً أعلن فيه أن «مجموعة تحاول قلب الحكم في الكويت». وبعد قليل صدر إعلان عن مجلس قيادة الثورة يؤكد نجاح الانقلاب وأضاف «هؤلاء الشباب الثوار يطلبون دعم العراق، وتلبية لنداء الحكومة المؤقتة في الكويت قرر العراق تقديم المساعدة».

«لقد طُلِبَتْ مساعدة العراق للحيلولة دون أي تدخل أجنبي في شؤون الكويت وفي مصير الثورة». كما وصف البيان أسرة الصباح «بالخائنة وعميلة الصهيونية».

تمت السيطرة بسرعة على القاعدتين الجويتين الكويتين الرئيستين.

فقاعدة أحمد الجابر، قرب المطار المدني، احتلت على يد مظليين دون مقاومة تذكر، وقاعدة علي سالم قرب الحدود السعودية قصفت بشدة قبل القيام بانزال الطائرات العامودية فيها.

قبل حدوث الاجتياح مباشرة، هبطت طائرة تابعة للخطوط البريطانية تحمل الرقم ١٤٩ في مطار الكويت وهي متجهة إلى كوالا لامبور (ماليزيا). وكان على متن البوينغ (٧٤٧)، ٣٦٧ راكباً إضافة إلى الطاقم الذي يَعُدُ ١٨ شخصاً. وما كادت الطائرة تحط على المدرج الساعة الثانية صباحاً حتى بدأ بعد دقائق معدودة قصف المطار وتحرك الدبابات باتجاهه. فأطبق الفخ على هؤلاء المسافرين الذين تحولوا إلى أسرى بالقوة.

ولم يُبْدِ الجيش الكويتي المؤلف من ٢٥٠٠٠ جندياً سوى مقاومة بسيطة أمام آلة الحرب العراقية.

في الرابعة صباحاً، تأكد لولي العهد ولسائر أفراد أسرة الصباح بأن وقف الحرب مستحيل. وكانوا على اتصال دائم مع سفارة الولايات المتحدة الأميركية. وحين علم الأمير الحاكم، يحيطه عدد من أفراد أسرته، بأن القوات العراقية أصبحت على بعد عدة كيلومترات من العاصمة، قرر ترك قصر دسمان وهو قصر ضخم تحيطه أسوار عالية وتعيش فيه الأسرة الحاكمة.

أخذت قوات الحرس الأميري أماكنها حول القصر دون أن ينتاب أحد شك في عدم مقدرتها على رد قوة النار العراقية. لقد حل الجنون محل الخوف وبدأت الأوامر والأوامر المضادة تتلاحق.

هل نرحل في الحال أم ننتظر قليلاً بعد؟ هل نطلب تحضير طائرة

من أحد المراكز العسكرية الجوية؟ لم يعد الأمير يثق بسلاحه الجوي، وفي شتى الأحوال لا بد وأن يكون العراقيون قد سيطروا عليه.

كان آل الصباح يعيشون، ربما لفترة مؤقتة، اللحظات الأخيرة من حكم دام قرنين ونصف من الزمان. فقد أصبحت الكويت، بفضل الذهب الأسود، أغنى دولة في العالم يصل ناتجها المحلي الخام إلى ٢٠ مليار دولار. وإذا كان النفط حقق للكويتيين الغنى لسنوات طويلة فها هو اليوم يتسبب في خسارتهم. فهم بعنادهم وفقدان بصيرتهم لم يفهموا أنهم يشكلون فريسة سهلة «للنشال» جائع مرتقب وكان صدام لهم بالمرصاد.

بدأت أصوات الانفجارات والأسلحة الأتوماتيكية تقترب من القصر وبدأ الدخان الأسود المتصاعد يُشاهدُ من النوافذ وأخذت القذائف تصيب الأبنية والمستودعات إصابات مباشرة. فلم يساور آل الصباح أدنى شك: إن قصر دسمان هو بين أهداف الغزو الأولى وربما يكون الهدف الرئيسي لقوات صدام حسين.

توقفت سيارات عديدة أمام المدخل الرئيسي حيث أخذ الخدم، في حركة رواح ومجيء مستمرة، يضعون الحقائب والأغراض.

في الخامسة إلا ربعاً، حشر آل الصباح أنفسهم في سيارات الليموزين التي اجتازت كالإعصار، للمرة الأخيرة، حدائق القصر الرائعة.

سار الموكب في طرقات خالية إلا من بعض الوحدات الكويتية المصفحة المتوجهة إلى جبهة لا تنفك تقترب.

توقف الحديث على التفاصيل وتم إجراء اتصال هاتفي أخير قبل أن تقف السيارات أمام السفارة الأميركية.

صافح السفير الأميركي الأمير وحاشيته وكان في انتظارهم أمام باب السفارة. وتوقفت طائرة عامودية على بعد أمتار جاهزة للإقلاع ومحركاتها دائرة فركب الأمير وولي العهد وعدد من الأشخاص وتقرر أن يذهب الآخرون براً إلى المملكة العربية السعودية. فالحدود لا تبعد سوى ٥٠ كلم تقريباً والطريق لا زالت آمنة.

أقلعت الطائرة فتسنى للأمير المتعب الأعصاب، بفعل تلاحق الأحداث، رؤية القوات العراقية تدخل ضواحي العاصمة وهو يضع وجهه ملتصقاً بالزجاج.

وبسبب فارق التوقيت الزمني، كانت اليابان أول دولة اقتصادية ومالية كبرى تعرف بتفاصيل الاجتياح وتتابع تطور الأحداث ساعة فساعة. فالولايات المتحدة يلفها الظلام وأوروبا غارقة في السبات.

تعتمد اليابان بنسبة ٩٠٪ من مستورداتها النفطية على الخليج. وهي اعتبرت ما يجري بمنتهى الخطورة. فارتفعت مباشرة أسعار النفط في السوق حيث تجري عمليات بيع وشراء الشحنات بالمفرّق وليس بالجملة. وما لبث ارتفاع الأسعار أن سرى كالنار في الهشيم في كل مراكز الشرق الأقصى المالية، ليصل في ٢ آب إلى أسواق نيويورك ولندن وزوريخ وفرانكفورت وباريس.

كان الملك حسين نائماً في قصره المشاد وسط عمان، فاستيقظ على رنين الهاتف إلى جانب سريره. نظر إلى الساعة وهو شبه نائم فوجدها السادسة صباحاً. وكان قد أعطى تعليماته منذ زمن بعيد إلى وزرائه وكبار

مساعديه بعدم إزعاجه في ساعة مبكرة كهذه إلا لأمر خطير جداً.

للوهلة الأولى لم يستطع الملك حسين معرفة الصوت الذي يصرخ على الطرف الآخر من الخط «هل سمعت ؟ هل سمعت؟؟»

صحا الملك حسين فجأة فعرف أن المتكلم هو الملك فهد الذي يطلبه من جدة. «إجتيحت الكويت والعراقيون على بعد كيلومترات قليلة من العاصمة الكويتية. عليك أن تتصل بصدام حسين وأن تطلب منه سحب قواته للحدود، للمنطقة المتنازع عليها».

وحاول الملك الأردني تهدئة فهد. في اللحظة ذاتها، السادسة والربع، أيقظ الشاذلي القليبي، أمين عام الجامعة العربية، وزير الخارجية الأردني مروان القاسم ليطلب منه إعلام الملك بالأمر. فقرر مروان القاسم خرق التعليمات واتصل بالقصر والقلق يتملكه من ردة الفعل التي سيلقاها فدهش حين أخبره الملك انه على معرفة بالوضع.

السادسة والنصف صباحاً، حاول الملك حسين الاتصال عبثاً بصدام حسين. وهو جرّب كل الأرقام التي بحوزته. ولم يستطع سوى التحدث مع طارق عزيز وزير الخارجية العراقي.

كان صدام حسين في قصره المحصّن قرب العاصمة محاطاً بقادة جيشه وأعضاء مجلس قيادة الثورة يتابع أخبار تقدم جيوشه في الكويت. وفي السادسة والنصف صباحاً أصبح الغزو انتصاراً فقواته باتت تسيطر على مجمل البلاد وتعمل على تنظيف بعض جيوب المقاومة في العاصمة.

كان يستمع إلى التقارير المقدمة إليه وإلى الأخبار الواردة من الجبهة دون أن يحاول إخفاء سروره. فالبلد الذي احتله للتو هو خزنة مال حقيقية. وهو، بحسب رأيه، جزء لا يتجزأ من العراق. ولم يكن صدام

يشك لحظة أنه بمحاولته تصحيح خطأ القوى الاستعمارية كان يتحدى سائر العالم.

وحتى السادسة والنصف، لم يكن صدام على علم بمحاولات الملك حسين اليائسة للاتصال به.

في ذات الوقت، كانت الساعة تشير إلى الحادية عشر والنصف ليلاً في واشنطن أي نصف ساعة قبل بداية اليوم المشؤوم: ٢ آب.

بعد اجتماعهما مع جورج بوش، توجه سكوكروفت وهاسّ في التاسعة ليلاً إلى قاعة الاجتماعات المجهزة في طوابق البيت الأبيض تحت الأرض.

تحيط بهذه القاعة غرف عديدة تملأ جدرانها الخرائط الضخمة التي تلقي الضوء على مناطق العالم المختلفة. وكانت المعلومات الواصلة إلى البيت الأبيض تُنقَلْ مباشرة على هذه الخرائط. وبالإضافة إلى ذلك، تم تجهيز القاعة بعدد من العقول الالكترونية المتطورة تسمح بالاتصال الفوري بأية نقطة على الكرة الأرضية، وبنظام اتصالات يعتمد الشيفرة بين البيت الأبيض والبنتاغون ووزارة الخارجية.

كان الحاضرون إلى جانب سكوكروفت وهاسّ: جون روبسون مساعد وزير الخزانة، روبير كيميت ممثلاً جيمس بايكر، مدير وكالة الاستخبارات المركزية وليام وبستر ومساعده ديك كير، الأميرال ديف جيريميا مساعد رئيس الأركان، بول وولفووتيز من وزارة الدفاع.

كان هؤلاء جميعاً، وصورتهم على الشاشة، يتبادلون النقاش والمعلومات ويصنّفونها. وكلها تشير إلى اتساع الهجوم. وبتركيزه على تنسيق المداخلات والربط بينها، أعطى سكوكروفت الاجتماع طابعه

الشخصي المعتدل والدقيق. وفي كل مرة كان يغادر اللقاء للاتصال بجورج بوش في شقته. وبعد أن اتصل به للمرة الأخيرة في الساعة الحادية عشرة ذهب الرئيس لينام.

اتخذت إجراءات عديدة، ومنها اجتماع عاجل بحضور الرئيس غداة ذلك اليوم الثامنة صباحاً. كما تقرر التجميد الفوري لكل الأموال العراقية والكويتية خاصة. ولكن هذا القرار بحاجة إلى تنسيق على الصعيد العالمي كي يصبح نافذاً وفعالاً.

والواقع أن مسؤولي الكويت كانوا، منذ سنين عدة، يخصصون نسبة ١٠٪ من عائداتهم النفطية لهدفين اثنين:

٢٪ منها تذهب ـ يا لسخرية القدر ـ للعراق بشكل قروض خلال حربه مع إيران. و٨٪ توظف «للأجيال القادمة» وتُدارُ بواسطة «مكتب الاستثمار الكويتي» في لندن.

وحسب التقديرات، بلغت قيمة الأموال التي يديرها المكتب بين ١٠٠ و١٢٠ مليار دولار. أما توظيفات الكويت في الولايات المتحدة الأميركية فكانت تمثل ١٠٪ من مجمل استثماراتها الأجنبية. أي ما يوازي ٢٥ ـ ٣٠ مليار دولار موزّعة بين الأسهم وسندات الخزينة والعقارات.

وتعتبر اسبانيا مركز التوظيفات الأكبر حيث يشارك الكويتيون في مجالس إدارة شركات عديدة تعمل في مجالات حساسة كالصحافة والمحروقات والدفاع.

كذلك الأمر بالنسبة للندن التي يلعب فيها مكتب الاستثمار الكويتي دوراً هاماً ويمثل عاملاً أساسياً في الحياة الاقتصادية والمالية لبريطانيا العظمى. وعلى الأخص فيما يتعلق بقطاع البنوك والفنادق.

وقد سيطر هذا المكتب، لوقت ما، على ٢٢٪ من أسهم شركة النفط العملاقة بريتش بتروليوم. ولكن، في مواجهة ضغوطات الحكومة البريطانية، اضطرت الكويت إلى الاكتفاء بـ ٩,٩٪ من أسهم هذه الشركة.

أما في المانيا الاتحادية فإن الأموال الكويتية تسيطر على عدة فروع من الشركات الهامة. وفي اليابان، تعتبر الكويت أهم مصدر أجنبي للتوظيفات بشكل سندات خزينة أو نشاطات مالية.

كل البلدان الرأسمالية إذن، بما فيها جنوب افريقيا، كانت مخترقة من قبل مكتب الاستثمار الكويتي.

لم يكن صدام حسين بحاجة لأكثر من ساعات قليلة حتى يغيّر في موازين القوى. فبتحوله إلى سيدٍ لآبار النفط الكويتية أصبح يهيمن على ١/٥ البترول المنتج على الصعيد العالمي. هذا إذا لم نأخذ بعين الاعتبار إمكانية استيلائه على الاستثمارت الكويتية واعتبارها «غنيمة حرب» يستطيع بواسطتها ممارسة الضغوط على الاقتصاديات الغربية.

لمواجهة هذا الخطر الماثل، تحرك المسؤولون الأميركيون بسرعة. فتم الاتصال ليلاً ببعض الرجال الذين يسكنون واشنطن وجوارها، وتلقوا الأمر بالمجيء إلى البيت الأبيض في الحال. ومعظمهم من المحامين العاملين في إطار وزارة العدل. وكان الواحد منهم يجتاز مكتب الأمن عند مدخل المركز الرئاسي دون أن يعرف سبب استدعائه. وخلال دقائق، أصبح الجميع يعرف الغاية من مجيئه: صياغة وثيقة قانونية يوقعها الرئيس وتشمل كل الاجراءات اللازمة لتجميد الأرصدة العراقية والكويتية على الأرض الأميركية.

إنه قرار معادي لبغداد ويهدف إلى الحفاظ على مصالح حكومة الكويت في المنفى. وبينما كان المحامون يعملون على صياغة مسوّدة الوثيقة، بدأ مساعد وزير الخزانة بإجراء اتصالات هاتفية بحكام البنوك المركزية في عواصم أوروبا وآسيا، ليطلب منهم اتخاذ الاجراءات لتنفيذ تجميد الودائع في أسرع وقت ممكن قبل أن تبادر بغداد، بواسطة الحكم الجديد الذي نصبّته في الكويت، إلى اتخاذ مبادرات معينة. وكان حكام البنوك المركزية يصابون بالدهشة من هذا الاتصال الهاتفي الصباحي. والعديد منهم علم بالاجتياح العراقي للكويت بواسطة مساعد وزير الخزانة نفسه.

في الرابعة و٤٥ دقيقة صباحاً تم إيقاظ جورج بوش فقد كانت المستندات جاهزة للتوقيع وبالتالي للتنفيذ. وقد أعلن القرار بواسطة مكتب البيت الأبيض الاعلامي.

بدأت فرنسا بتجميد الودائع الكويتية والعراقية. وحذت بريطانيا حذوها فيما يتعلق بـ ٥,٤ مليار جنيه من ودائع الكويت في البنوك البريطانية وآثرت الانتظار حتى ٤ آب لتجميد الودائع العراقية.

وقد سمح الاجتماع الليلي المستمر في البيت الأبيض باتخاذ مبادرات أخرى. فبعد أن أفاقوا من آثار الصدمة الأولى، تمكن الأميركيون من وضع تصور أول للمواجهة.

لم يكن الخيار العسكري قد طرح بعد ولكن الخيارات السياسية كانت واضحة. فقد تم الاتصال بالأمير ومساعديه فور وصولهم إلى جدة. وعملوا معهم من أجل دعوة عاجلة لمجلس الأمن الدولي.

في منهاتن، مركز الأمم المتحدة، كانت السيارات تفد تباعاً فقد

وصل السفراء ومندوبو الدول إلى المبنى الزجاجي المشاد على ضفة الهدسون. وعند الساعة الرابعة والنصف صباحاً تم التصويت على القرار ٦٦٠ (الأول فيما يتعلق بموضوع الغزو العراقي) الذي دعا بغداد إلى انسحاب مباشر وفوري وغير مشروط من الكويت وإلى إعادة الأمور لنصابها. وقد رفضت اليمن وحدها التصويت في حين وافقت الصين والاتحاد السوفييتي وفرنسا وبريطانيا وحتى كوبا. أما سفير العراق في واشنطن فعلق بقوله «إن حكومتي لبت نداء المساعدة الصادر عن الشباب الكويتي الثائر».

استند القرار إلى الفصل السابع من شرعة الأمم المتحدة الذي يقرر اتخاذ عقوبات ضد البلد المعتدي، حتى إذا فَشِلَتْ.يُصارُ إلى حصار أو عمليات برية وبحرية وجوية من قبل قوات الدول الأعضاء في الأمم المتحدة.

في واشنطن، لم يكن أمام سكوكروفت وهاسّ وكل من شارك في الليلة الماراثونية التي استمرت من التاسعة مساء حتى الخامسة صباحاً سوى ثلاث ساعات للعودة إلى منازلهم، والاستحمام، وتبديل الملابس. لأن الاجتماع المرتقب مع جورج بوش يبدأ الساعة الثامنة تماماً في البيت الأبيض.

العاشرة والنصف صباحاً (التاسعة والنصف من مساء الليلة السابقة بتوقيت واشنطن المحلي) توجه الوزير الأميركي والوزير السوفييتي بعد مؤتمرهما الصحافي إلى المطار.

شيفارنادزه سيطير إلى موسكو برفقة دنيس روس مساعد الوزير الأميركي. جيمس بايكر إلى عاصمة منغوليا أو لان باتور».

أثناء رحلته، أجرت واشنطن اتصالاً ببايكر وأبلغته تفاصيل الغزو العراقي. وحين كانت طائرته تتجه نحو منغوليا ـ بدت تلك الدولة الواقعة بين الاتحاد السوفييتي والصين والتي تعد مليوني نسمة في عزلة عن الجنون الذي يعصف بالعالم.

هبط بايكر في المطار واتجه على الفور إلى مؤخرة الطائرة حيث يوجد الصحافيون فأعلمهم بالحدث.

حط شيفارنادزه في موسكو بعد ساعة من الزمن ولم يكن على علم بما حدث. وما أن ترجّل حتى سأله أحد صحافيي وكالة تاس:

ـ هل عندك شيء تقوله بشأن الغزو؟

ـ أي غزو؟

ـ غزو العراق للكويت!

فرفض الوزير، محرجاً الإجابة قائلاً:

ـ ليست لدي معلومات. سأعود إلى مستشاريّ.

استدار بعنف صوب مساعده تاراسنكو قائلاً له بلهجة غاضبة «اعرف حالاً ماذا يحصل».

توجه روس مباشرة إلى سفارة الولايات المتحدة واتصل ببايكر واقترح ضرورة صدور بيان مشترك سوفييتي ـ أميركي، لا يدين الغزو فقط بل يدعو إلى عمل مشترك ضد العراق. وافق بايكر واتصل بجورج بوش للحصول على موافقته. فرأى الرئيس ان الفكرة ثاقبة وأعطاه الضوء الأخضر. ثم أعاد بايكر الاتصال بـ روس في موسكو قائلاً له «حضّر نص البيان ولكن احرص على أن يكون جيداً».

تقرر أن يختصر بايكر زيارته في منغوليا ليعود إلى موسكو ويعلن البيان المشترك مع شيفارنادزه.

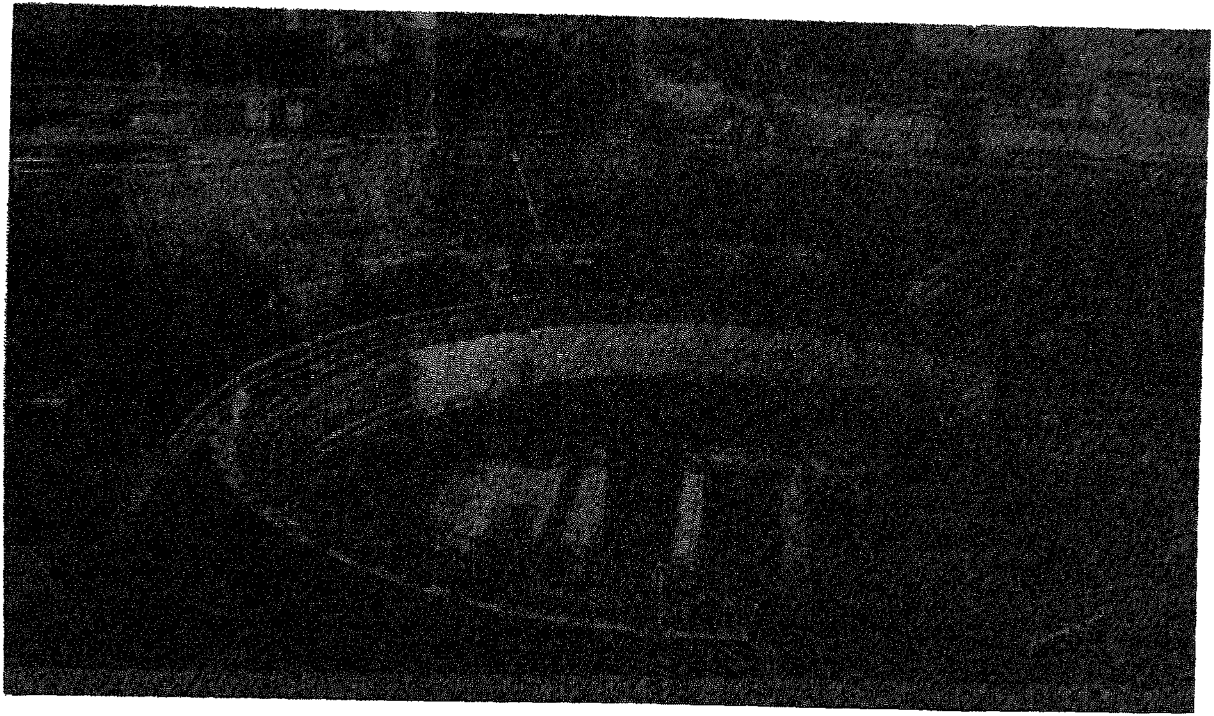
كان روس مكلفاً بتمهيد الطريق أمام الخطوة مع موسكو. فقال لمحدّثه تراسنكو بان مبادرة مشتركة كهذه تمنع دولاً عربية عدة من التحالف مع العراق، كما تحول دون لعب صدام حسين على تناقضات الدول العظمى. وبدا تراسنكو حائراً في البداية ولكنه أجاب بعد استشارة شيفارنادزه «نحن موافقون».

«جيد جداً أجاب مساعد الوزير الأميركي، يجب أن يكون البيان حازماً، لا تنسى أن بايكر سيأتي خصيصاً إلى موسكو من أجل إعلانه».

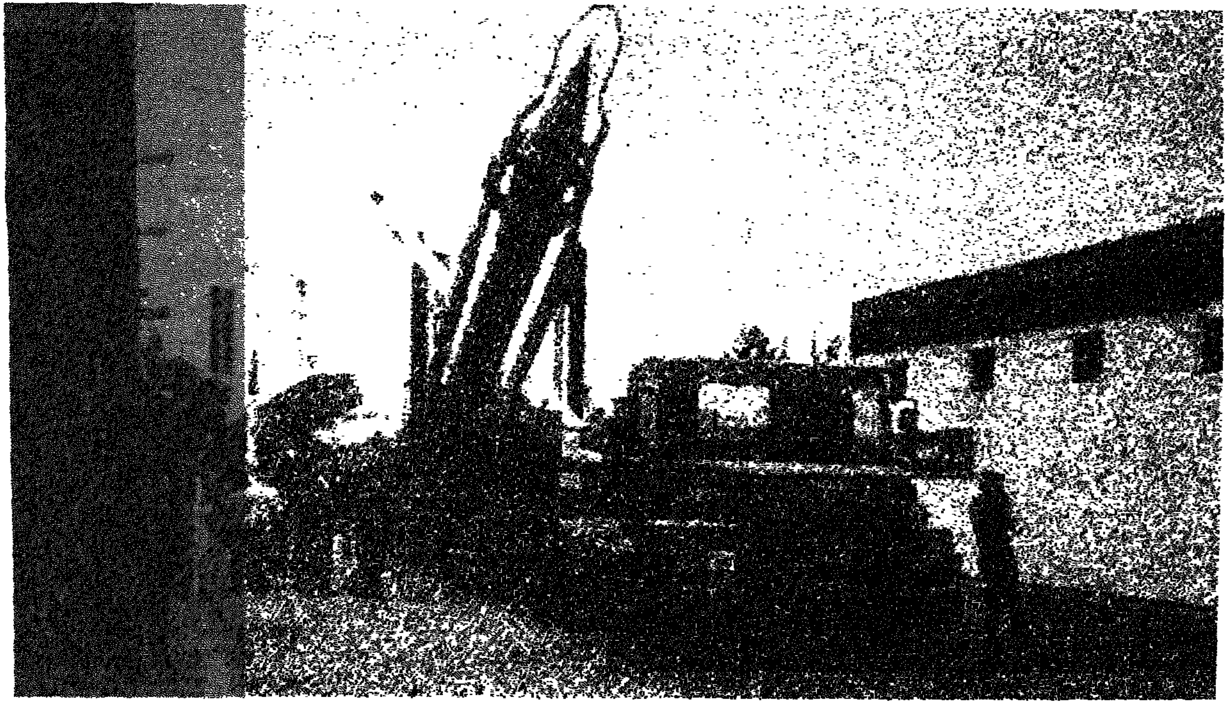
كان أبو أياد، الشخصية الثانية في منظمة التحرير الفلسطينية والمسؤولة عن قضايا الأمن والاستخبارات ينام في فيلته الواقعة في ضواحي تونس العاصمة. وكانت زوجته قد وصلت لتوها من الكويت حيث تقطن.

لقد استيقظوا إثر اتصال هاتفي تلقوه من أفراد الأسرة في الكويت يفيد بحصول معارك قريبة من منزلهم. فارتدى أبو أياد ملابسه وذهب لمقابلة عرفات وهو يعرف أن رئيس منظمة التحرير يعمل حتى ساعة متأخرة في منزله في حيّ صامد.

كان زعيم منظمة التحرير على علم بالنبأ. وهو أيضاً كان قد أُعْلِمَ عن طريق أقارب له في الكويت. فاتفق الرجلان على القيام، في الغد، بجولة تشمل عدداً من العواصم العربية.



المفاعل النووي العراقي الذي دمرته الطائرات الإسرائيلية في تموز ١٩٨١



«أبو العباس»، صاروخ سكود عراقي مطوّر

الفصل السادس
الصدمة

كانت الساعة قد جاوزت منتصف الليل بقليل في لندن أي الثانية صباحاً في الخليج، حين تلقى الدبلوماسي ـ المناوب في مِكتب وزير الخارجية البريطاني ـ اتصالاً من سفارته في الكويت تعلمه بالإجتياح وتعطيه تفصيلاته الكاملة. فاجتاز الأروقة الصامتة في الوزارة ليتصل، على خط خاص، بمركز رئيسة الوزراء، عن طريق مكتب الـ «٢٤ ساعة» وهي الدائرة التابعة لرئاسة الوزارة التي تتلقى، دون انقطاع، كل المعلومات الهامة. جرى الاتصال على الفور بمارغريت تاتشر التي كانت قد وصلت لتوها الى آسبن في الكولورادو غربي الولايات المتحدة الأميركية حيث ستشارك في الغد، في أعمال مؤتمر برفقة جورج بوش. كانت الساعة في آسبن السابعة مساءً، وبسبب فارق التوقيت، الأول من آب.

في هذا الوقت، كان رئيس الوزراء الياباني كايفو يقضي اجازة لخمسة أيام في غوما وهي منطقة جبلية تبعد مئة كلم الى الشمال من طوكيو. ولقد علم بالاجتياح بعد ساعة تماماً من حدوثه، بواسطة مسؤولين في وزارة الخارجية فأبدى التعليق التالي: «إنه أمر مؤسف».

اما أبريل غلاسبي، سفيرة اميركا في بغداد والتي كانت، لأيام خلت، مطمئنة لمحادثاتها مع صدام حسين، فقد أصيبت بالدهشة وعلمت بالإجتياح في لندن، ٢ آب صباحاً، وهي تدير التلفاز في غرفتها. وكانت في الفندق بصحبة والدتها، وأما كلبها فقد تم ترحيله عن بغداد، لاحقاً، على متن أولى الطائرات التي قامت بنقل السيدات الاميركيات.

وبالنسبة لمستشار المانيا هيلموت كول، فقد اتصل به مساعده الخاص ادوارد آكرمن من بون الساعة التاسعة في فيلته حيث كان يمضي عطلة الصيف على ضفة بحيرة في منطقة سان جيلجن النمساوية. وكان أول اتصال لكول مع مسؤولين سياسيين أجانب جرى بعد ثلاثة أيام عندما أبلغه جورج بوش بنيته في إرسال قوات عسكرية الى المملكة العربية السعودية.

إنه الذعر في مدينة الكويت. حاول مواطنون كُثُرْ الهرب الى السعودية ولكن الطرقات كلها مقطوعة وخاضعة لرقابة القوات العراقية. أما العائلات التي أُوقفَتْ على الحواجز فعوملت بعنف وانتزعت من سياراتها الهواتف اللاسلكية لمنع استخدامها في اعطاء معلومات عن تحرك القوات العراقية.

كانت المروحيات تحلق باستمرار فوق المدينة المطوقة بـ ٣٠٠ دبابة وآلية تقوم بالدوريات في طرقاتها الخالية. بعض الآليات محترق، وتسمع طلقات المورتر والاسلحة الآلية قرب قصر الأمير المزنّر بخمسين آلية ثقيلة وفي الحي التجاري. وخلال هذه المعارك، الأعنف منذ بدء الإجتياح، قتل الشيخ فهد، الأخ الاصغر للأمير، الذي كان قد آثر البقاء.

أغرقت بعض الزوارق الخافرة العراقية بواسطة مدمرات كويتية مزودة بالصواريخ. ولكن الامر لا يتعلق سوى ببعض من جيوب المقاومة الكويتية القليلة العدد التي تصدت للجيش العراقي. وفي بداية فترة بعد الظهر، خفت الطلقات ثم انعدمت نهائياً. والحصيلة الاجمالية كانت مقتل مئتي كويتي.

خلال ساعات قليلة، حقق صدام حسين حلمه فأصبح يسيطر

على ٢٠٪ من احتياطي البترول العالمي، كما أصبح يملك مئتي كلم من الشواطىء المطلة على الخليج.

أما العالم العربي فقد اكتشف، متأخراً، تصميم صدام حسين. ولم يعد بمقدور أية دولة من الدول المجاورة للعراق، من الآن فصاعداً، الإحساس بالأمان، كسوريا الشقيقة اللدودة والعربية السعودية الغنية والضعيفة. ومن احدى ضواحي الكويت، أرسلت احدى الاذاعات السرية صوت استغاثة:

«أيها العرب، لقد انتهك شرف الكويت، هلموا لمساعدتها» ثم أضاف المذيع باكياً «إنْ أطفال الكويت ونساءها وشيوخها تستغيث بكم».

سيبقى العالم العربي الذي وقع تحت هول الصدمة صامتاً أمام هذا النداء. بسبب الخوف ربما، وبسبب الاضطراب والفوضى على الأرجح.

لم يبق سوى الملك حسين الذي بذل جهوداً جبارة لوقف التدهور. وقد تمكن اخيراً، حوالي التاسعة والربع، من الاتصال بصدام حسين. ولم يكن الزعيم العراقي منفعلاً أو متشدداً، بل شرح للملك أنه، في وجه المؤامرة المتصاعدة ضده، لم يكن يملك خياراً آخر.

اعترف الملك حسين «بصدمته» من جراء اتساع العملية وطلب اللقاء مع صدام حسين فوافق الأخير على الفور.

خرج الملك حسين من اللقاء مقتنعاً بإمكانية حل سريع عبر مفاوضات تتم في إطار عربي. فاتصل هاتفياً حوالي الساعة التاسعة واربعين دقيقة بحسني مبارك الموجود في الاسكندرية وأطلعه على محادثاته مع صدام حسين واقترح عليه عقد قمة عربية مصغرة في القاهرة أو

الرياض صبيحة ٤ آب. وحتى ذلك الحين، أضاف الملك، ينبغي تجنب التصريحات المعادية للعراق كي لا يؤدي هذا الامر الى إلغاء القمة. فأكد حسني مبارك دعمه الاقتراح قائلاً: «أنا أدعم موقفك». وكان الملك حسين ينوي الاتصال مجدداً بصدام حسين وإطلاعه على محادثته مع حسني مبارك إلاّ أن هذا الأخير اعترض على ذلك قائلاً: «لا، لقد خذلني».

في الساعة العاشرة، اتخذ العديد من وزراء الخارجية العرب، مقاعدهم في قاعة قصر المؤتمرات في القاهرة وهو مبنى أقامته الصين الشعبية حديثاً. فهم أتوا جميعاً ليشاركوا في المؤتمر الاسلامي الذي كان موعده قد حدِّد منذ شهور طويلة.

وبضغط من المسؤولين الكويتيين والسوريين تم تأجيل الجلسة وطلب من وزراء الخارجية العرب التوجه الى فندق سميراميس حيث تعقد من الساعة الثانية والربع جلسة خاصة لمجلس جامعة الدول العربية.

افتتحت الجلسة في جو من الضغط والهلع وكان قد مضى على اجتياح الكويت أكثر من ١٠ ساعات والقوات العراقية تسيطر تماماً على كل البلد.

ترأس فاروق القدومي، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية، الإجتماع بحسب نظام جامعة الدول العربية القاضي بترؤس الجلسات مداورة بين الاعضاء.

طالب الوفد الكويتي بالتطبيق الفوري لمعاهدة الدفاع العربي المشترك القاضية بمساعدة الدول العربية لأية دولة تتعرض للعدوان العسكري. ولكن الوزراء الحاضرين آثروا الصمت والترقب باستثناء ممثل

الامارات العربية الذي أيّد الطلب .

وصرّح وزير الخارجية السوري بأمور مدهشة فقال بأن العلاقات السورية الكويتية كانت قد ساءت (لأسباب مالية على الأرجح) في حين تحسنت العلاقات السورية ـ العراقية . ولكن ـ تابع القول ـ إن سورية تحترم ميثاق جامعة الدول العربية الذي يَعتبر اجتياح بلد عربي لآخر، عملاً يتطلب الادانة .

حضر السفير العراقي في القاهرة اللقاء ولكنه لم يكن مخوّلاً القيام بمفاوضات مع دول عربية أخرى فاكتفى بابلاغ الحاضرين، إثر اتصاله ببغداد، أن وفداً عراقياً برئاسة سعدون حمادي سوف يصل الى القاهرة .

رفعت الجلسة في الثانية والنصف على ان تستأنف السادسة مساءً . وبات كل وفد ينتظر، بلهفة مضمون الموقف الذي يحمله حمادي . عندما رفعت جلست الجامعة العربية كان جورج بوش، في الثامنة صباحاً، يهم بدخول قاعة الإجتماع المجاورة للمكتب البيضاوي . وكان قد سبقه اليها كل الشخصيات المدعوة التي اتخذت امكنتها حول طاولة كبيرة تملأ القاعة . ولقد حضر الاجتماع : نائب الرئيس دان كويل، سكرتير البيت الأبيض جان سنونو، وزير الخزانة نيكولا برادي، وزير العدل ريتشارد ثورنبورغ، وزير الدفاع ريتشارد تشيني، مدير الاستخبارات المركزية وليام وبستر، رئيس الاركان كولن باول، الجنرال شوارزكوف رئيس القيادة المركزية الأميركية (السانتكوم) الذي سيتولى قيادة القوات الأميركية المرسلة الى الخليج فيما بعد، الجنرال سكوكروفت ومساعده هاسّ وروبير كيميت .

لقد حضر الاجتماع كل رجال الإدارة عند بوش لمواجهة أخطر أزمة

منذ توليهم مسؤولياتهم. وسمح للصحافيين والمصورين الذين يحملون أذونات من البيت الأبيض بالدخول ليتسنى لهم سماع بوش في أول تصريح علني له حول الازمة:

«اسمحوا لي بالقول أن الولايات المتحدة الأميركية تدين الغزو بشدة وتدعو الى انسحاب دون شروط. ولا مكان لغزو عنيف وحشي كهذا في عالم اليوم». ثم أغلقت الأبواب مجدداً واستمرت الجلسة سرية حوالي الساعة.

تناولت المناقشات موضوع العقوبات السياسية والاقتصادية التي ستتخذ ضد العراق. وعند بداية الاجتماع توجه سكرتير البيت الأبيض سنونو بالحديث الى ريتشارد تشيني سيّد البنتاغون ليقترح عليه ـ دون ان يدري احد إن كان يتكلم بجدية ـ إرسال طائرات (ب٢) ـ التي تعجز الرادارات عن التقاطها ـ لقصف العراق.

كان سنونو رجلاً منطوياً وصاحب شخصية تسلطية. وقد تكلم تشيني بعد صمت طويل وردّ مرتبكاً:

«يوجد بتصرفي طائرة واحدة من هذا الطراز. أما الطائرات الباقية فلم تنته التجارب عليها بعد».

والواقع أن إدارة بوش وجدت نفسها بمواجهة مشكلة من النوع الستراتيجي: فمنذ عشر سنوات، لم يغب التدخل العسكري في الخليج عن الاحتمالات الواردة في ذهن الادارة الأميركية. وإثر سقوط شاه ايران عام ١٩٧٩ أنشأ جيمي كارتر قوة تدخل سريع لحماية حقول النفط

ووضع خطة سريّة يحمل ملفها الرقم (٩٠ ـ ١٠٠٢). ولكن أمرين لم تأخذهما الخطة في الحسبان: فقدان الكويت واجتياح العراق لها. والسبب في غياب هذين الاحتمالين هو اقتصار تصور الولايات المتحدة لطرفي الصراع الاستراتيجي على أميركا والاتحاد السوفييتي فقط. وكانت مهمة تنفيذ الخطة السرية ملقاة على عاتق السنتكوم الذي ظهر الى الوجود عام ١٩٨٣. ولكن، بالرغم من رصد ٢٠٠٠ مليار دولار لتجهيز الجيوش الاميركية وتحديثها، كان المسؤولون العسكريون الاميركيون يعانون مأزقاً يصعب التفلّت منه. فالقوات الاميركية أُعدت ودُرِّبت على معارك من النوع الذي يمكن أن يجري في اوروبا أو كوريا وليس رمال الصحراء. يضاف الى ذلك أن البنتاغون لم يكن جاهزاً للمواجهة بعد. وهو بحاجة بالتأكيد الى وقت أطول بكثير من الأشهر التي تطلّبها التحضير لعملية بنما واعتقال نورييغا. وقد صرّح أحد المشاركين في الاجتماع «نحن ننطلق عملياً من الصفر».

وحين سأل جورج بوش عن القوات الجاهزة للإرسال على الفور، جاءه الجواب، كالصاعقة: ٢٥٠٠ جندي فقط من الفرقة (٨٢) المحمولة جواً التابعة لحصن براغز في كارولينا الشمالية. في حين يلزم اعداد القوات الباقية أربعة أسابيع على الأقل. وحتى بعد تلك المدة سيبقى ميزان القوى العسكرية لمصلحة صدام حسين الذي يملك مليون رجل مقاتل و ٥٥٠٠ دبابة. وقد صرّح أحد المسؤولين العسكريين الحاضرين «ليس لدينا الخيار العسكري الجيد. لا رجال لدينا في ارض المعركة». والواقع، بالرغم من محاولات الولايات المتحدة المتكررة، لم تكن السعودية تسمح باقامة قواعد عسكرية اجنبية دائمة في أراضيها.

كانت الساعة تشير الى التاسعة حين أعطى جورج بوش أوامره

بدرس كل الاحتمالات العسكرية وتقديمها له يوم السبت ٤ آب في كامب دايفيد. كما دُرِسَ خلال الاجتماع احتمال إيفاد وزير الدفاع ريتشارد تشيني الى المملكة العربية السعودية ولم يتم الحسم في الاقتراح.

في التاسعة والربع غادر بوش الاجتماع وذهب الى مكتبه البيضاوي لدرس بعض الملفات. ثم توجه بسرعة الى حديقة البيت الأبيض الجنوبية حيث كانت مروحية في انتظاره لنقله الى قاعدة أندروز. ومن هناك على متن البوينغ الرئاسية الى آسبن في الكولورادو حيث من المفترض أن يلقي خطاباً عن مسائل الدفاع. وكانت قد خطرت في ذهن الرئيس فكرة إلغاء الخطاب، الذي كان موعده قد حُددَ منذ أشهر عدة إلا أنه، في اللحظة الأخيرة أبقى عليه بسبب رغبته في لقاء مارغريت تاتشر.

والواقع ان رئيسة الوزراء البريطانية تمارس أبعد الأثر على الرئيس بوش. وفي الطائرة، عدّل بوش في نص خطابه الاصلي، بمساعدة برنت سكوكروفت رابطاً بين أزمة الخليج وضرورة الحفاظ على وسائل الدفاع الأميركية. وفور انتهائه من ذلك طلب الإتصال بحسني مبارك في الاسكندرية.

وصل الملك حسين الى الاسكندرية المدينة المصرية الساحلية وكانت الساعة تشير الى الرابعة بعد الظهر. وقد أكد الملك للرئيس المصري أنه بات مقتنعاً بحل المسألة سلماً وبإمكانية إقناع صدام حسين بالانسحاب من الكويت شرط عدم إدانة جامعة الدول العربية له. ورجاه عدم مهاجمة العراق حتى موعد القمة المصغرة المرتقبة في ٤ آب فقبل مبارك.

رنّ جرس الهاتف والملك الهاشمي والرئيس المصري في ذروة محادثاتهما. وكان صوت بوش، الموجود على علو عشرة آلاف متر فوق

الاراضي الاميركية، في منتهى الوضوح.

تكلم بوش مع مبارك لمدة خمس دقائق ثم مع الملك حسين لمدة ٢٥ دقيقة. وسمع مبارك الملك الاردني يقول: «نحن نستطيع تسوية الأزمة، الاهتمام بها واستيعابها. ولكن، جورج، نحن بحاجة الى قليل من الوقت». فأجابه بوش: «لك الوقت كله ـ أنا أثق بك».

كان الصالون حيث يتحادث الرجلان يطلّ على فسحة واسعة مطلة على البحر. وتبدو الاسكندرية في الأفق من بعيد. وكل شيء كان يبعث على التفاؤل. وقد بدا الملك حسين مسكوناً بقناعة مفادها أن أزمة الكويت ستتحول الى مجرد خطوة ناقصة تنتمي لعالم الذكريات. أما مبارك، الأكثر حذراً، فتظاهر، أو أرغم نفسه على الاعتقاد بواقعية هذه القناعة.

الساعة الخامسة مساءً، عقد في القدس اجتماع عاجل للكنيست ـ البرلمان الإسرائيلي ـ خُصِّصَ للعراق. وكان وزير الدفاع الإسرائيلي موشي أرينز قد استقبل، قبل ذلك بقليل، السفير الأميركي واعداً إياه بتقديم كل المعلومات اللازمة للولايات المتحدة الاميركية.

وفي الواقع، كشف الغزو العراقي للكويت بعض نقاط الضعف الاسرائيلية، فهذا البلد أي العراق «غير مغطى كفاية» من الناحية الاستخباراتية. وقد واجهت إسرائيل على الدوام، بالنسبة لهذه القضية، نقصاً في العملاء. وعدم إمتلاكها لقمر صناعي تجسسي يرصد المنطقة ويغطيها.

اكثر من ذلك، كان الأميركيون يرفضون منذ عام ١٩٨١ إعطاء اسرائيل الصور والمعلومات المنقولة بواسطة الأقمار الصناعية عن المناطق

التي تبعد ٥٠ كلم وأكثر منها. فهذه المسافة تعتبر كافية ـ حسب رأي واشنطن ـ كحزام أمني لتجنب أي خطر مباغت. وقد اتخذت الولايات المتحدة هذا الإجراء الإحترازي بعد قصف اسرائيل للمفاعل النووي العراقي «أوزيراك».

غداة ذلك اليوم، في الثامنة صباحاً، اجتمعت الحكومة الإسرائيلية في جو مشحون. وقد انتقد بعض الوزراء كآرييل شارون الثغرات العديدة في رصد إسرائيل للوضع العراقي. كما أثار داني روتشيلد، وهو مساعد مسؤول أجهزة الاستخبارات العسكرية ـ كان رئيسه يقضي شهر العسل ـ، في العرض الذي قدّمه نقاشات حادة وصاخبة. وقد تكوّن عند جميع الحاضرين إنطباع بأن الاستخبارت الإسرائيلية فوجئت بتوقيت الإجتياح العراقي.

وفي حين كانت ناقلة الطائرات أندباندنس مع سفن المواكبة التابعة لها تبحر نحو الخليج، حيث يفترض أن تلتقي بطرادة ومدمرة وخمس فرقاطات، كانت شركة التأمين البريطانية الشهيرة لويدز تعلن تعرفة جديدة فرضتها على كل السفن المبحرة في الخليج. وفي هذه الأثناء كان سعر برميل النفط المستخرج من بحر الشمال يسجل في لندن ٢٤ دولاراً.

قبل مغادرته عمّـان، حاول الملك حسين، عبثاً، الاتصال بالملك فهد. فأعطى أوامره لوزير خارجيته مروان القاسم بالسفر الى جدة لكي يطلب تحديد لقاء الملك الاردني مع فهد.

وبعد محاولات عديدة قام بها القاسم وانتظار طويل جاء الجواب السعودي لوزير خارجية الاردن بأن: «لا تنتقل الى جدة».

وقد وفق حسني مبارك بهذا الشأن وكان حظه أكبر. فحين طلب منه

الملك الاردني، قبل مغادرته الساعة السادسة مساء متوجهاً الى بغداد، الاتصال بالمسؤولين العرب، ومن بينهم الملك فهد، وإقناعهم بالبقاء على الحياد خلال الساعات الثماني والاربعين المقبلة، نقل حسني مبارك هذا الطلب للملك فهد الذي وافق عليه.

في اللحظة ذاتها، كان وزراء الخارجية العرب يجتمعون في فندق سميراميس بانتظار وصول الوفد العراقي المرتقب. وأبدى مندوبو دول الخليج استياءهم لرفض الجامعة العربية إدانة العدوان. وكان هذا أيضاً رأي السوريين أعداء صدام حسين الألدّاء.

وبعد انتظار ثلاث ساعات ونصف، في جو يزداد توتراً، اجتاز سعدون حمادي قاعة الإجتماعات ووصل الى المنصة الساعة التاسعة والنصف مساءً.

وحين بدأ نائب رئيس الوزراء العراقي بتلاوة البيان، كانت الصدمة شاملة، فالجميع كان ينتظر منه مشروعاً للسلام لا للحرب.

أكد سعدون حمادي منذ بداية الخطاب بأن «لا مفاوضة بشأن الوضع في الكويت». وعلى مدى ٣٠ دقيقة من الحديث استعاد الحجج العراقية كافة: إن الولايات المتحدة الأميركية وبعض الدول العربية تتآمر على العراق عن طريق إبقاء اسعار النفط منخفضة. وهي بذلك تمنع هذا البلد من استعادة عافيته الاقتصادية المتدهورة بسبب الحرب الايرانية العراقية.

خلت مداخلة حمادي من التنازلات فقد أكد بحزم أن العراق منع إيران من التوسع في المنطقة خلال سنوات الحرب الطويلة وشكّل الدرع الواقي لدول الخليج. وبالرغم من هذه الحماية رفضت هذه الدول

«إعطاءنا المساعدات المالية التي كنا بأمّس الحاجة إليها».

وحين انتهى حمادي وجلس على مقعده خيّم الذهول على الجميع. لقد اقفلت بغداد الباب أمام كل حل فاتخذت أزمة الكويت فجأة لوناً قاتماً. وبعد التفاؤل ـ المبالغ فيه ربما ـ ساد إحباط عام.

رفعت الجلسة الى التاسعة من صباح اليوم التالي، ولم يعد لدى الحاضرين أي شك حول مصير الجلسات الباقية. وبقي الأمل الوحيد في حل عربي معلقاً على المقابلة التي كانت تجري بين صدام حسين والملك الاردني.

في بغداد، بدأت المناقشات بين الرجلين وكانا يجلسان بقرابة بعضهما وبدا الرئيس العراقي أكثر انشراحاً من الملك الاردني. فبعد أن شكره على جهوده شرح له أسباب الإجتياح: «لقد حذرت بأنني، في حال فشل محادثات جدة، سألجأ الى وسائل أخرى لحل المشكلة وهذا ما حصل».

قدم الملك حسين وجهة نظره مشدداً على ضرورة حل المشكلة في إطار عربي بحت وأضاف: «أخشى التشدّد الأميركي وجهله لطبيعة العالم العربي. فاذا تورطت العناصر الأجنبية وهي لا تملك رؤية وفهم جيدين للمنطقة، فإن الأمور ستسوء بشكل سريع».

تجاوزت الساعة الحادية عشرة ليلاً دون أن يتوصل الزعيمان الى تصور حل للمشكلة، ففضل الملك الاردني المتعب الخلود الى النوم على أن تستأنف المحادثات صباحاً فتمنى له صدام حسين، بدماثة ولطف شديدين، ليلة هادئة.

قبيل هبوط طائرته في آسبن. اتصل بوش بجيمس بايكر الذي كان

يحضّـر لمغادرة منغوليا قائلاً له: «يجب ان يشتمل تصريحك، يا جيم، بدرجة عالية من التعاون مع الاتحاد السوفياتي وإلاّ من الأفضل ألاّ تذهب الى موسكو».

فور وصوله، التقى الرئيس الأميركي، لمرة أولى، بمارغريت تاتشر وحقيبتها الواسعة لا تغادر إبطها. صافحته بحزم وبادرته بالقول: «يجب أن تعرف، يا جورج، إنه لن يتوقف». وقد شاركها بوش في هذا التخوف، وسارع الى الاتصال برئيس اليمن علي عبد الله صالح في حين كانت تجري على عدة امتار منه وقائع المؤتمر حول مسائل الدفاع في إطار الكولورادو الجبلي، مما أعطاه جواً أقرب الى الدروس الجامعية الصيفية.

بعد رئيس اليمن، أحد حلفاء العراق القلائل، إتصل بوش بمقر الملك فهد في المملكة العربية السعودية وأكد له عزم بلاده على حماية المملكة. فشكره مطولاً، ولكن هذا الاهتمام أربكه عوضاً عن أن يسّره. وقد بدا فهد، وهو رجل خجول ومتعب صحياً، يائساً. فالمملكة العربية السعودية اصبحت، كما كان يخشى، في خط المواجهة الأول. وهي كانت تعتبر منذ إنشائها لثلاث وستين سنة خلت واحة استقرار، فأتى اجتياح الكويت «مأساوياً». والأمير الكويتي وعائلته هم ضيوفه من الآن فصاعداً. لقد أكمل التاريخ دورته بطريقة غريبة، ففي عام ١٩٠٢ كان إبن سعود المطرود من بلاده لاجئاً في الكويت عند آل الصباح.

قبل عودته الى نيويورك، التقى جورج بوش ومارغريت تاتشر في فيللا كاتّو الفخمة التي يملكها سفير الولايات المتحدة في بريطانيا. طلبت تاتشر من الرئيس الأميركي درجة عالية من الحزم وتحركاً دولياً واسع النطاق عن طريق الأمم المتحدة. صحيح أن الخيارات العسكرية لم يأت ذكرها ولكن تاتشر، كما روى أحد الشهود، «تحدثت عن صدام حسين

كما تحدث سلفها أنطوني إيدن عن عبد الناصر إبّان أزمة السويس واصفاً إياه بهتلر» .

في الوقت الذي كانت طائرة الرئيس تقلع من آسبن حَوالي الساعة الرابعة باتجاه واشنطن، . كان البنتاغون قد اتخذ عدداً من الإجراءات: تحضير طائرات النقل س (١٤١) العملاقة، إلغاء أذونات طياريها وطواقمها، الطلب من كل العسكريين الإلتحاق بقواعدهم في مدى ثلاث ساعات دون أن يعرفوا سبب استدعائهم. وقد استقر عدد منهم على متن ٢٨ طائرة س (١٤١) والباقي ركب ٢٦ طائرة س (١٤١). فهبطت المجموعة الأولى، بعد ان اجتازت الاطلسي، في قاعدة (راين مين) العسكرية الأميركية في المانيا. وهبطت المجموعة الثانية في قاعدة تورّيجون في اسبانيا. مشكلين بذلك النواة الأولى للجسر الجوي العملاق الذي سيتم تركيزه بعد أيام عدة مع المملكة العربية السعودية.

ادى دخول أحد الضباط الى قطع حفلة راقصة كانت تقام في إحدى القاعات. إذ أعلم الحاضرين باستدعائهم من قبل قياداتهم دون ان يعطيهم تفاصيل اضافية. ولم يلمحهم أحد بعد ذلك. كانوا ينتمون الى الفرق الخاصة المكلفة بالقيام بأعمال خطرة وحساسة كعمليات الكوماندس أو اتخاذ رهائن. لقد أرسلوا ليلاً الى الشرق الأوسط.

صباح الثالث من آب. تمّ ابلاغ المشاركين في جلسة الجامعة العربية في القاهرة بتأجيل الاجتماع المقرر من التاسعة الى العاشرة صباحاً. ولم يكن بالإمكان تقرير شيء قبل نهاية إجتماع الملك حسين وصدام. فعاش العالم العربي وعيونه شاخصة الى بغداد.

وصدرت استغاثة يائسة جديدة بواسطة الإذاعة من الكويت

المحتلة: «أين الاتفاقات المعقودة بين الدول العربية أين الاتفاقات المعقودة بين دول الخليج، أين الاتفاقات المعقودة بين الأمم الاسلامية. أيها الاخوة في اللغة والدم. إن العروبة والإسلام كبرا معنا وإن الكويت تطلب منكم المساعدة».

خرج الكويتيون في القاهرة الى الشوارع والدموع في أعينهم. فقال أحد الضباط المصريين لشخص كويتي «إن هذا الوضع إهانة للعالم العربي، نحن جالسون نتفرج وكأن شيئاً لا يحصل».

أما العرب فكانوا يتصفحون الجرائد وهم في حالة من الذهول التام. فلا واحدة منها تشجب اعتداء العراق على الكويت. والسّر في ذلك أن مدراء التحرير كانوا تلقوا أوامر مشددة من مسؤوليهم. وكان الاردن، البلد العربي الوحيد الذي أيّدت صحافته صدام حسين.

بعد ليلة من الراحة، استقبل صدام الملك حسين في التاسعة والنصف صباحاً في مقره الرئاسي. دام اللقاء ثلاث ساعات وانتهى الى اتفاق محدد. وقد طرح الملك حسين أسئلة لا لبس فيها:

«ـ هل ستذهب الى القمة المصغرة التي ستعقد في الغد؟

هزّ صدام رأسه علامة الموافقة:

ـ سأكون حاضراً.

ـ هل ستترك الكويت؟

ـ نعم، إذا حُلَّتْ الخلافات بيني وبين الامارة.

وأضاف فيها بعد أثناء اللقاء:

ـ لا أحبذ حضور آل الصباح للقمة. أفضل التفاوض على الحل مع

الملك فهد فعلاقتي معه كانت أفضل على الدوام.

لقد أعطى صدام حسين لضيفه صورة القائد الطيب الارادة والمستعد للتنازلات. ولكن، حين ألمح الملك حسين الى امكانية تنديد الجامعة العربية بالغزو اغتاظ صدام وأجاب: «يجب ألاّ نعمي أبصارنا، إذا تطورت الأمور بهذا الشكل سأعتبر الكويت جزءاً من العراق وألحقها به».

ثم انحنى لجهة الملك وتابع بصوت منخفض كمن يقول سراً: «ثم إنني . . .» وسكت لحظة أعطت حديثه مزيداً من التأكيد «ثم انني في السابق عقدت مع السعودية معاهدة عدم اعتداء مشترك».

حين افترق الرجلان بعد مصافحة طويلة، كان الملك حسين متفائلاً، باسماً، مقتنعاً بنجاحه في احتواء الأزمة. وبعد ساعات قليلة صدر بيان عن صدام يعلن فيه عزمه على سحب قواته من الكويت ابتداء من ٥ آب ويؤكد أن خروج الاسرة الحاكمة من الكويت هو خروج نهائي لا رجعة عنه.

فيما كان الملك حسين يهم بالرجوع الى عمّان، كان ياسر عرفات يصل الى طرابلس الغرب آتياً من تونس وفي برنامجه زيارة مصر والعراق والعربية السعودية. وكل هذه الزيارات بهدف تحقيق المصالحة العربية. فعدد الفلسطينيين المقيمين في الكويت كبير وهم يحتلون مناصب هامة، ومساهمتهم في ميزانية منظمة التحرير لا يستهان بها.

وجد عرفات في طرابلس الغرب القذافي في غاية الاضطراب والتأثر بالغزو. وما انفك يردد: «أبو عمار، يجب التوصل الى حل سلمي بأي ثمن. لقد حضّرت حلاً من نقطتين» هنا سحب القذافي من على الطاولة

ورقة كتبها بخط يده. وكان عرفات يجلس قبالته بلباسه العسكري التقليدي معتمراً كوفيته، مستمعاً ومبتسماً بمحبة. أما العلاقات بين الفلسطينيين والقذافي فتتميز منذ سنوات طويلة بالتعقيد وبالمفاجآت أحياناً.

تابع الكولونيل الليبي:

ـ على العراق أن ينسحب حتى الحدود المتنازع عليها. ثم يعود الى الكويت أحد افراد الاسرة الحاكمة ولا يكون الأمير نفسه. وعلى الشعب الكويتي أن يقرر من يحكمه.

هذا بالنسبة للنقطة الأولى أما الثانية فلم تكن أقل بعداً عن الواقع منها. وبالرغم من ذلك لم يبد عرفات رأياً.

والواقع أن السيطرة على الأزمة ستفلت من يد العرب شيئاً فشيئاً ابتداء من ٣ آب.

افتتح بوش في البيت الأبيض، بعد الظهر، اجتماعاً لمجلس الأمن القومي وحوله ريتشارد تشيني وزير الدفاع وبرنت سكوكروفت رئيس مجلس الأمن القومي ومساعده ريتشارد هاسّ وكولن باول رئيس الاركان.

أكد الجنرال باول للرئيس بأن كل الخيارات العسكرية تدرس وستكون جاهزة في الغد كما اتفق.

ويبلغ باول ٥٣ عاماً من العمر وهو محارب عتيق من فيتنام. شارك في خمس أزمات منها عملية بنما والإنزال الأميركي في ليبيريا للإفراج عن رعايا الولايات المتحدة.

«من غير الممكن ـ قال باول ـ اللجوء الى القوة العسكرية دون هدف

سياسي معين» . ولم يكن بإمكان بوش سوى موافقته على هذا التحليل .

كان بيد السلطة التنفيذية الأميركية عدة أوراق يمكن استخدامها : دعم الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي. وإنما ينقصها الخيارات العسكرية ودعم العالم العربي. ولدى سؤال وجهه بوش لباول عن مدى الخسائر التي ستتعرض لها القوات الأميركية في الخليج. أجاب دون تردد : «إن المخاطر كبيرة جداً فقواتنا ستكون مكشوفة وهشّة. وإذا قررت سيدي الرئيس، إيفاد قوات عسكرية، يجب أن يحصل ذلك بطريقة مكثفة وفعالة في آن . إختر هدفك، حدّده وحاول الاطاحة به» .

هزّ بوش رأسه دون تعليق. وانتهى الاجتماع بعد ساعتين. وفي حين تفرق معاونوه لأخذ قسط من الراحة، ذهب بوش للاتصال بالملك فهد . وقد حاول رئيس الادارة الأميركية جاهداً إقناع فهد بأن صدام حسين، حسب المعلومات المتوافرة لديه، سيتّجه بعد الكويت الى السعودية . فأجابه الملك فهد، متملصاً، بأن الأمل ما زال قائماً وهو معقود على جهود الملك حسين الرامية الى الحصول على انسحاب عراقي من الكويت وذكّره بالقمة المصغرة المقرر عقدها يوم غد الأحد في ٤ آب .

ـ ولكن، اذا ساءت الأمور، هل تقبل جلالتك بمساعدة عسكرية أميركية؟

ـ ظن بوش، حين بقي الملك فهد ساكتاً على طرف الخط الهاتفي، أن عطلاً طرأ عليه فأعاد السؤال أكثر من مرة الى أن أجابه فهد بنبرة مستسلمة :

ـ اذا ساءت الأمور. نحن نقبل .

هناك عامل آخر في أزمة الخليج أزعج جورج كثيراً وجرّه الى الخطأ. إذ كان يُعوِّل، منذ زمن بعيد، على أهمية ومتانة العلاقات الشخصية بين الزعماء. وكما أكد أحد المقربين منه: «إنه يمارس دبلوماسية شخصية حقيقية»وعلى الأخص عندما كان يرفع سماعة الهاتف ويتحادث بشكل ودي مع أحد الزعماء. «إن جورج ـ كما قال أحد أعوانه ـ يجب أن يتم التعامل معه على أساس (العزيز جورج) الذي يذكره العالم بود لأنه ودود ومُحبْ». ففي قضية الكويت، وبالرغم من التقارير الدقيقة والمنذرة بالخطر التي كانت تصله عن طريق وكالات الاستخبارات، كان الرئيس بوش مقتنعاً بأن العراق لن يجتاح الكويت لسبب بسيط جداً وهو أن زعيمين يثق بهما كثيراً: الملك حسين وحسني مبارك ما انفكا يؤكدان له ذلك.

وكان يثق بكلامهما أكثر بكثير من التقارير السرية المصحوبة بصور تزوده بها الأقمار الصناعية وتصل الى مكتبه على الفور.

لقد اقترفت إدارة بوش خطأ التقدير ذاته الذي وقع فيه الاسرائيليون قبيل نشوب حرب الغفران. ففي الحالتين تمّ تزويد الادارة بكل المعلومات اللازمة الضرورية التي تشير الى حتمية نشوب الحرب. ولكن الاستنتاجات الصحيحة تسرّبت وضاعت من مسرب واحد ويحكمه منطق واحد «العراق، كما مصر في السابق، لن يهاجم».

وعلى مقربة من الاجتماع، في واشنطن ذاتها، وُجد رجل آخر سيلعب دوراً أساسياً في التصلّب الأميركي. إنه جون كيلي مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط الذي يحاول منذ السابعة و ٤٠ دقيقة صباحاً الإتصال من مكتبه بسفير مصر في واشنطن. وعندما أُبلغ بأن

السفير المصري ومساعده سافرا الى القاهرة بعث برسالة الى وزير الخارجي المصري فيها، وما نقل في رسالته كان عنيفاً لدرجة يعتقد معها بعدم أخذه موافقة رؤسائه.

«لقد قام الغرب بواجبه. لكن الدول العربية لا تحرك ساكناً في قضية الكويت. إن الولايات المتحدة باعت، لمصر خاصة، وللبلدان العربية الكثير من الاسلحة. وعلى هذه الدول، إذا لم تتحرك وتأخذ موقفاً حازماً، ألاّ تعتمد في المستقبل على دعم الولايات المتحدة».

فيما بعد نفت واشنطن إتصالها ذلك اليوم بمصر. ولكن مصدراً مصرياً موثوقاً، وشخصية مرموقة أكدت مشاهدتها هذه الرسالة. وعمّ الذهول الأوساط المصرية، ولم يكن الملك الاردني حين عاد الى عمان يعلم شيئاً عن هذا الأمر.

في الساعة الثانية، بوصوله الى قصره، اتصل الملك حسين على الفور بوزير خارجيته القاسم الذي كان ينتظر افتتاح جلسة جامعة الدول العربية: «أبلغ زملاءك ـ قال الملك ـ بأن صدام حسين موافق على الانسحاب من الكويت وعلى الاشتراك في القمة المقررة غداً؟».

بعد مروان القاسم، اتصل الملك حسين بحسني مبارك الموجود في الاسكندرية. ولدينا، فيما يتعلق بالمحادثة بينهما، أكثر من رواية واحدة.

يؤكد الملك حسين أنه فور عودته، حاول جاهداً الاتصال بالملك فهد وحسني مبارك. وأن انطباعاً قوياً تكوّن لديه، إثر محادثته مع مبارك، بأن الرئيس المصري غيّر موقفه.

اما حسني مبارك فيروي ما حصل بطريقة مغايرة:

ـ سألت الملك حسين، هل التزم صدام، بوضوح، الانسحاب من الكويت؟

وبحسب الرئيس المصري أجاب الملك حسين:

ـ كلا، لكنه سيفعل إذا تمكن من الحصول على تنازلات كويتية، بواسطة السعوديين، خلال القمة المصغرة.

ـ ولكن هل التزم صراحة بالانسحاب؟

ـ كلا.

يؤكد مبارك أنه، إثر الحديث الهاتفي، بات مقتنعاً بعدم وجود ضمانات عراقية بالانسحاب. وحتى في حال نجاح القمة المصغرة فليس من الضروري أن يتحقق الإنسحاب.

لقد أكدت لنا شخصيات عراقية رفيعة المستوى بأن الرئيس العراقي، خلال محادثاته مع الملك حسين، قَبل الذهاب الى جدة في ٤ آب وقَبل التفاوض مع الملك فهد وقد أبلغ الملك الاردني قبوله الانسحاب من الكويت إن أثمرت المفاوضات.

كان استياء مساعد كيلي دينيس روس الموجود في موسكو يتضاعف. فمنذ الصباح وهو يحاول، في مقر السفارة الاميركية، الحصول على تعديلات في البيان المشترك. لقد قدّم تراشنكو، مساعد الوزير السوفييتي، مشروع بيان يفتقر الى التحديد ويتصف بالميوعة في الشكل وبالتساهل في اللهجة.

ـ يجب إعادة كتابة البيان ـ قال روس ـ وعلى النص ان يكون أكثر تشدداً.

غاب تراشنكو ساعات ثلاث ثم عاد بمشروع جديد لا يفي بالغرض.

ـ هل تعرف ما الذي سيحصل في حال صدور هذا البيان؟ إذا اعتمدناه نكون أخطأنا الرسالة المطلوب توجيهها لصدام حسين. وهو لن يرى مدى تصميمنا وإصرارنا ووحدة موقفنا المشترك.

ـ أنا موافق تماماً، أجاب تراشنكو، ولكننا، في الوزارة، نصادف بعض المقاومة من خبراء الشؤون العربية الذين يعارضون التخلي عن حليف قديم كالعراق.

غاب تراشنكو مجدداً. وبعد ساعات انتظار طويلة، عاد مزهواً بالإنتصار.

كانت طائرة بايكر تهم بالوصول، فدخل الرجلان سيارة ليموزين اتجهت بهما صوب مطار فنوكوفو.

قرأ روس مشروع البيان فوجده جيداً. ولكنه لاحظ اختفاء الفقرة المتعلقة بوقف شحنات الاسلحة الى العراق. فأشار باصبعه نحو الورقة.

ـ ليس الامر بمهم. أجابه تراشنكو. فوزير خارجيتكم سيتحدث بالأمر مع الرفيق شيفارنادزه.

وصل الجميع قبيل هبوط الطائرة، التي تحمل العلم الأميركي، بقليل. وشد بايكر على يد شيفارنادزه عند سلم الطائرة. فقال له الوزير السوفييتي مع طيف إبتسامة يلوح على شفتيه: «كنت مخطئاً، جيم،

حين أكدت لك بأن الإجتياح لن يحصل»، ثم توجه الإثنان، بصحبة روس وتراشنكو، الى صالونات المطار وسط حراسة مشددة.

قال بايكر: «يجب أن يكون واضحاً للعالم أجمع ولصدام حسين بأننا متفقان». فوافق شيفارنادزه، المُكثر في الكلام والمُطْنب عادة، دون حرارة زائدة. وبعد أن استمع الى الحجج التي قدمها بايكر أجاب: «إننا نصر. الاتحاد السوفييتي لن يرضى بأن تمارسوا دبلوماسية المدفع». فطمأنه بايكر قائلاً: «لن نقوم بأي عمل من طرف واحد، إلا إذا تعرض مواطنون أميركيون للخطر». فهزّ شيفارنادزه رأسه، دون اقتناع كامل، وردّد: «فقط لا تقوموا بأي عمل عسكري».

وصل الى جدة، مساء ذلك اليوم، عزت ابراهيم، الشخصية الثانية في العراق، لإجراء محادثات مع الملك فهد. وفي الوقت نفسه أظهرت صور الأقمار الصناعية أن وحدات من الحرس الجمهوري العراقي وصلت الى الحدود المشتركة بين الكويت والسعودية.

في عمان، كان الملك حسين محبطاً ويشعر بالمهانة واليأس. فلم تكد تمضي ساعة واحدة على محادثته الهاتفية مع مبارك حتى أصدرت وزارة الخارجية المصرية بياناً تدين فيه غزو العراق للكويت بشدة. وقد اعتبر الملك هذا الأمر مؤآمرة مدبّرة من بعض الدول العربية لعرقلة جهوده ولتخريب القمة المصغرة المرتقبة ليوم الغد.

بقي الملك حسين، وهو الرجل العملي والمكافح، لساعات عدة وحيداً في قصره، رافضاً وجود أي كان باستثناء شقيقه الأمير حسن. وقال بصوت منكسر: «على العرب إثبات قدرتهم على حل الازمة بأنفسهم. علينا ألاّ نفشل. إن أسوأ الأمور باتت الآن محتملة».

لم يعد جرس الهاتف يرّن في القصر شبه الخالي. لم يتصل أي زعيم بعمّان. وخلال ساعات طويلة أمضاها بمفرده، تملكه الشك بكل شيء، حتى بنفسه، وفكر للحظة بالاستقالة.

ووصلت إليه في القصر أصداء المظاهرات التي كانت تجري في عمّان وتهتف له ولصدام. وكان المتظاهرون، وغالبيتهم من الفلسطينيين، يصرخون بغضب وكراهية لدول الخليج «الكويت ليست بلداً ولا شعباً ولا عاصمة ولا حتى مدينة. إنها واحة بترول. هذه الدول الخليجية المتعجرفة ترفض منح الجنسية للعرب العاملين في أرضها والذين يخدمونها بشرف منذ سنوات. على صدام اجتياح المملكة السعودية أيضاً».

اعتبر الملك حسين هذه المظاهرات المؤيدة له «انتصاراً مراً» وفي حين كان الليل يسدل ستاره على التلال المحيطة بعمّان، ظهرت أمام الملك صورة الصراعات التي ستفتك بالعالم العربي.

في الوقت نفسه، وبعد أن كان قد علّق جلساته للإفساح في المجال أمام جهود الملك حسين السلمية، إلتأم مجلس الجامعة العربية واتخذ وزراء الخارجية العرب قراراً يدين العراق ويطلب الإنسحاب غير المشروط من الكويت. وقد رفض التصويت على القرار ٧ من أصل ٢١ عضواً وهم: العراق، الاردن، ليبيا، اليمن، السودان، جيبوتي، منظمة التحرير الفلسطينية. وكان وزير خارجية ليبيا انسحب قبيل التصويت.

لم يجهل أحد من المندوبين الذي حضروا اجتماعات الجامعة العربية الضغوطات الأميركية القوية، على شاكلة مبادرة جون كيلي، التي مورست على القاهرة طيلة النهار.

فمصر، مع اسرائيل، هي البلد الأكثر استفادة من المساعدة المالية الأميركية: ٢مليار دولار سنوياً.

ومع أن القرار المتخذ دعى أيضاً الى عقد قمة عربية لمناقشة الإجتياح والتفتيش عن حلول دائمة، إلاّ أن الأمل في تسوية عربية مباشرة قد تلاشى وانتهى.

وبما أنّ صدام حسين كان قَبل حضور القمة المصغرة وقَبل البحث في قضية انسحابه من الكويت شرط عدم إدانة جامعة الدول العربية له ـ باتت هذه القمة في حكم الملغاة.

الفصل السابع
وراء الكواليس

أشارت التقارير الواردة صبيحة الرابع من آب ٢٧ / ١٩٩٠ إلى أنَّ الوحدات العراقية دخلت «المنطقة المحايدة» بين الكويت والمملكة العربية السعودية وتمركزت على بعد كيلو متر واحد من الحدود السعودية. وفي «فورت ميد» حيث مقر وكالة الاستخبارات الوطنية أظهرت الصور التي تلتقطها أقمار التجسس الاصطناعية التي باتت تصور كل كيلو متر من منطقة الأزمة، إنَّ مئة ألف جندي من نخبة الوحدات العراقية قد حُشدت الآن. هذه الوحدات تنتمي إلى الفيلق الثالث والحرس الجمهوري الذي يؤمن إضافة إلى ذلك، الحماية الشخصية لصدام حسين. ويتألف هذا الفيلق من ٨ فرق مقسمة على ٣٠ إلى ٣٣ لواء.

ولقد زود المسؤولون الرئيسيون في الإدارة الأميركية بدراسة سرية تقوم بتقدير ما تمثّله هذه القوات من أخطار:

«يتطلب اجتياح العراق للملكة العربية السعودية عملية عسكرية تفوق بكثير اتساعاً وعمقاً تلك التي قامت بها القوات البرية التابعة لبغداد. وتشمل الأهداف الرئيسية لهذا الاجتياح المرافىء والمطارات القريبة من الظهران (أحد المراكز النفطية الرئيسية) الذي يقع على بعد ثلاث مائة كيلو متر من الحدود الكويتية، على أن يكون الهدف التالي الرياض عاصمة المملكة السعودية نفسها. وتتضمن هذه المنطقة مجمل الأهداف الاقتصادية الحيوية التي يؤدي الاستيلاء عليها إلى إغلاق الخليج على السعوديين، وإلى إعاقة الإمدادات الأميركية.»

وتنتهي الدراسة التي تتطرق إلى الهجمات المختلفة المحتمل أن

يخوضها هذا الحرس الجمهوري على الأراضي السعودية إلى مقارنة تاريخية مدهشة.

«قد تشكل سمعة الحرس الجمهوري الممتازة ثغرة بالغة الأهمية. إذ أنَّ تدميرها أو أي هزيمة قاسية تلحق بها، قد يصيب باقي وحدات الجيش بصدمة معنوية هائلة تؤدي إلى تسريع تفككه وانهياره. فليس من المستبعد أن تكون ردة فعل القوات العراقية مشابهة لتلك التي عرفتها جحافل الجيش الفرنسي الكبرى في واترلو عندما جاءها نبأ انسحاب حرس نابليون القديم. فقد أحدثت صرخة «الحرس يتقهقر» ذعراً عمَّ الجيش الفرنسي بأكمله وأدى إلى انهياره الفوري».

وداخل الاطار الريفي لكامب دافيد، المقر الصيفي للرؤساء، وسط جبال «كاتوكتين»، انعقد الاجتماع الثاني الذي دعى إليه جورج بوش في أقل من أربع وعشرين ساعة. وقد بدأ كالذي سبقه في الساعة الثامنة صباحاً، وحضره إلى جانب برنت سكوكروفت وريتشارد هاس والجنرال كولن باول الحاضرين أصلاً منذ عشية ذلك اليوم، أمين عام البيت الأبيض جون سنونو ووزير المالية نيقولاس برادي ومدير وكالة الاستخبارات الأميركية CIA، وليام وبستر إضافة إلى سكرتير الدولة وزير الخارجية جيمس بايكر العائد من موسكو مساء. وفي شاليه جدرانها من جذوع الاشجار المقشورة، جلس المجتمعون حول طاولة من السنديان، بعد أن تخلوا عن لباسهم الرسمي الصارم وربطات العنق وارتدوا ثياباً مريحة أكثر، كما لو أنهم جاؤوا لقضاء ويك أند طويل، بمعزل عن أي إزعاج خارجي.

والواقع أنهم كانوا في قلب أزمة لم تزل تتعاظم.

وقد بدأ بعض الخبراء العسكريين المدعوين إلى الاجتماع بتقديم تقرير موجز، تحت عنوان: «الوضعية السائدة على الأرض وما يمكننا القيام به».

وقد أثيرت فرضية القيام بنشاطات سرية تهدف إلى خلخلة النظام العراقي أو التخلص من صدام حسين غير أنه لم يصار إلى مناقشة أية خطة بهذا الصدد. وبعد أن أنهوا عرضهم، غادر العسكريون القاعة بعد أن طلب جورج بوش رأي كل واحد من المجتمعين. وكان كل شيء يدور حول الخيارات العسكرية. وكان واضحاً أن انتشاراً عسكرياً أميركياً في الخليج لا يمكن أن يتم عملياً دون دعم ومساندة الدول العربية وخاصة المملكة العربية السعودية. إلا أن الرياض لم تكن مستعدة لإعطاء الضوء الأخضر، وذلك لسببين: كان السعوديون ما يزالون متمسكين باحتمال تسوية عربية، كما كانوا منزعجين جداً من فكرة وجود الجيش الأميركي على أرضهم.

هذا وقد حملت آخر الأنباء عن الوحدات العراقية التي تحتشد على الحدود مع السعودية ما يدعو إلى مزيد من القلق ولكن خاصة، وفي آن معاً، ما يشكل ورقة رابحة في المفاوضات مع الملك فهد. ولقد عبّر بوش عن ذلك بصراحة. وهو منذ بداية الأزمة لم يُخْفِ سخطه المتكرر الناتج عن احباطه من جراء بطء الاستجابة الدولية، وعن غضبه لما يمارسه العراق من قمع وعنف على الكويت.

وعندما أخذ كولن باول الكلام بقي مسمّراً في مقعده، متجهماً، مضموم اليدين، ملامساً انفه بأطراف أصابعه: الخيار العسكري.

منذ الثاني من آب لم يعد الجنرال نورمان شوارزكوف الملقب

«بالدب»، لضخامة مظهره، ينام سوى لبضع ساعات من الليل. وقد بات يكثر من استهلاك السيكار. وهو لم يعد عملياً يفارق مقره العام في ماك ديل وهو قاعدة جوية تقع في فلوريدا. لقد كان شوارزكوف، وهو من قدامى لاعبي كرة القدم ومعروف في وست بوينت بكونه من «أفضل العارفين بشؤون الحياة»، عراب «السانتكوم» (CENTCOM) أو القيادة المركزية. قام استراتيجيو البنتاغون بتقسيم العالم إلى مناطق تدخل. وكانت تلك المغطاة من قبل «السانتكوم» تمتد على أربعة وعشرين مليوناً من الكيلومترات المربعة، من غينيا إلى باكستان. وتحتوي هذه المناطق التي يشرف عليها هذا الجنرال ذو النجوم الأربعة، الذي يعيش سعيداً بين الفظاظة والمرح، تحوي سبعين بالمائة من مجمل احتياطي العالم من النفط..

وعمل شوارزكوف منذ بداية الأزمة بتنسيق دائم مع قيادة الأركان وكولن باول. أما الهدف الذي أوكل إليه فكان واضحاً: القيام بما يلزم لجعل الخطة السرية الشهيرة ١٠٠٢ ـ ٩٠ التي أعدتها إدارة كارتر للتدخل العسكري في الخليج، صالحة لأغراض الدفاع المكثّف عن السعودية.

وقد واجهت «الدب» وأعوانه من الضباط مشاكل عديدة. بداية غياب القواعد على الأرض السعودية ثم حرارة الصحراء التي تتخطى على الدوام الخمسين درجة لتزيد من صعوبة المعارك. إضافة إلى بواعث أخرى للقلق: كيف يمكن تجنب الأسلحة الكيميائية التي يستخدمها العراقيون أو تفادي أن لا تقع طلائع الانزال البحري السريعة العطب بطبيعتها، ضحية مذبحة تسبق وصول الدبابات والمعدات الثقيلة المعدّة لحمايتهم.

كان التدخل في منطقة الخليج هو، على الأرجح، التحدي الأصعب الذي واجهه المسؤولون العسكريون الأميركيون منذ حرب فيتنام. وفي الأسبوع الأخير من تموز جرى تنظيم تمرين تدريبي سمي «راية الحرب ٩٠» لتفحص جهوزية قادة الجيش على الاتصال فيما بينهم عبر العالم. وكانت العملية موجهة نحو الشرق الأوسط، لكن ورغم التوتر المتزايد لم تجرِ الإشارة إلى العراق والكويت والسعودية. ولتفادي كل ما يمكن أن ينشأ من حساسيات، وفي تصرف يتسم بأقصى الحياء الدبلوماسي، طلب الجنرال كولن باول بأن يعمد إلى تقطيع الخرائط وتعديلها: وهكذا لا يبقى أي تشابه فاقع أو مزعج مع بلدان المنطقة.

وبدأت في قاعدة ماك ديل وفي البنتاغون حاسبات ضخمة بالعمل أربع وعشرين ساعة على أربع وعشرين متلقية المستجدات بصورة دائمة. كما وضعت خطة معلوماتية ضخمة، تحت رمز سيبلين، TPFD ـ توقيت مرحلة انتشار القوات ـ طور الاعداد. وتضمنت هذه الخطة تفاصيل حول القوات والمعدات التي يجب إرسالها والوسائل المستخدمة لهذا الإرسال، ومجمل نظم الاتصال المطورة لتنسيق هذه العملية وأيضاً حاجات الدفاع الجوي، وماء الشفة، والمساكن، المتكيّفة مع صحراء السعودية.

كان شوارزكوف وباول اثنان من انتاجات حرب فيتنام. وكل منهما حذر حيال استخدام القوة. كانا مقتنعين بأن حظ أي عملية في النجاح يبقى مرهوناً باستخدامها لوسائل ضخمة على نطاق واسع واستنادها إلى إرادة سياسية لا تعرف أي ثغرة.

وعند الدخول إلى مكتب رئيس قيادة الأركان المشتركة نكتشف لوحة

بيضاء معروضة ومعنونة «قواعد كولن باول» حيث نجد تعداداً لثلاث عشرة حكمة، إحداها تقول «إذا كنتم حذرين فيما تنتقون.. تحصلون عليه». وفي هذه الصبيحة، في كامب دافيد، وقبل أن يبدأ الكلام أمام جورج بوش وأعضاء إدارته، كان باول يحمل بين يديه جميع المعطيات التي زوّده بها شوارزكوف.

«سيدي الرئيس، قال باول، إذا ما قررتم القيام بعملية عسكرية، لا بد من إدخال قواتنا بكثافة وبصورة ملائمة. فمن الواضح أنَّ صدام حسين لا يبحث عن مواجهة مع الولايات المتحدة. إنَّه شرس ولكنه عقلاني. وهو يعلم أنه سيخسر أي حرب يخوضها على نطاق واسع مع الولايات المتحدة. وفي حال حصول تدخل عسكري لا بد من إرسال فوري لقوات مناسبة إلى العربية السعودية وذلك لاظهار تصميمنا الواضح على الدفاع عن المملكة. ولا بد أيضاً من أن يكون للانتشار وطأة كبرى كي يفهم صدام حسين إن الهجوم على العربية السعودية يوازي الهجوم على الأميركيين. كما أن الخطة ١٠٠٢ ـ ٩٠ لا بد من أن تسمح بالسيطرة الجوية والبحرية وإرسال أفواج المشاة بعدد يكفي لتحقيق الإحباط، ولكن أيضاً لخوض المعركة. فما من أمة جنت ربحاً من نزاع يطول».

هذا الكلام هو ما كان يود الرئيس الأميركي سماعه. وبعد مشاورة سريعة لاستمزاج الآراء اتخذ بوش قراره: الضوء الأخضر لوضع الخطة ١٠٠٢ ـ ٩٠ حيز التطبيق، ولإرسال أضخم حملة عسكرية بعد حرب فيتنام إلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية ومن تلك اللحظة، كما يلحظ شاهد عيان، «تحول الرئيس إلى صقر بكل ما للكملة من معنى»، تاركاً فقط لكولن باول مهمة الاعتناء بالتفاصيل.

ولكن الأفواج الأولى لن تغادر إلا بداية الأسبوع التالي، فيما بقيت هذه المبادرة في سرية تامة.

كان لا بد أيضاً من تذليل عقبة أخيرة تفصيلية وهي الحصول على موافقة المملكة السعودية. وطلب بوش من وزير الدفاع شيني التأهب للسفر في اليوم التالي إلى جدة؛ واقترح برنت سكوكروفت أن يصطحب روبرت غايتس الرجل الثاني في مجلس الأمن القومي، والذي شغل سابقاً منصب مساعد مدير وكالة الاستخبارات المركزية، وكذلك سيكون الجنرال شوارزكوف في عداد المسافرين.

انتهى الاجتماع عند العاشرة والنصف. وتقرر إجراء مداولة نهائية بعد ظهر اليوم التالي (الأحد) في البيت الأبيض.

في هذه الاثناء كان ياسر عرفات مجتمعاً بمبارك. كان الرئيس المصري متوتراً ولم يكف عن الترداد بلهجة ساخطة «على العراق أن ينسحب». وذكر بمحادثاته في الليلة الماضية مع الملك حسين العائد من بغداد. وكان مبارك يتحدث وكأنه يسعى إلى تبرير موقفه بأي ثمن.

«لقد سألته إذا تحادث مع صدام حسين حول انسحابه من الكويت. فأجابني كلا. وأنهما تناولا فقط انعقاد قمة مصغرة في جدة اليوم، يفترض أن تضم الملك فهد والملك حسين وأنا وصدام حسين الذي أبلغه موافقته. فأجبته أني لن أذهب إذا لم يكن هناك وعد من صدام حسين بأنه سينسحب».

وكانت مقترحات مبارك متعارضة مع تلك التي قدمها ملك الأردن الذي أكد أنَّ الرئيس العراقي قد ضمن له الانسحاب إذا ما تم التوصل إلى اتفاق ما خلال القمة.

وطوال الحوار بدا مبارك منزعجاً، ربما لأنه، وكما لم يعد أحد يجهل في كل أرجاء العالم العربي، قد تعرض لضغوط أميركية شديدة. وفي لحظة أسرّ لعرفات:

ـ إن عملية عسكرية ستشّن على العراق بين ١٢ و ١٨ آب.

أما زعيم منظمة التحرير وقد فاجأه الخبر فلم يسأله عن مصدر معلوماته. وفي نهاية المحادثات قال عرفات:

عليك أن تذهب إلى السعودية والعراق.

أجاب مبارك على الفور، وهو متجهم الوجه:

ـ اذهب أنت أولاً...

وفكر لبرهة قبل أن يضيف:

ـ نعم اذهب وانظر إذا كان صدام مستعداً كي ينسحب بعدها أذهب بدوري.

الساعة الثامنة مساءً كان الملك «يدردش» مع بعض مقربيه في حدائق قصره في جدة حين اجتاز أحد أعوانه العشب الأخضر واقترب بكل احترام منه:

ـ جلالة الملك، الرئيس الأميركي على الهاتف. كان بوش يتصل به من كامب دافيد حيث كانت الساعة الواحدة بعد الظهر. والكلمات الأولى التي قالها لفهد كانت حرفياً تلك التي وجهتها له مارغريت تاتشر في آسبن بعد ذلك بيومين:

ـ تعلمون، جلالتكم، أنه لن يتوقف... وأعلمه بآخر المعلومات

التي تلّقاها حول حشودات القوات على الحدود السعودية. بدا فهد مضطرباً، هائماً، ومستجيباً هذه المرة لمقترحات الرئيس الأميركي أكثر بكثير من السابق. «حتى الآن، كما أكد أحد أعضاء البيت الأبيض كان الخوف يشل العرب». أما اليوم فقد تحول هذا الخوف إلى ورقة رابحة في استراتيجية بوش، مع المملكة السعودية. وقد دامت المكالمة بين المسؤولين طويلاً. لم يكن الجيش السعودي المؤلف من خمسة وستين ألف رجل يأمل بمجابهة قوة النار العراقية. وقوات بغداد التي حشدت على الحدود كانت كما أوضح بوش وحدات طليعية في وضعية هجومية (ما بدا لاحقاً غير صحيح). كان لا بد من جعل المملكة تفكر بالدفاع عن نفسها وواشنطن تستطيع تقديم الدعم العسكري المناسب. واقترح الرئيس على الملك فهد إرسال وزير الدفاع الأميركي «حاملاً رزمة من تقارير أجهزة الاستخبارات تثبت خطر حصول اجتياح عراقي، مرفقة بخطط دقيقة تعرض لامكانيات انتشار عسكري أميركي في نطاق مملكتكم». قبل فهد بمجيء رئيس البنتاغون ريتشارد شيني. غير أنه طلب من بوش استمهاله ٢٤ ساعة للتفكير قبل موافقته على التواجد الأميركي.

بدا جورج بوش إثر هذه المكالمة أشد ثقة. وأمضى جزءاً كبيراً مما تبقى من ذلك النهار في الاتصال هاتفياً. دائماً من كامب دافيد، لمعاونيه الرئيسيين وبرؤساء الدول الأجنبية. ولا سيما بالرئيس أوزال في انقرة.

فتركيا حليفة الأطلسي كانت أيضاً البلد حيث يعبر ١,٦ مليون برميل باليوم، أي نصف الصادرات العراقية من النفط. ثلاثة الاف كيلو متر من الأنابيب تنطلق من حقول كركوك النفطية لتصل إلى مصبات يومورتالق على شاطىء المتوسط. وكان المسؤولون الأتراك

يعيشون هذه الأزمة بارتباك واضح. إذ أنَّ مرور النفط في أراضيهم كانَ يعود على اقتصادهم بـ ٣٠٠ مليون دولار في العام كما أن بغداد كانت تزود تركيا بثلاثة أرباع ما تحتاجه من الطاقة، ورغم أنَّ الصحافة الوطنية كانت تجمع على إدانة الإجتياح بدا المسؤولون مترددين. فأية خطوة باتجاه أحد المعسكرين يمكن أن تكلف غالياً. وأوضح بوش لأوزال «أنَّ التعاون الدولي ضد العراق يعتمد إلى حد بعيد على إيقاف صادرات النفط». وأضاف أنه قام لتوه بهذا المسعى لدى السعوديين الذين أعطوا، هم، موافقتهم.

كان ذلك تأكيداً سابقاً لأوانه. إذ كان بوش يفضل انتظار تسوية جميع الاشكالات العسكرية قبل التطرق إلى هذه المسألة مع الرياض. فالعربية السعودية كانت الجبهة النفطية الثانية التي منها يعبر النصف الآخر من صادرات بغداد.

كان أوزال، هذا الرجل البدين المدور الوجه بنظاراته مناوراً حاذقاً. وقد قدّر أنه لا بد له من كسب القليل من الوقت ليرى كيف ستتطور الأمور. وهو رغم تأكيد دعمه لبوش لم يقيد نفسه بأي التزام حازم وأحجم عن الإيضاح له بأنه سيستقبل في اليوم التالي موفداً من صدام حسين. وبعد وضع السماعة اتصل أوزال بعدو العراق اللدود الرئيس الإيراني رفسنجاني. وفي اليوم نفسه أشارت معلومات رشحت عن مصادر رسمية في طهران أن صدام حسين اتصل برفسنجاني قبل أسبوعين للتفاوض حول حياد إيران في حال اجتياح الكويت.

وفي عمان، ألقى الملك حسين كلمة أدت به إلى مزيد من العزلة عن الأكثرية في العالم العربي وعن حلفائه الأميركيين. وبعد أن انتقد موقف

دول المنطقة و إدانتهم للعراق أضاف «صدام حسين رجل وطني».

يوم الأحد في الخامس من الشهر آب ١٩٩٠، التقى عرفات، صدام حسين في بغداد. وأعرب رئيس الدولة العراقي عن «صدمته» من جراء إلغاء القمة المصغرة المتوقعة. حتى إنه سأل عرفات: «من برأيك عمل على تخريبها؟» في ذلك اليوم بدا صدام حسين من خلال مواقفه وتصريحاته مزيجاً غريباً من المرارة والعزم. إنه يتكلم طويلاً عن الكويت، يبرر نفسه ويلفت إلى خيبته إزاء ردود الفعل العربية. إلا أنَّ عرفات لاحظ وهو يراقبه أن معنوياته بعيدة كل البعد عن أن تكون منهارة. إن صدام هادىء، وأحياناً فرح، حتى أنه لا يتوانى عن المزاح.

ـ لا بد. مطلقاً، من حل سياسي. قال له عرفات.

ـ إني موافق تماماً. إذهب لترى السعوديين وقل لهم إننا مستعدون للحوار.

في اليوم نفسه عقدت لجنة الدفاع الوزارية الإسرائيلية جلسة سرية في القدس. رئيس الوزراء شامير مكتئب المزاج. «فالعلاقات المميزة» القائمة بين واشنطن والدولة العبرية في أدنى مستوياتها.

وقد كشف شامير لمقربيه بلهجة تُسقط الأوهام: «اتصل بوش هاتفياً بكل حلفائه أي عملياً بكل قادة المنطقة باستثناء ليبيا والعراق وإيران ومنظمة التحرير الفلسطينية «وإسرائيل». وبالنسبة لقادة القدس يشكل موقف إدارة بوش موضوعاً يثير القلق. وبنظرهم يبدو الموقف الأميركي واضحاً: استبعاد إسرائيل والإصرار على إبقائها جانباً كي لا ينفك عقد التحالف العربي الذي ما يزال في طور التشكيل. فكل مقترحات التعاون لا سيما في مجال الاستخبارات، التي قدمت لواشنطن

من قبل القدس بقيت حتى الآن دون جواب .

افتتحت الجلسة السرية وسط أجواء كئيبة . واعتبر وزير الدفاع موشه آرينز أنه «علينا أن نحتفظ بحق التدخل إذا ما تعرضت الوضعية الجيوستراتيجية في الشرق الأوسط للانقلاب أو إذا ما حصل اجتياح للأردن» .

كان رئيس الأركان، الجنرال دان شامرون الذي قاد عملية أنتيبا المظفرة حاضراً، إلى جانب أهم المسؤولين في أجهزة الاستخبارات لا أحد يعتقد بحصول اجتياح للعربية السعودية . «إن حجم ردود الفعل الدولية، كما يعتبر أحد المجتمعين يجعل مثل هذا الهجوم غير محتمل»! أما وفي المقابل فإن احتمال حشد القوات العراقية على الحدود الأردنية يبقى فرضية معقولة ومصدراً للقلق . إن بعض الصواريخ العراقية هي في وضعها للانتشار على الحدود الأردنية ويمكنها أن تضرب القدس أو تل أبيب بأربع دقائق .

«علينا ، قال شامير، أن نزيد امكاناتنا للحصول على معلومات من العراق، معلومات تطال مستويات القرار العليا، وتسمح لنا الاطلاع في الوقت المناسب، وليس بعد فوات الأوان» .

رؤساء أجهزة الاستخبارات يرجحون الضربة . ومنذ الثاني من آب لم تنِ المجادلات، لا سيما في الصحافة، تتعاظم حول دور وثغرات الاستخبارات الإسرائيلية خلال هذه الأزمة، لذلك جرى خلال هذا الاجتماع تشريح للتكتيك المتبع من قبل صدام حسين بتأنٍ ودقة مفرطة، وتم اكتشاف تشابهات عجيبة .

عام ١٩٨٠ عشية الهجوم العراقي على شبه جزيرة الفاو الذي رسم

بداية الحرب الإيرانية ـ العراقية ذهب صدام لتفقد قواته في جبهة بعيدة ليعطي انطباعاً بأنَّ الهجوم سيقع في منطقة أخرى. وبعد عشر سنوات على ذلك قام بدعوة الملحقين العسكريين الأجانب في بغداد إلى الحدود مع الكويت لمشاهدة فرقتيه المرابطتين هناك. وهكذا خلط العراقيون أوراق اللعبة بطريقة ملفتة فمن كان ليصدق بأن بلداً يدعو خبراء أجانب لمشاهدة عتاده العسكري يتحضر للغزو؟ ومباشرة بعد عودة الملحقين العسكريين إلى بغداد، كان صدام حسين قد أعطى الأمر للجزء الأكبر من قواته للتحرك نحو الإمارة، فيما كان السفراء الغربيون والعرب يبرقون إلى عواصمهم رسائل مطمئنة تدعو إلى التفاؤل.

إن حقيقة معيّنة بدت الآن جلية: إسرائيل تفتقد بصورة فظة إلى قمر صناعي عسكري قادر على التقصي والكشف من بعيد لتحركات القوات المعادية. كان لا بد من طلب سريع لمساعدة الأميركيين على تحقيق مثل هذا المشروع. وإثر هذا الاجتماع انضم وزير الخارجية في خلوة إلى شامير وموشه أرينز. كان دافيد ليفي ينوي الذهاب في اليوم التالي إلى واشنطن وذلك بصدد إيضاح تفاصيل الموقف الإسرائيلي حول الموضوعات التي سيصار إلى مناقشتها. هذه الرحلة جاءت في أوانها تماماً. فإنها قد تسمح بسبر النوايا الأميركية فيما يتعلق بأزمة الخليج. ولكن بعد بضع ساعات بدا شامير وليفي متجهمين: كان جيمس بايكر قد أبلغهما لتوه بأنه أرجأ لشهر زيارة وزير الخارجية الإسرائيلية.

في نهاية بعد الظهر كانت الطوافة التي تحمل جورج بوش من كامب دافيد تحط على العشب الأخضر في مقر البيت الأبيض. نزل من الطائرة، مستغرقاً، يقرأ ملاحظة ناوله إياها لتوه ريتشارد هاس الخبير بشؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي، والذي كان سائراً إلى جانبه.

وهذا النص المخربش يقول: «أن الرئيس التركي أوزال على الهاتف».
الصحفيون بالقرب منه يسألونه. بوش يتردد للحظة ثم يتقدم منهم، متوتراً: «احتلال الكويت لن يدوم».

وبالرغم من أن الذي ينتظره على الهاتف هو رئيس ذو شأن كبير فإن بوش بقي يرد لعشرين دقيقة على أسئلة الصحافيين. وفي لحظة من اللحظات رد على أحد الأسئلة بغضب.

ـ لدينا دعم العالم العربي

تجيبه صحافية:

ـ كيف يمكنك أن تؤكد شيئاً كهذا ونحن نرى أينما كان على صفحات الجرائد الأولى صورة صدام حسين مع ملك الأردن؟بوش ، متوتراً يعترض:

ـ أعرف القراءة. ما هو سؤالكِ؟

ثم يتوجه إلى المكتب البيضوي. رسائل دعم وبرقيات من كل المناطق في الولايات المتحدة وصلت إلى الرئاسة. نصوص بعضها قاسية: «إنقض عليه» أو «أطح به».

وهو يطلع عليها، صرح أحد معاوني جورج بوش: «إن أميركا بلد لجوج»

كان ريتشارد شيني، وزير الدفاع قد غادر لتوه واشنطن إلى العربية السعودية وبعدها إلى مصر. وقد اعتبر اللقاء مع فهد لقاءً حاسماً. «إن حججنا تجاه السعوديين، كما سيقول أحد أعضاء البيت الأبيض، واضحة:

«اسمعوا، هذا الرجل كذب وزور لكم ما سوف يفعل قبل خمسة أيام على إقدامه على فعلته. والآن لا يوجد سبب إضافي لتصديقه. تعلمون المثل «أن يلدغنا مرة تبّاً له، أن يلدغنا مرتين تبّاً لنا». أو كما يقول العرب «لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين».

وفي تصريح آخر لمسؤول كبير تتضح الأهداف الأميركية: «إن احتلال الكويت لا يشكل بحد ذاته تهديداً للمصالح الأميركية. فالتهديد الحقيقي يكمن فيما سيحصل عليه العراق الذي يمتلك ٢٠٪ من الموارد النفطية في العالم، من قدرة، حين سيسيطر على منظمة الدول المصدرة للنفط وعلى الشرق الأوسط مهدداً إسرائيل وساعياً إلى الحصول على القنبلة الذرية.»

في بداية السهرة كان بوش قد سجل رقماً قياسياً مذهلاً: فقد أجرى في أربعة أيام ثلاث وعشرين مخابرة هاتفية، أحياناً في إيقاع مخابرة كل ساعتين. وقبل أن يعود إلى جناحه اتصل بكولن باول. لقد حاز رئيس الأركان على ترخيص من الرئيس الأميركي بالبدء بتجميع مجمل القوات التي قد ترسل إلى العربية السعودية وبعد ذلك بقليل استقبل بوش لمرة أخيرة جيمس بايكر وبرنت سكوكروفت ليتناقش معهما بصدد العقبة النهائية: ردة الفعل السوفييتية.

توقع بوش إعطاء الضوء الأخضر النهائي لإرسال القوات يوم الأثنين مساءً عقب اللقاء بين ريتشارد تشيني والملك فهد. أي أن طلائع القوات ستغادر الثلاثاء صباحاً، إلا أن الرئيس كان يفضل انتظار الأربعاء ليعلن ذلك. تم الاتفاق بين الرجال الثلاثة، على أن وضع موسكو أمام الأمر الواقع سيشكل كارثة. فإذا انتقد غورباتشوف

الانتشار علناً فإن مجمل الجهد المبذول للتصويت على العقوبات في الأمم المتحدة قد يذهب هباءً. التصويت في مقر المنظمة الدولية سيتم غداً بعد الظهر. اقترح سكوكروفت أن تستخدم هذه المهلة «القصيرة ولكن الكافية» لابلاغ موسكو وتطمينها فيما يتعلق بالنوايا الأميركية. «يمكننا، قال سكوكروفت أن نستفيد من هذه الوضعية الطارئة لتسريع تدعيم العلاقات السوفييتية ـ الأميركية». وتقرر أن يتصل بايكر لاعباً على تفاوت التوقيت بشيفرنادزه في موسكو نهاية السهرة.

سكوكروفت، باول وبايكر، لهؤلاء الرجال الثلاثة الذين هم في الصف الأمامي فيما يتصل بإدارة هذه الأزمة والذين يشكلون حكومة حرب بكل معنى الكلمة، شخصيات متعاكسة.

كولن باول، كما يقول أحد مقربيه هو «حلم حقيقي بالنسبة للمعلن» وأيضاً التجسيد التام «للحلم الأميركي». من والدين مهاجرين من جامايكا ترعرع في الاحياء الأكثر حرماناً من هارلم وجنوب برونغس. حياته الدراسية رديئة. في الابتدائية ألحق بالصفوف «البليدة» المخصصة للتلامذة الذين يعانون من صعوبة في التتبع. أما بعد التحاقه بالجيش سيصل إلى الشهرة في فيتنام وسينال إحدى عشرة ميدالية. مواقفه الصلبة من «الخطر السوفييتي» ستلفت إليه أنظار المحيطين بريغان. وهكذا دخل المهاجر الملوّن البيت الأبيض ليدّبر بمهارة عملية الانتقال من ريغان إلى بوش. وإثر تعيينه رئيساً للأركان وجنرالاً بخمس نجوم أكد بنعرة متحدية: «تدرجت في الجيش دون أن ألعب البريدج أو الغولف أو التنس».

جيمس بايكر الثالث على اللائحة كما يطيب له أن يحدد هو، على

النقيض من ذلك، وارث مثل أعز أصدقائه جورج بوش. هذا الأخير أتم دراسته في جامعة يال أما بايكر ففي هيوستن. وقد أتاحت له الثروة العائلية التي جمعت من مكتب محاماة في هيوستن إقتحام ميدان الأعمال والسياسة بنجاح. أمين عام البيت الأبيض في عهد رونالد ريغان ثم وزير المالية. لم يتخلف أبداً عن معاشرة الرئيس الموعود: ولائم، عطلات نهاية الأسبوع، رحلات صيد السمك، وإذا كانت عبارته متحفظة بقدر بوش، فإن اعتراضاته غالباً ما تكون أشد قطعاً وهو أحياناً لا يخفي انفعالاً مفاجئاً.

برنت سكوكروفت يشكل حلاً وسطاً بين هذيه الرجلين. في الخامسة والستين من العمر، هذا الجنرال المتقاعد من سلاح الجو، السَكوت، المعروف «كعسكري مثقف» يعتبر من ذوي العزم والحسم. مخلص كل الاخلاص لبوش عاش عن قرب نزاعات عديدة حول الصلاحية، نشأت خلال العهود المختلفة بين رؤساء مجلس الأمن القومي - وظيفته - ووزراء الخارجية. وهو يعلم أن النصر غالباً ما كان من حظ هؤلاء وربما كان هذا على الأرجح السبب الذي جعله يحافظ على وضعية دونية تجاه شخصية بايكر وهو أشد تعطشاً إلى أضواء الاعلام.

ولكن سكوكروفت رجل مفتاح، علاّمة بكل معنى الكلمة، وهذا ما قد ورثه على الأرجح من مرشده ومعلمه السابق، هنري كيسنجر. ومنذ بدايات الأزمة لم يترك أبداً الرئيس، مُعِّداً خطبه وتصريحاته. محللاً بشكل تفصيلي تقارير أجهزة الاستخبارات ومقدراً بعناية مخاطر وتكاليف أي خيار من الخيارات.

في٦ آب. قضى إدوارد شيفرنادزه بعض أيام العطلة في إحدى الاستراحات «الداتشا» بقميصه المريح. كان بمفرده في البيت عندما رنَّ

الهاتف. أحد أعوانه يتصل به من موسكو.

ـ سكرتير الدولة الأميركي يريد أن يتحدث إليكم. بعد عشر دقائق كان بايكر على الهاتف بصوت فرح.

ـ «تشيف»، كيف تمضي عطلتك؟ هل الطقس جميل؟ وبعد تبادل المجاملات تغيرت لهجة الأميركي:

ـ سنضطر إلى إرسال قوات إلى الخليج. بطلب من العربية السعودية أضاف بايكر فوراً. كما ذكّر أيضاً بتقارير أجهزة الاستخبارات الأخيرة حول مواصلة العراق تدعيم مواقعه العسكرية في الكويت وعلى الحدود السعودية حيث تم حشد ما يقارب مئة ألف رجل. كان شيفرنادزه يستمع إليه دون أي كلمة. وأوضح بايكر:

ـ إننا نضمن لكم إننا لن نسعى إلى الاستفادة من الوضع لزيادة نفوذنا في المنطقة.

ـ اتصالك، جيم بأي هدف؟ استشارتنا أم اعلامنا؟

كان صوت شيفرنادزه جليدياً.

ـ إننا نعلمكم، أجاب بايكر، مرتبكاً، لأني أعتقد أنه ليس هنا ما يمكن أن نقوم به سوية. أم تريدون أن تفكروا بالأمر؟ ليس لدي الصلاحية لاقترح ذلك ولكن هل تفكرون في التعاون بإرسال قوات بحرية أو برية؟ لم يجب شيفرنادزه بشيء، وسكرتير الدولة يعيد صياغة سؤاله. والواقع أن بايكر كان قد طرح هذه الفرضية عشية اتصاله بشيفرنادزه مع القادة السعوديين الذين لم يبدوا معارضتهم للتواجد السوفييتي.

ـ «تشيف»، ماذا يمكننا أن نفعل لنتعاون في هذه المسألة؟

ـ لماذا لا نعمل داخل اللجنة العسكرية التابعة للأمم المتحدة؟

منذ سنين كان السوفيات يحاولون عبثاً إحياء هذا الجهاز الذي أصبح في إطار المنظمة العالمية إرثاً لا وريث له. فوراً بعد هذه المكالمة أعلم بايكر بوش بمضمونها. فكرة تدخل عسكري سوفييتي في أزمة الخليج سحرته. أعلن بوش عن اهتمامه بالأمر واستدعى فوراً كولن باول. ليس لدى رئيس الأركان اعتراض على هذه المبادرة.

اتصل بايكر بشيفرنادزه، متحمساً.

ـ لا يرى الرئيس بوش أي عقبة أمام تواجد الاتحاد السوفييتي البحري أو البري في هذه المنطقة.

ـ حسناً، قال شيفرنادزه، الذي بدا موقفه أشد تحفظاً. إذا كان الرئيس بوش فعلاً مهتماً بالأمر، فسوف أناقشه مع الرئيس غورباتشوف الواقع أن ما لدينا هنا، إنما اقتراح دبلوماسي ثوري لا يُرضي أحداً.

«إنه الانجاز الأكبر، أكد بايكر للمحيطين به. لقد صدر أولاً هذا البيان المشترك الذي تُلي في موسكو، حيث يقطع الاتحاد السوفييتي علاقته بأحد حلفائه (العراق) وذلك بعد إدانته. والآن نقترح على السوفييت أن يصبحوا سياسياً وعسكرياً طرفاً في الخليج».

ولكن ما أن رشحت تفاصيل هذا الاقتراح إلى خارج الحلقة الضيقة التي تضم معاوني بايكر، حتى عصفت بوزارة الخارجية رياح لاذعة. فمنذ عقود، تمثّل هدف الدبلوماسية الأميركية بابقاء الاتحاد السوفييتي، وبأي ثمن، خارج الشرق الأوسط. مبادرة بايكر تكسر هذا الناموس.

ولم تتأخر المذكرات القلقة أو الغاضبة، الصادرة عن مختلف دوائر ا وزارة، عن الورود إلى مكتب الوزير. وسوف تجد بيروقراطية وزارة الخارجية حليفاً غير متوقع بالسوفييت أنفسهم لم يتقبل غورباتشوف بامتنان الاقتراح الأميركي. فالذكرى الأليمة التي تركها غزو افغانستان دفعت إدارة الكرملين إلى الحذر والترقب.

ـ هذا العرض كان تعبيراً عن حسن النية، سيقول بايكر بعد بضعة أيام لشيفرنادزه.

ـ شكراً، أجابه السوفييتي بلؤم. لقد أثرَّ فينا.

في اليوم نفسه، قبيل الظهر، عاد عرفات إلى القاهرة حيث وافاه الرجل الثاني في منظمة التحرير أبو أياد. وقد استقبلهما مبارك. أخبره عرفات بما دار بالأمس بينه وبين صدام حسين. «إنه فعلاً مستعد ليفاوض». وأضاف خشيته المتزايدة من مواجهة عسكرية. وبرأي أبي أياد التدخل الإسرائيلي يبقى محتملاً. وبدا مبارك وقد أصبح أكثر فأكثر معاد للعراق وضد أي تسوية. أما الموقف المتصلب الذي بات يعلن عنه فيبقى بنظر قائد منظمة التحرير الفلسطينية نتاج الهجمة السياسية والاعلامية العنيفة التي تقودها الولايات المتحدة. وقرر الفلسطينيان والحال هذه السفر إلى العربية السعودية البلد الأخير الذي يمكن أن يعمل لصالح حل على أساس التسوية.

في جدة أنهى ريتشارد شيني تقييم الاتفاق الذي أبرم مع الملك فهد. والواقع أن الممثل السابق لولاية يومينغ الذي أصبح سيد البنتاغون، هو في هذه القضية مبعوث يحمل بريداً أكثر منه مفاوض. فهو لم يكن إلا بديلاً بالنسبة لبوش لهذا المركز الحساس. وقد عيّـن بناء

على اقتراح ودعم برنت سكوكروفت. يعاني شيني من أزمات قلبية، وعندما التقاه سكوكرْوفت بشأن تعيينه المرتقب، كان السؤال الأول الذي طرحه الجنرال المتقاعد بفظاظة: «ديك كيف حالتك الصحية؟»

المحادثات الهاتفية بين بوش والعاهل السعودي هيأت الطريق تماماً. الجنرال شوارزكوف وروبرت غُايتس الرجل الثاني في مجلس الأمن القومي، كانا حاضرين خلال المحادثات إضافة إلى الأمير سلطان شقيق فهد ووزير الدفاع العائد بصورة طارئة من إقامته للنقاهة في المغرب وعبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد، نائبْ رئيس الوزراء وقائد الحرس البدوي، وعبد الله كان دائماً أشد تحفظاً، تجاه الولايات المتحدة، من فهد. إنه الرجل الذي يجب اقناعه. بدأ يتفحص بانتباه تقارير أجهزة المخابرات الأميركية وصور الأقمار الصناعية التي تكشف تفصيلاً القوات العراقية المجمعة في الكويت وعلى الحدود السعودية. وتناقش طويلاً مع شوارزكوف وتشيني حول الأماكن المحتملة لتمركز القوات الأميركية.

ـ هذا، قال شيني، مجمل ما يمكننا أن نقدمه لكم وأن نزودكم به.

ـ جيد، أجاب في النهاية فهد، آخذ كل العرض بأكمله.

وضع القادة السعوديون شرطاً أولياً قبل أن يعطوا موافقتهم النهائية: «ليس مطروحاً أن تقام قواعد أميركية دائمة على أرضنا».

لقد توقع الوفد الأميركي هذا الاعتراض واقترح بروتوكولاً سرياً:

انسحاب من الأراضي السعودية عندما تسمح الظروف، ولكن إقامة قواعد دائمة، تنزل فيها القوات الأميركية والقوة المتعددة الجنسيات. وذلك في إمارة البحرين على مسافة بضعة عشرات الكيلومترات من شواطىء العربية السعودية، وكذلك داخل الكويت المحررة.

وقد عوّل الأميركيون على انزعاج القادة السعوديين. فهناك أولاً مشكلة الملك فهد الذي يبدو أكثر فأكثر مشلولاً من جراء عجزه عن أي فعل. «بقدر ما تبرز المشاكل شيئاً فشيئاً يبتعد جلالته عنها». كما يكشف أحد مقربيه بمرارة. فالملك فهد أصبح يعتكف أكثر فأكثر في قصره، وحيداً متحاشياً مستشاريه وأقاربه. كذلك فقد أخذ السعوديون في الحسبان رخاصة عودهم: لقد اشتروا خلال السنوات الأخيرة بأكثر من ١٥٠ مليار دولار أسلحة متطورة، ورغم ذلك عليهم أن يقبلوا بأنهم سيكونون عاجزين عن الدفاع أمام هجوم بلد شديد التسلّح مثل العراق. لقد لجأت جدة حتى الآن إلى استخدام عائداتها النفطية الهائلة، حوالي ٥٠ مليار دولار في السنة، في محاولتها صياغة تحالفات اقليمية وتحييد الأعداء المحتملين. لكن أزمة الخليج تكشف حدود هذه الإستراتيجية.

في وقت افتتحت فيه المفاوضات بين السعوديين والأميركيين في جدة، كان صدام حسين يستقبل في بغداد القائم بالأعمال الأميركي جوزف ولسون، وقد لقي الدبلوماسي الذي يناهز الأربعين ترحيب رئيس عراقي مرتاح، حيث بادره:

ـ إذاً ما هي الأخبار السياسية والدبلوماسية؟

يتوجه ولسون نحو وزير الاعلام الحاضر للمقابلة.

ـ لدى وزيركم بفضل السي. ان. ان C.N.N معلومات أكثر مني.

صدام حسين:

ـ لقد طلبت منكم تحليل ما استجد من أحداث منذ لقائنا مع سفيركم. فبعد هذه المقابلة منيت المحادثات بيننا وبين الحكومة

الكويتية السابقة بالفشل. وما حصل قد حصل.

ولسون :

ـ لقد أطلعني وزيركم على ذلك من قبل.

صدام حسين :

ـ إني مطلع على تفاصيل الموقف الأميركي. نحن نعلم جيداً إنه حين يحدث أي شيء في العالم العربي، أوروبا، أو آسيا أو في أميركا اللاتينية يكون للولايات المتحدة موقفها دائماً. ولا يفاجئنا أن يدين الأميركيون عملاً من هذا النوع خاصة إذا لم يدخلوا فيه طرفاً. ولكن على الولايات المتحدة أن تحرص على أن لا تتبع النصائح السيئة، إذ قد تجد نفسها في وضعية محرجة.

«إني متأكد من أنكم اطلعتم على الرسائل التي وجهناها إلى إيران خلال الحرب، رسائل تحلل الوضعية راهناً ومستقبلاً. وبما أن هذه الرسائل كانت في غاية الصراحة، اعتقد الإيرانيون أنها لعبة تكتيكية من طرفنا. ولكننا كنا نقول لهم ما نعتقده لأننا كنا نريد السلام ولأن الحرب لا تفرحنا. ولكن تعرفون التتمة: فلو أخذ الإيرانيون بالاعتبار ما كنا نقوله لهم لكنا تلافينا الحرب.»

«أريد أن أكلمكم عن العلاقات بين العراق والولايات المتحدة في الظروف الراهنة وعما لن يتأخر أن يحصل إذا ارتكبت الولايات المتحدة أي خطأ. أود أن أتطرق بداية الى نقاط ثلاث ذات صلة بالوضع الراهن :

كانت الكويت دولة بلا حدود واقعية حتى أنها قبل ١٩٦١ لم تكن دولة.

ماذا حصل سنة ١٩٦١؟

عندما عيَّـنَ عبد الكريم قاسم حاكماً على الكويت، تابعاً لمحافظة البصرة، كان العراقيون يعلمون، وكذلك عبد الكريم قاسم نفسه أن الكويت تشكل جزءً من العراق . كانت الكويت إذن حتى ذلك الحين دولة بدون حدود ولا يمكننا بالتالي أن نحكم على دخول القوات العراقية، في إطار العلاقات بين دول العالم العربي. »

«ولا يغيب عنكم اننا أقمنا منذ ١٩٧٥، مع العربية السعودية أفضل العلاقات التي كانت تتطور بصورة جيدة تماماً قبل الثاني من آب. فحتى تاريخ الثاني من آب كانت تسود فيها بيننا علاقات ثقة وتعاون فعلية، وأياً تكن السياسة الأميركية، بدا لنا أن علاقاتنا الجيدة بالعربية السعودية لا تضر أبداً بالمصالح الأميركية. والأمر كذلك فان العلاقة الحسنة بين العراق والسعودية لم تضر الولايات المتحدة فحسب، بل إنها كانت عامل استقرار في المنطقة. إذن فأي تدخل في العلاقات بين العراق والعربية السعودية لا يمكن إلا أن ينال من استقرار المنطقة ويضر بالمصالح الأميركية. »

«إننا لا نفهم ما تقصدونه حين تصرحون إنكم تتخوفون من نوايا العراق تجاه العربية السعودية وإنه بعد الكويت سيجيء دور العربية السعودية. هناك شيء آخر لا نفهمه أيضاً، فمن خلال استباق الأمور ودفع العربية السعودية الى عمل ما ضد العراق، ما سيؤدي حكماً الى ردة فعل من قبلنا. أفهل تلعبون لعبة التحدي؟»

«كما تعلمون كنا أول من اقترح عقد معاهدة أمنية مع العربية السعودية، تقضي عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من البلدين

وعدم اللجوء الى القوة. والواقع اننا وقعنا هذه المعاهدة. واقترحنا هذه المعاهدة نفسها على الكويت الذي رفض توقيعها، وبالتأكيد بناء لنصيحة دولة خارجية كبرى، ربما بريطانيا.»

«تعلمون أيضاً إن بعض الأوساط الغربية مستاءة من هذه المعاهدات التي يسخرون منها مقارنين إياها بالمعاهدات المبرمة بين إنكلترا وفرنسا مثلا [(١)]. الحمد لله ان الكويت لم يوقع معنا.»

«وكنت مسروراً جداً، عندما اتخذنا قراراً بدعم الثائرين في الكويت، لعدم وجود معاهدات مع هذا البلد، إذ لو وجدت لما استطعنا ذلك.

لقد قدمت لنا العربية السعودية مساعدتها ودعمها خلال الحرب ضد إيران. كما بادرت الى تمكيننا من استخدام خط أنابيب، حتى أن هذا البلد أعاننا مالياً وليس على شكل قروض. لقد كنا اخواناً ولكنكم أفسدتم هذه العلاقات بتقليبكم السعوديين علينا.»

«وإذا كنتم تتخوفون فعلياً بشأن العربية السعودية، فانتم مخطئون. أما إذا كنتم تأملون باثارة قلق السعوديين فهذا شيء آخر. هذا الكلام نقوله أيضاً لإخواننا السعوديين ونحن مستعدون أن نقدم لهم شتى أنواع الضمانات لتهدئة ما يساورهم من شكوك. أما بشأن علاقاتنا بالعالم العربي فيمكننا أن نتفق معهم يوماً ونختلف في اليوم التالي. وحتى الآن لم نواجه أي مشاكل.»

---

(١) المقصود معاهدة: سايكس بيكو لتقاسم الشرق الأوسط، بعد الحرب العالمية الأولى.

«وهناك نقطة ثالثة أريد أن أعرض لها. لقد سرت شائعات بأن صدام حسين تعهد لبعض الدول العربية بأن لا يستخدم أبداً القوة ضد الكويت. إثر ذلك أعلم بعض مسؤولي هذه الدول الأميركيين بما ظنوا انهم فهموه.. أود أن أشير هنا الى أنه على الأميركيين أن لا يأخذوا بالحسبان مثل هذه الأقوال. إني لم أتعهد أبداً بذلك لأي عربي. فما حصل هو الآتي: بعض القادة العرب كلموني بشأن القوات التي تحشد على الحدود الكويتية وأعلموني أن الكويتيين خائفون وقلقون. أجبتهم بأني تعهدت عدم القيام بأي عمل عسكري قبل لقاء جدة. وهذا ما فعلته.»

«لم تجر أي عملية عسكرية قبل اللقاء. انتظرنا عودة نائب الرئيس من جدة لنتخذ قراراً. البعض فوجىء بالسرعة التي تمت بها العملية. بالنسبة لهم هذا يعني أننا صممنا على القيام بالعملية قبل اللقاء. إن الحركة الوطنية الكويتية أعطتنا هذه الإمكانية ولكن هذا لم يكن السبب الرئيسي. لقد حاولنا فعلاً إظهار حقوقنا من خلال المفاوضات. وكوننا عرباً من الطبيعي أن نسعى الى إقامة علاقات مع المعارضة الكويتية، وهذا ما كان الكويتيون ليفعلونه مع المعارضة العراقية لو هجمنا عليهم.»

«عندما باتت مصالحنا الأساسية مهددة وبعد أن استهلكت جميع السبل أضطررنا الى اللجوء الى القوة. والسؤال الذي يطرح الآن على الرئيس والقادة الأميركيين هو التالي: ما الذي يتهدد المصالح الأميركية في الكويت أو في غير الكويت؟

تشترون البترول العراقي منذ أن توليت السلطة، فيما كانت علاقاتنا

مقطوعة، وكمية مشترياتكم من العراق لم تتوقف عن الازديادمنذ أن أعدنا العلاقات المتبادلة سنة ١٩٨٤ . ولغاية ما قررتم مقاطعة النفط العراقي كنتم تشترون حوالي ربع انتاجنا. وهذا ليس قراراً تقنياً انه خيار سياسي. مصلحتكم ترتبط بتجاربكم وبتزودكم المستمر بالنفط. إذن مم تخافون؟ لماذا تناقشون الخيارات العسكرية وهي ستبوء دون شك بالفشل؟»

«أنتم دولة كبرى ونحن نعلم أن باستطاعتكم أن تلحقوا بنا الضرر كما قلت سابقاً لسفيركم. ولكن إذا ما حصل ذلك ستخسرون كل المنطقة ولن تتمكنوا من تركيعنا حتى وإن استخدمتم كل ما تملكون من أسلحة. يمكنكم أن تدمروا مراكز أبحاثنا التكنولوجية، اقتصادنا، نفطنا. ولكن بقدر ما تدمرون تصبح الأشياء صعبة بالنسبة لكم. ثم أننا لن نتردد في ضرب مصالحكم في المنطقة كما هجمنا على الكويت عندما تآمر هذا الأخير ضدنا. لا تضعونا مجدداً في هذه الوضعية. فعندما يتهدد وجودنا نهدد الآخرين. لا شك انتم قوة عظمى قادرة على الأذية والدمار، ولكن في النهاية الله وحده يتحكم بمصائر البشر.»

«لماذا تريدون ان تكونوا أعداء لنا؟ لقد ارتكبتم ما يكفي من أخطاء بإضعاف حلفائكم في المنطقة الذين فقدوا أي إعتبار بنظر شعوبهم. ومن وجهة نظرنا سيمكنكم أن تدافعوا أكثر عن مصالحكم في هذه المنطقة من العالم، في حال اعتمادكم على نظام ذي نزعة وطنية وواقعيةمنه على السعوديين. تتهمون العراق بالعدوانية ولكن إذا كان العراق معتدياً خلال حربه ضد إيران لماذا حافظتم على العلاقات معه؟ تشيرون إلى إعلان الثاني من نيسان، إننا لم نصدر مثل هذا الإعلان قبل الحرب مع إيران أو أثناءها أو بعدها.»

«لماذا إذن أصدرتُ في هذه الحالة هذا الإعلان؟ لأن بعض الأوساط الغربية والأميركية كانت تريد دفع إسرائيل الى ضربنا. كان الهدف من هذا البيان إحباط أي اعتداء. إننا مقتنعون أنه خدم السلام. فلو بقينا ساكتين لكانت إسرائيل هاجمتنا. ما كان سيرغمنا على الرد. أثناء الحرب، تذكرون ذلك، تعرضنا باستمرار للقصف من طرف إيران، ولكن عندما حصلنا على الصواريخ بدأنا نهدد باستخدامها قبل أن نستخدمها فعلياً. فلو أصغت إيران لتحذيرنا لما كنا لنستخدمها. والحمد لله حتى الآن إسرائيل أعطت أذنها الصاغية. هل هذا خدم قضية السلام؟ يمكن لبغداد الصمود في مواجهة الصواريخ أكثر من إسرائيل.»

«وأخيراً أقول لكم، إذا كان الرئيس الأميركي يريد الإبقاء على سياسته في المنطقة وينقذ مصالحه كما سبق أن قلنا، فإن الخيار العسكري والتوتر المتزايد في المنطقة يتعارضان مع أهدافه. إلا إذا كان هذا الموقف يخفي شيئاً آخر؟ في أية حال، من جانبنا، نحن نسعى الى الإستقرار والسلم ولن ندع أحداً يخنقنا. نحن نطمح بشرف الى مستقبل كريم يسمح ببناء ومضاعفة العلاقات الحسنة مع الولايات المتحدة شرط أن يبتغوا هم أيضاً ذلك. هذه هي رسالتي الجديدة الى الرئيس بوش.»

وأخيراً استطاع ولسون أن يجيب:

ـ شكراً سيادة الرئيس. لن أتخلف عن نقل تصريحكم الى حكومتي وعن إبلاغ رسالتكم هاتفياً بشكل فوري، كما أني سأنقله كتابة. وكما أشرتم، إنها مرحلة خطيرة ليس بالنسبة للعلاقات الأميركية ـ العراقية فحسب بل لتوازن المنطقة والعالم.

صدام حسين :

ـ لماذا تكون خطيرة بالنسبة للعالم؟

ولسون :

ـ أعتقد أنه يمكننا القول بأن هناك شعوراً بالخوف وبعض الإضطراب في الأسواق العالمية .

صدام حسين :

ـ هذه غلطتكم! قبلنا بخمسة وعشرين دولاراً للبرميل، ولو لم تلجأوا الى المقاطعة، لكان سعر البرميل وصل الى واحد وعشرين. فعندما يصار الى مقاطعة ٥ ملايين برميل دفعة واحدة، يصبح الإضطراب محتوماً. الموزعون سيستفيدون من ذلك ولكن ليس، بالتأكيد، الشعب الأميركي .

ولسون :

ـ لدي انطباع إني لامست هنا نقطة حساسة . والواقع أني أردت أن أقول لكم إنه بدا لي مهماً أن نحافظ خلال هذه الأيام الصعبة، على الحوار كي نتلافى إرتكاب الأخطاء، فبهذه الطريقة فقط يمكننا تخفيف التوتر والحفاظ على برودة الأعصاب. لذلك تسرني هذه الفرصة التي تسمح لي بنقل رسالتكم. ولكن أحب أن أبدي ملاحظتين حول النقاط التي تفضلتم بإثارتها سابقاً .

«سأحمل إليكم، أنتم ووزراؤكم، جواب الرئيس بوش . »

« في القسم الأول من رسالتكم أشرتم الى أن الكويت هو جزء من العراق . »

صدام حسين :

ـ هذا تاريخنا . قلنا هذا ليفهم العالم أجمع أن على الكويت أن يأخذ هذه الحقيقة بالحسبان وأن لايتهرب منها . إنها جوهر العلاقات بين العراق والكويت . وهذا ما يختلف بالنسبة لبلدان أخرى مثل مصر أو العربية السعودية .

ولسون :

ـ يهمني كثيراً أن أفهم طبيعة هذه العلاقات .

صدام حسين :

ـ تتحدد العلاقات بين البلدان بالعلاقات بين الشعوب وليس بي أنا أو بالأميركيين أو السوفيات أو بآخرين . ويجب أن ترتكز على الأخوة والاحترام المتبادل .

ولسون :

ـ هل هذا كان غائباً عن علاقاتكم مع الكويت؟

صدام حسين :

ـ نعم . خاصة خلال الشهر الأخير . كان علي أن أركض وراء جابر كي نتوصل الى رسم الحدود وأجابني :

«ليقم به غيرنا!» نحن نمتلك أدلة . وهذا ما بدا لنا غريباً للوهلة الأولى ثم اكتشفنا لاحقاً أنهم يتآمرون ضدنا .

ولسون :

ـ أشكركم . النقطة الثانية ، لقد أشرتم الى العلاقات الأخوية مع

العربية السعودية حين ذكرتم اتفاقية عدم الإعتداء بين بلديكم. أحب أن أعلمكم بما ينتاب حكومتنا من قلق فيما يتعلق بنوايا العراق الحالية. بالتأكيد أعطيتموني جواباً عاماً عن هذا السؤال ولكن اسمحوا لي . . .

صدام حسين:

ـ ما هو المطلوب لتخفيف القلق لديكم؟

ولسون:

ـ لا أعلم. سأراجع رئيسي. أنا أعلم أنكم شخص صريح ومستقيم. ولكن أستطيع أن استنتج أنه طالما الحالة هي ما عليه، أي طالما لم يحصل عمل عسكري من قبل الولايات المتحدة أو العربية السعودية، فإنكم قد أعطيتموني ضمانة بأن ليس لديكم أي نية بالقيام بأي عملية عسكرية ضد العربية السعودية.

صدام حسين:

ـ يمكنكم أن تنقلوا كلامي الى السعوديين والى كل العالم. لن نعتدي على من لا يعتدي ولن نؤذي من لا يؤذينا. ومن يبغي صداقتنا نسبقه بمد يدينا. وما يتصل بالسعودية، هذه مسألة لم ترد في بالنا. علاقاتنا متينة، وعليكم أن تقولوا لي إذا كنتم تعلمون شيئاً نجهله نحن. من الطبيعي أن يستضيف الملك فهد الحاكم السابق للكويت، الشيخ جابر. وهذا لا يزعجنا. هذا لن يزعجنا إلا في حال سمحت له السعودية بأن ينشط ضد العراق على أرضها. بالمناسبة انقلوا أفضل تمنياتي للرئيس بوش. وقولوا له إن جابر وعائلته ومن لف لفه أصبحوا الآن من التاريخ، إن آل الصباح قد أصبحوا الآن من الماضي.

«من الطبيعي أن يهتم كل طرف بمصالحه الخاصة، لذلك نود أن نعرف بالتحديد ما هي مصالح الأميركيين المشروعة كي نتمكن من تأمينها. إني أقول لكم وليس لأغراض تكتيكية وليس لأنكم تقاطعوننا ـ لقد حرصت على عدم استقبالكم إلا بعد بدء المقاطعة ـ ولا أسعى أبداً لإلغائها، أو حتى لإرضاء الولايات المتحدة ولكني أريد أن أفهم ما هي مصالحهم المشروعة لأنصحهم أن لا يتقدموا كثيراً دون أن يحتفظوا بخط العودة».

ولسون:

ـ سأعلم حكومتي بذلك. لقد أتيت الى هنا وفي ذهني أفكار ثلاث تتصل بمساور القلق لدى حكومتي. أولاً، طبيعة الإجتياح. وتعرفون تماماً موقف حكومتي من ذلك. ثانياً، نواياكم مستقبلاً تجاه العربية السعودية وهذا ما أجبتم عليه.

وأخيراً أمن الرعايا الأميركيين وبالأخص السماح للمواطنين الأميركيين بالمغادرة. وكما تعلمون الأميركيون حساسون جداً فيما يختص بحرية التنقل. وهذا ما ينطبق أيضاً على الأميركيين في الكويت، رغم انسحاب القوات[1].

صدام حسين:

ـ كيف يمكنكم الإدعاء أنه لم يحصل انسحاب، ثم الحديث عن شيء مختلف؟

---

(١) المقصود على الأرجح شبه الإنسحاب الجزئي الذي أعلن عنه بعد فترة قصيرة من الإجتياح.

ولسون:

- شاهدت ثلاث قوافل تغادر البصرة واعلمت واشنطن بالأمر.

صدام حسين:

- لزم لقواتنا ثلاثة أيام لدخول الكويت ولا يمكنها أن تنسحب بيوم واحد. ولا بد لهذا الإنسحاب أن يستند الى اتفاق دولي، ولن نترك الكويت ليقع في أيدي قوة اخرى. وإذا تزايدت التهديدات ضد الكويت فاننا سنرسل أفواجاً أخرى. وطبيعة هذه التعزيزات مرتبطة بطبيعة التهديدات. وعندما تزول التهديدات، قواتنا ستنسحب، نحن لا نريد أن تتحول الكويت الى لبنان آخر. لا أعتقد أنه من مصلحة أحد أن ينسحب الجيش العراقي بتسرع تاركاً الكويت لأنصار الحرب [1].

لقد شكلت الحكومة المؤقتة. بناء لاقتراحنا، وحدات ميليشيا، وقد نصحناها بأن تبقى مستقلة وأن تستعين بالجيش الشعبي.

«أما بشأن الأميركيين في الكويت والعراق فقد منع الجميع، عراقيون وأجانب، في العراق والكويت من التنقل. وتعلمون من مصادركم الخاصة إن جيشنا قد تصرف تصرفاً سلبياً مع الأجانب. إن بلاغ الحكومة الكويتية قد سمح للأجانب بالذهاب الى العراق حيث هم في أمان».

ولسون:

---

(١) صدام حسين يشير هنا، على الأرجح، إلى الحكومة السابقة.

ـ هل لي أن أسألكم دون مواربة متى ستسمحون للرعايا الأميركيين المقيمين والسائحين بالمغادرة؟

صدام حسين:

ـ ما تسألونني واقعاً هو متى سيؤذن للأجانب بالمغادرة؟

ولسون:

ـ لا أسمح لنفسي بالتحدث باسم الآخرين.

صدام حسين:

ـ أردت أن أشدد على أن هذا التدبير لا يشمل الأميركيين فقط. ونحن سنعلمكم بالأمر في الوقت المناسب.

ولسون:

ـ اسمحوا لي الطلب منكم بأن تعالجوا هذه المسألة بأسرع ما يمكن، لأنها مسألة تثير الكثير من المشاعر لدى حكومتنا وشعبنا.

صدام حسين:

ـ نحن نتفهم الأمر كما إننا نفهم الناحية الإنسانية.

ولسون:

ـ وأخيراً أود أن أضيف أمرين. لقد أشرتم الى حسن سلوك القوات العراقية وهذا ما أكده لي وزيركم ونائب وزيركم. وأعتقد أننا لا ننتظر أقل من ذلك. اسمحوا أن ألفت انتباهكم الى نقطة معينة، نقطة مهمة. البارحة مساءً اقتحم جنود عراقيون بيت المستشار الأميركي في سفارة الكويت. وهذا ما يتعارض مع السياسة التي أشرتم اليها الآن

وأضيف انها انتهاك للحصانة الدبلوماسية. لم أكن لأثير الموضوع لو لم تتطرقوا اليه انتم.

صدام حسين:

ـ اجتمعت بالأمس مع بعض ضباطنا وحدثوني عن بعض العناصر من آسيويين وسعوديين وآخرين الذين يخلون بالأمن في المستودعات. في أي حال إذا كان الجيش العراقي قد ارتكب مثل هذه الأفعال فاننا سنقول ذلك مؤكدين لكم إنها كانت تصرفاً خاطئاً، وستتخذ إجراءات لمعاقبة المسؤولين عنه. فهذا النوع من السلوك يتناقض مع سياستنا.

ولسون:

ـ نقطة أخيرة، خلال هذه الأيام الصعبة، خاصة بالنسبة لأمن الرعايا الاميركيين...

صدام حسين:

ـ هل لديكم النية بمهاجمتنا ومن أجل ذلك تريدون إخراج الرعايا؟

ولسون:

ـ كلا ولكن من واجبي أن أمنحهم حرية المغادرة إذا رغبوا في ذلك. أنا شخصياً أنوي البقاء. أحب أن أعيش هنا. وأود ايضاً أن أقول إني اقدّر أن تكون الأبواب قد ظلت خلال الأزمة مفتوحة لي ولزملائي، في وزارة الخارجية، من الثامنة صباحاً وحتى الرابعة بعد الظهر. كما أقدر أيضاً رغبتكم في لقائي لتطميني حول رعايانا في الكويت.

ـ صدام حسين:

ـ لا تقلقوا أبداً.

ولسون:

ـ أود أن أؤكد لكم انطلاقاً من تجربتي في العلاقات الدولية ان الحوار هو خشبة الخلاص بالنسبة للدبلوماسيين والسياسيين.

صدام حسين:

ـ طبيعي أن تؤكدوا لي ما لزملائكم من نوايا حسنة، ولكن أريد أن أتأكد من أنكم ستنقلون رسالتي الى الرئيس بوش.

ولسون:

ـ المرة الأخيرة التي التقيت فيها أحد الرؤساء الأفريقيين طلبت منه مراجعة محضر الاجتماع، والحال انكم إذا عدتم الى محادثتنا ستكتشفون اني شكرتكم كثيراً.

العاشرة مساءً في جدة، اتصل ريتشارد تشيني بالبيت الأبيض عبر الخطوط الخاصة التي أوصلت بفندقه. إنها الساعة الثالثة بعد الظهر في واشنطن. أطلع الوزير رئيسه على الضوء الأخضر السعودي الذي اقترن بشرط وهو أن على الولايات المتحدة إرجاء أيّ اعلان عام حتى وصول طلائع القوات. ثم اتصل تشيني بكولن باول. الرابعة بعد الظهر أعطى الرئيس الأمر النهائي بانتشار القوات الأميركية. وفي حديثه مع باول أسند الى هذه القوات أهداف ثلاثة:

ردع العراق عن أي اعتداء، والدفاع عن العربية السعودية وتدعيم قدرات شبه الجزيرة العربية. وتلقى كبار الضباط تعليمات بأن يظلوا مستعدين لمهام أخرى، ولكن لم يتطرق الى ذكر شيء حول هجوم محتمل

يهدف الى ارغام العراق على الإنسحاب من الكويت .

وبعد ساعة أقلع سرب من المطاردات ف ١٥ متجهة الى السعودية .

إن عملية «درع الصحراء» بدأت . لقد لزم لكي يتخذ بوش قراره باجتياح باناما ١٩ ساعة وذلك في كانون أول ١٩٨٩ ، وقد لزم الأمر الآن ١١٥ ساعة قبل أن يرد عسكرياً على اجتياح الإمارة النفطية .

مارغريت تاتشر العائدة من كولورادو توقفت في واشنطن . وقد استقبلها بوش الذي كان التقى قبل ذلك بقليل أمين عام الحلف الأطلسي، ماندفرد ورنر . وأثناء ذلك وصلت نتائج تصويت مجلس الأمن في الأمم المتحدة الى البيت الأبيض بثلاثة عشر صوتاً مقابل امتناع اثنين، كوبا واليمن . أقر المشروع رقم ٦٦١ . وهو «يطري» على مقاطعة العراق تجارياً ومالياً وعسكريا .

وبعد ذلك بقليل أبحرت حاملة الطائرات ساراتاغو والبارجة ويسكونسين باتجاه الخليج . الولايات المتحدة تدعم تواجدها البحري لأغراض الحصار العسكري الهادف الى تدعيم قرار الأمم المتحدة . هذا وقد استوضح بوش طويلاً رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر اسلوب قيادتها لحرب «المللوين» وطبيعة الصعوبات التي واجهتها .

في اليوم نفسه تلقت دوائر البيت الأبيض برقية أولية مختصرة، ثم النص الكامل للحوار بين صدام والقائم بالأعمال الأميركي في بغداد جوزيف ولسون .

وبعد فك رموزه استقبل مضمون المحادثة باهتمام مخفف . بالطبع صدام حسين يؤكد من خلاله عدم نيته على اجتياح الغربية السعودية

غير أن كلامه يدعو للشك. «من الصعب، قال أحد مساعدي بوش، ان نعطي مصداقية لتصريحاته. فهو كان سخياً باعطاء ضمانات مماثلة عشية اجتياحه للكويت».

الفصل الثامن
تجييش الحلفاء

صباح السابع من الشهر، عندما حط ياسر عرفات وأبو أياد في مطار جدة كانا كسائر الناس يجهلان الاتفاق الذي عقد بين القادة السعوديين وواشنطن قبيل عملية «درع الصحراء».

كان الفجر يقترب، ولم تلاحظ أي تحركات عسكرية في القواعد العسكرية الواقعة على الساحل الشرقي من الولايات المتحدة حيث توقفت الأفواج الأولى المغادرة.

ومنذ وصولهما إلى قصر الملك فهد بدا القائدين الفلسطينيين وقد انتابتهما الحيرة من جراء ما يسود من أجواء. فلقد اعتادا على المقر وهو هادىء ملبد وأحياناً خامد. بينما انكشفت لهما الآن خلية نحل فعلية. عشرات السيارات يهبط منها أمام المدخل شخصيات النظام الأساسية. وهم يتوجهون نحو صالونات الملك فيما المعاونون يجتازون الأروقة بخطوات سريعة منهمكين والملفات بأيديهم.

وكان لا بد أن يطول انتظار عرفات وأبي أياد هنا طويلاً، قبل أن يقترب منهما أحد مساعدي الملك ليعلمهما أن العاهل السعودي لن يستقبلهما قبل الغد.

ـ لماذا كل هذا «الهيجان» يسأل عرفات مشيراً بيده إلى الحركة غير العادية، فيجيبه مساعد فهد بعد تردد:

وزير الدفاع الأميركي وصل أمس على رأس وفد. وهو يواصل اليوم مباحثاته مع جلالته.

الخبر يقلق عرفات، وكذلك أبو أياد المسك بأجهزة الأمن والاستخبارات في منظمة التحرير لم يُعلم بمثل هذه الزيارة. وراح الرجلان يتساءلان حول كيفية تمضية وقتهما.

قبل أن يقررا المجيء إلى المملكة العربية السعودية لرؤية فهد، كانا قد فكرا بالذهاب إلى فيينا لحضور مأتم المستشار النمساوي السابق برونو كرايسكي الذي يفترض أن يقام اليوم. ورغم أنه من أصل يهودي، كان على الدوام مدافعاً عن مواقف الفلسطينيين. ولكن بات الوقت متأخراً للقيام بهذه الرحلة ولقد خاب أملهما بسبب عدم وجود أي رحلة عادية في توقيت مناسب، يسمح بالذهاب من جدة إلى النمسا.

وقاما بطرح المشكلة على معاون الملك الذي أعلمهما بتأجيل اللقاء. واستمع الرجل إليهما بإصغاء، ثم اختفى حوالي ٢٠ دقيقة وعند عودته كانت على ثغره ابتسامة المستجيب:

- جرى ترتيب كل شيء. جلالته وضع بتصرفكما طائرة مستعدة للاقلاع. ستذهب بكما إلى فيينا ثم تعود بكما مساءً إلى جدة.

أثناء ذلك، في القدس، أدى تشييع شابين إسرائيليين كانا قد اغتيلا، إلى أعمال عنف ضد العرب.

وفي مقر أركان الاستخبارات العسكرية كان هناك أمران يشغلان الخبراء. فالعراقيون باجتياحهم للكويت استولوا على معدات عسكريةمتطورة معظمها من مصدر أميركي وكان يمتلكها الجيش الكويتي. هذه الأسلحة زودت بها أيضاً وبصورة جزئية القوات الأسرائيلية. إضافة إلى أن بعض «المصادر» كشفت عن أن الاستخبارات العراقية كانت حصلت أثناء تحضير الاجتياح على العديد من المعلومات

من أجهزة الاستخبارات لدى منظمة التحرير التي تستند إلى «دياسبورا» تحتل في الإمارة الكويتية مراكز حساسة.

أما في الولايات المتحدة، وبينما العديد من أسراب طائرات ف ١٥ وف ١٦ تقلع متوجهة إلى العربية السعودية، كان أربعة آلاف رجل من الكتيبة ٨٢ المحمولة جواً قد بدأوا رحلتهم.

وقد بدأت الآثار الأولى للضغوطات السياسية التي تمارسها واشنطن هي الأخرى بالبروز. فلقد أغلق السعوديون خط الأنابيب الذي ينقل النفط العراقي إلى مرافىء البحر الأحمر، فيما منعت تركيا تسيير وشحن هذا النفط على شواطئها المتوسطية.

وهنا تبرز مقاربتان للمشكلة، كشف عنهما أحد السياسيين الأوروبيين: «المواجهة أو الخنق». وقد اختار جورج بوش اللعب على الصعيدين. وكلاهما يتطلب، ليكون فعالاً، إطاراً موسعاً من التنسيق والتعاون الدوليّيْـن. وفي الإطار الضيق المطلع على الأسرار، والذي يجمع معاوني الرئيس الأميركي، دار نقاش حام: ما هي اللحظة الأنسب للاعلان عن إرسال هذه القوات الضخمة إلى الخليج؟ الأكثرية مالت إلى إعلان يُتلفز يوم الثلاثاء مساءً «قبل أن تكشف الصحافة تلك العملية للرأي العام». أما بوش الذي لا يرتاح إلى الكلمات المتلفزة فقد ظل مصراً، بصورة غريبة، على أن الاعلان يجب أن يحصل في اللحظة الأنسب سياسياً وعسكرياً».

في ذلك الوقت، كان صدام حسين يؤكد عبر التلفزيون، أن احتلال الكويت «انهى التجزئة الاستعمارية» داخل العالم العربي الذي كانت تفصل الأكثرية الفقيرة عن الأقلية الغنية.

صباح الثامن من الشهر، استقبل الملك فهد عرفات وأبا أياد العائدين مساءً من فيينا. وقد حضر اللقاء ولي العهد الأمير عبـدا الله. وفي تلك الأثناء كانت طلائع القوات الأميركية قد بدأت تطأ الأرض السعودية.

لقد أصبح عرفات منذ سنوات خبيراً في فن معايشة الموت. وعندما استعاد رسمياً ومن جديد دور الوسيط الذي تركه الملك حسين الذي أصيب بالاحباط، فكّر أن نجاحاً في هذه المسألة سيسمح له باستعادة أمجاد منظمة التحرير الفلسطينية، ليس لدى رؤساء الدول العربية فحسب بل في الغرب أيضاً. امتنع عرفات عن إدانة اجتياح الكويت، غير أن هذه الضربة التي يعتبرها ورقة امتياز كونها تسمح له بالمحافظة على علاقات حميمة مع صدام حسين، تضعف في المقابل قدرته على المبادرة.

فالرئيس السوري حافظ الأسد يحتقره، ومبارك يرتاب منه فيما إمارات الخليج تؤنبّه على موقفه. وحدها العربية السعودية وهي أيضاً مموله الأول، تحافظ على موقف معتدل من منظمة التحرير. وقبل وصولهما إلى الرياض قام عرفات وأبو أياد بتقدير ما سوف يكون لهذه الأزمة من نتائج مالية على منظمتهما. حتى أن بعض المستشارين المقربين منهما استخدموا كلمة: إفلاس. فإذا كان الأربعماية ألف فلسطيني سيخسرون عملهم في الخليج وإذا أوقفت إمارات المنطقة دعمها، ستكون منظمة التحرير مبدئياً بدون موارد.

فما كان من عرفات إلا أن طلب إعداد خطة تلحظ عصراً للنفقات يناهز ٣٥٪ في مشروع الموازنة السنوية التي تبلغ مليار دولار وهو آتٍ الآن إلى جدة ليفاوض ويستجدي في آنٍ معاً.

العاهل السعودي. المتزن عادة، فاجأ ضيفيه بعنف تهجّمه على آل الصُباح، العائلة الحاكمة سابقاً في الكويت واللاجئة الآن على الأرض السعودية.

ـ لدي انتقادات عديدة تجاههم، قال فهد، بغضب. لم يدفعوا ديونهم. وهم إلى حد بعيد مسؤولون أساساً عن الأزمة.

ناقش العاهل السعودي مع القياديين الفلسطينيين خطة انسحاب من الكويت، يمكن أن تقدم إلى صدام حسين، وفيها قبول بانسحاب العراق من المنطقة الحدودية حيث حقول النفط والبقاء في الجزيرتين اللتين يشرف منهما على الخليج.

ـ هل أن جلالتكم مستعدون للقاء الرئيس العراقي؟

شاور فهد بنظرته، ولي العهد عبد الله وأجاب:

ـ نعم إذا رضخ للشروط.

وقد قبل أيضاً أن يدفع مالاً للعراق وطوال المحادثة كان يتكلم عن صدام حسين «باسلوب سليم جداً».

وعندما سيجري التطرق لموضوع تمويل منظمة التحرير، ستأخذ المناقشة طابعاً متوتراً لم يرق للفلسطينيين. وعبد الله الذي يميل إلى الحسم أكثر بكثير من فهد أنبّ الرجلين: «أنتم الفلسطينيون أنكرتم ما أنعم الكويتيون عليكم ولم تبادلوهم ثقتهم وعونهم بأي شيء». وتصاعدت حدة الكلام شيئاً فشيئاً حتى أمر الملك فهد الجميع بالصمت.

الرابعة صباحاً، غادر بوش جناحه قاصداً غرفة العمليات، يرافقه

برنت سكوكروفت، لمراقبة مغادرة القوات المعنية. وفي السادسة عاد إلى المكتب البيضاوي والتقى في طريقه صحافية معتمدة لدى البيت الأبيض فبادرها: «لا تتركي الترانزيستور!»

وفي التاسعة صباحاً التقى الصحافة في مكتبه وأعلن عن العملية. وما أن حان وقت الظهيرة حتى عقد ندوة صحافية حيث صرح: «لقد ارتسم خط على الرمال».

وفي المساء توجه إلى الأمة عبر التلفزيون. وخلال هذه المقابلة ـ التي لا يحبها أبداً ـ أكد الرئيس بطريقة متشنجة احتفالية أنه «في حياة أي أمة، علينا أن نكتشف من نحن وبماذا نعتقد. اليوم وبوصفي رئيساً أطلب دعمكم لقرار اتخذته، لأسمح لنفسي باحقاق ما هو حسن وإدانة ما هو قبيح» وقد أوضح بوش أن المهمة الموكلة إلى القوات الأميركية دفاعية تماماً. وحدد أربعة أهداف لها:

الانسحاب الفوري غير المشروط من الكويت؛ إعادة الحكومة الشرعية إلى الإمارة؛ أمن الخليج وخاصة التزوّد بالنفط؛ وحياة الأميركيين.

في بغداد ومباشرة بعد خطاب الرئيس الأميركي المتلفز، أعلن بيان صادر عن مجلس قيادة الثورة «ضم الكويت» واعتبر هذا الضم بمثابة «وحدة أبدية».

أما في الصحراء السعودية وفي أرجاء مدينة الظهران حيث مقر أرامكو، اتحاد الشركات النفطية، الذي يستغل الآبار الغنية بالنفط، بدأت طلائع القوات بالانتشار. والتفاصيل التي رشحت من البنتاغون تفيد بأن خمسين ألف رجل سوف يكونون مستعدين قبل نهاية الشهر،

كل ذلك يجري والعالم العربي يتجادل في محاولة أخيرة لتسوية الأزمة. حسني مبارك في اتصال منذ أمس البارحة بجميع زعماء المنطقة لعقد قمة العاشر من آب في القاهرة.

بغداد. وفي المقابل، تنكب على قطع الروابط التي تشدها إلى العالم واحدة تلو الأخرى. في التاسع من آب وبعد مضي ٢٤ ساعة على إعلان الضم، قرر العراق إغلاق حدوده واستبقاء جميع المقيمين الأجانب على أرضه، «لاسباب أمنية».

ثلاثة ملايين شخص أصبحوا هكذا رهائن لدى بغداد، حيث أعلن أيضاً، أنه على السفارات الأجنبية في الكويت أن تغلق أبوابها قبل ٢٤ آب.

في المقابل حظيت الصحافة الأجنبية بمعاملة لا تخلو من مراعاة: للصحافيين حرية الدخول والخروج إضافة إلى أن شبكات التلفزة الأميركية حظيت بمعاملة خاصة.

في مواجهة الحصار وردود الفعل العسكرية ضدهم، ردّ المسؤولون العراقيون: «يمكننا أن نعيش بدون بيبسي وماك انتوش أو ويسكي». وتناسوا أن العراق يعاني من عجز في الحنطة ويستورد خاصة ثلاثة أرباع قمحه وجزءاً كبيراً من الرز والسكر واللحوم. وتحسباً للازمة قام النظام، في كل الأحوال، بتخزين هذه المواد.

في هذا البلد المركب حسب إرادة رئيسه، أصبح صدام فجأة غائباً بصورة عجيبة. صوره في كل مكان، في الشارع، على الصروح والمنشآت العامة. لقد أعاد صياغة جميع الحقائق ولوى جميع الوقائع وفقاً لمشيئته. وينتصب في بغداد صرح مواز لقوس النصر الباريسي يسمّى «أيادي

النصر» وهو صرح يبلغ ارتفاعه حوالي الخمسين متراً، ومنتصب على شكل سيفان متقاطعان يحملهما ساعدين ضخمين من البرونز. هذا الرسم المثالي يمثل الشعار الذي ابتدعه صدام حسين لنفسه، إلا أنه يمثل أيضاً انتصار بغداد على إيران، انتصاراً لم يحصل واقعاً. والشعب العراقي لا يعترض أبداً. فالمخابرات تراقبه لحظة بلحظة ولا تدخل إلى البلاد، كما يقول أحد الدبلوماسيين، إلا «نتف الواقع الخارجي». صدام هو فعلاً مثل صورته: فاقد المعرفة بالعالم الخارجي وذوق يميل إلى العزلة.

لا أحد يعلم هذه الأيام أين هو الزعيم العراقي. حيث ركزت قطع جديدة من المضاد D.C.A حول القصر الجمهوري غير أنه نادراً ما يقيم في هذا المبنى. فهو غالباً ما يلجأ إلى غرفته المحصنة ويغيّر إقامته كل ٦ ساعات خوفاً من الاغتيال أو من قصف محتمل. ولكن صدام حسين الذي اعتاد دوماً على المبادرة فقط ليبقى حياً، يلعب الآن، وهو يعلم ذلك، أدق لعبة في حياته.

لقد قطع كل الجسور مع كل الناس تقريباً، وفي هذه الفترة حيث أصبحت الادانة الدولية شاملة لم يعد أي زائر أجنبي يأتي إلى بغداد عدا عرفات وأبي أياد اللذين يتابعان «مسيرتهما» كدعاة سلام.

خرج صدام حسين من صمته وسريّته ليقابلهما. وهو لا يبدو متفاجئاً أو متأثراً بهذا الاستنفار الهائل الذي نُظم ضده. وستطول المناقشة بين الرجال الثلاثة حوالي أربع ساعات ولكن الأشياء تعقدت أكثر بكثير مما كانت عليه: فصدام أعلن ضم الامارة والقوات الأميركية وصلت إلى السعودية.

حاول عرفات وأبو أياد اقناعه بالذهاب في الغد إلى قمةِ القاهرة. رفض صدام حسين الذهاب في حال حضور أمير الكويت أما الفلسطينيان فقد حاولا الضغط عليه ولكن دون جدوى. «الامارة ومن يمثلها ذهبت إلى غير رجعة» بادرهما ساخطاً. إنها اللحظة الوحيدة حيث خرج عن هدوئه. حينها حاول القائدان الفلسطينيان صياغة خطة أخرى مفادها أن يذهب عرفات إلى القاهرة لاقناع زعماء خمسة بلدان رئيسية تشارك في القمة للذهاب إلى بغداد والبدء بمفاوضات، فيما تبقى القمة على نار خفيفة إلى حين عودتهم.

إنه اقتراح معقد ومغامر، لا حظّ له بالنجاح ـ وعرفات وأبوا أياد يعرفان ذلك ـ إلا إذا استطاعا أن يقنعا هؤلاء الزعماء الخمسة فور وصولهما إلى القاهرة. وقد وافق صدام حسين على هذا الاقتراح.

وبعد الجزء الدبلوماسي الصرف من لقائهما، سوف يبقى الرجلان ليتابع صدام حسين حديثه. وبنفس النبرة الهادئة والحاسمة، يستحضر رؤيته ـ النبوءة ـ عن الحريق الشامل للمنطقة الذي يمكنه إحداثه.

لهجته ليست طنانة بل دقيقة وتفصيلية إنه أشبه بمحترف يضبط عبوة دون أن يكون قد اختار توقيت الإنفجار بعد.

تناول الرئيس العراقي موضوع الحرب مع الولايات المتحدة: «من الواضح أنه منذ اللحظة الأولى للهجوم عليّ سأضرب إسرائيل، فدخول إسرائيل على خط النزاع سيغيّر آراء ومواقف العرب وسينظر إلى هذا الهجوم على العراق بوصفه مؤامرة أميركية ـ صهيونية. والعديد من البلدان، خاصة مصر وسوريا، التي تؤيد حالياً الولايات المتحدة ستغيّر موقفها عندما تكتشف أنَّ إسرائيل تشارك بالحرب».

ليزيد فيما بعد: «إني في طور تدعيم البنية التحتية العسكرية في الكويت. سيكون هناك أربعة خطوط دفاعية، منها خطان للدفاع عن مدينة الكويت التي لا بد للقوات الأجنبية من اقتحامها وعبورها قبل أن تسترجع الكويت. ورغم أن للأميركيين السيادة في الجو فان قواتي ستلحق خسائر جسيمة في صفوف القوات الغازية».

الشق الثالث من خطته يتعلق بالعربية السعودية: «شكلت مجموعة من عراقيين وسعوديين، مستعدة أن تقوم بعمليات ضد القوات الأميركية المتمركزة في السعودية . . .»

وخلص أخيراً إلى أنه «. . . إذا اندلعت الحرب ستحصل معارك داخل السعودية. فخلال السنوات الخمس الأخيرة هناك عشرات قطع السلاح عبرت سراً الحدود من اليمن. هذه الأسلحة وصل معظمها من بولونيا وتشيكوسلوفاكية وهي الآن في أيدي العشائر المعادية لآل السعود».

وبعيداً في أنقرة على بعد بضع مئات من الكيلومترات. كان رئيس الجمهورية أوزال يواجه مأزقاً. فهذا جيمس بايكر أمامه، يضيف بعد أن يشكره على اغلاق خط الانابيب:

ـ رغم أن هذا ليس الهدف الأول من مباحثاتنا.

أوزال يصغي إليه بانتباه، وبشيء من القلق.

ـ . . من المهم التعرض إلى كيفية وشروط استخدام قواعدكم العسكرية.

اندفع اوزال في جواب يتصف بالعموميات:

ـ لتركيا علاقات وثيقة بالغرب منذ إعلان الجمهورية عام ١٩٢٣ ، ولكننا نحافظ أيضاً على علاقات تقليدية وتاريخية مع العالم العربي والإسلامي .

ـ صحيح، يوافق بايكر، الأزمة الراهنة تكشف أهمية بلادكم الاستراتيجية ودورها في الحلف الاطلسي . ولذلك نريد معرفة ما إذا كان بإماكاننا استخدام هذه القواعد .

ـ في أي إطار حضرة سكرتير الدولة؟

ـ هناك عدة بدائل . اقصاها ، واقعاً، الهجوم على العراق .

أوزال يبتسم محرجاً .

ـ هذا دقيق جداً . يمكن لقواتكم استخدام قواعدنا في إطار مهام الحلف الأطلسي العادية ، ولكن الاحتمال الذي تشيرون إليه . .

ـ طبعاً، يقاطعه بايكر، أي مبادرة ستخضع لموافقة حكومتكم المسبقة .

ـ أعتقد انه بإمكاننا أن نتفق على النحو الآتي : سنلبي طلباتكم إذا أصبح التدخل العسكري . .

بايكر يخاطر:

ـ ضرورياً؟

الرئيس التركي يهز رأسه سلباً :

ـ لا، أُفضِّل كلمة «محتوماً»

بايكر يوافق ويطرح مشاركة تركيا في القوة المتعددة الجنسيات

المشكلة بغية حماية السعودية. وقد بدا أوزال المصحوب بوزير خارجيته متحفظاً.

ـ في أي حال أجاب بايكر مرتاحاً، هذه مسألة لا بد أن تسوّى بين تركيا والمملكة العربية السعودية وليس بين تركيا والولايات المتحدة الأميركية. ومباشرة عقب ذلك طرح القادة الأتراك ما يمثله انضمام بلادهم إلى فرض العقوبات ضد العراق من تضحيات مالية. وجواباً على بايكر، قدروا الخسائر بستة مليارات دولار. عندها وعد وزير الخارجية بمساعدة أميركية، وأضاف «إن حكومة الكويت الشرعية، وهي في المنفى الآن، عرضت المساهمة بهذا المجهود للتخفيف من الأضرار المالية التي قد تلحق بتركيا».

وفي عمان يستعد الملك حسين لركوب الطائرة إلى القاهرة حيث سيشارك في القمة التي تنعقد في الغد. وللقيام بهذه الرحلة وقع اختياره على طائرة أرباس من الخطوط الجوية الملكية تحمل اسم «بغداد».

ورغم تحفظات مستشاريه الذين يقترحون إعادة طلاء الاسم، يرفض الملك. وهو يأمل أن يقترح خلال القمة تشكيل لجنة تحكيم من رؤساء دول عربية والطلب من دول الخليج دعم عريضة تهدف إلى التخفيف من التواجد العسكري الأميركي في المنطقة.

إن واشنطن تولي أهمية كبرى لهذه القمة. فالإدارة الأميركية تأمل أن تؤيد أكثرية البلدان في الأمم المتحدة إرسال أفواج في إطار القوة المتعددة الجنسية.

ففي السابع من آب وبعد أن أنهى مفاوضاته مع العربية السعودية توقف تشيني في القاهرة. وطلب من حسني مبارك إرسال جنود إلى

السعودية. ورغم نفيه فيما بعد، وافق الرئيس المصري «شرط موافقة بلدان عربية أخرى». كانت البوينغ التي تقل تشيني قد غادرت للتو القاهرة وبدأت تحليقها فوق المتوسط عندما تلقى الوزير الأميركي مكالمة من جورج بوش: «ديك، قال الرئيس له، أود أن تذهب إلى المغرب للقاء الملك الحسن.»

المبادرة كانت مفاجئة تماماً، حتى أنه لزم إرسال فوري بالفاكس، لتزويد إمرة الطائرة بخطة الرحلة والخرائط اللازمة للهبوط في مطار الرباط. وكانت المحادثات مع الملك غير مجدية. لقد رفض الحسن إرسال أفواجٍ من قواته، وعندما علم مبارك بموقفه تخلى هو الآخر عما التزم به.

في تلك الأثناء كانت الأنظمة العربية تبدو ضعيفة وهشة وأقرب إلى البحث عن تسوية منها إلى المواقف الحاسمة. وكانت القمم في الماضي تتميز بإرادة تتجه إلى تلافي اتخاذ أي قرار بشأن المسائل المطروحة. غير أن هذه المرة أصبحت البلدان العربية أمام الحائط، عاجزة عن اخفاء تناقضاتها. وبالفعل فإن المناورات السياسية الكبرى في العاصمة المصرية بدأت منذ التاسع من آب، فيما كان عرفات ما يزال في بغداد يقنع صدام حسين بزيارة القاهرة.

القذافي كان أول الواصلين مساء الثامن من آب حوالي الحادية عشرة. أما الوفد العراقي فقد حطّ على متن طائرة تحمل اسم صلاح الدين، ذلك البطل الاسطوري الذي كان صدام حسين مفتوناً بفتوحاته، في التاسع من آب الساعة الرابعة صباحاً وتوجه فوراً إلى فندق «ميرديان»، الذي يرتفع وسط النيل، وحيث تنزل معظم البعثات. كان

الوفد العراقي مؤلفاً من ثلاثة رجال. نائب رئيس الوزراء سعدون حمادي، وزير الخارجية طارق عزيز وطه ياسين رمضان، قائد الجيش الشعبي.

كان مبارك يبغي الاستفادة من الأربع وعشرين ساعة التي تسبق الافتتاح الرسمي للمؤتمر، ليحاول التوصل إلى تليين موقف بغداد. وقد استقبل، قبل الظهر، في مقر إقامته، ولمدة ثلاث ساعات، الوفد العراقي الخاص. ولكن دون جدوى. فالطرفان العراقي والمصري ظلا متمترسين على مواقفهما.

أراد سعدون حمادي ورمضان أن يتركز النقاش على الحصار المقرر ضد بلدهما: «عمل قرصنة»، وعلى الوجود العسكري الأميركي: «عمل حربي».

وكان يساور مبارك من كل ذلك حلمان: أن تعود مصر «نقطة ثقل» العالم العربي وأن تلغي الولايات المتحدة التي يجري معها الآن مفاوضات، ٧,١ مليار دولار تمثل ديون مصر العسكرية. وهو يأمل أن تسمح نتائج قمة القاهرة بتحقيق هذين الأملين.

والواقع أنه، ساعة فساعة، ستأخذ الأحداث منحى أكثر توتراً وستتحول أحياناً إلى مأساة ضاحكة.

لأول مرة بعد إقامتهم في المنفى كان المسؤولون الكويتيون السابقون حاضرين. إنهم ما زالوا يمثلون الحكومة الشرعية والمعترف بها. لقد تردد الأمير طويلاً قبل السفر إلى القاهرة وقد تطلّب الأمر ضغطاً مشتركاً من قبل السعوديين والأميركيين، الغاضبين من تردده، كي يقبل المشاركة في القمة.

وقد حدد أنه لن يشارك سوى بالجلسة الافتتاحية في العاشر من الشهر. ثم يعود بعدها إلى منفاه في الطائف. لكل من يشاهده يترك الأمير جابر انطباعاً بأنه «رجل وهن يعاني من صدمة مزمنة». وفي جلسة غير رسمية لوزراء الخارجية سيجد أعضاء البعثتين العراقية والكويتية أنفسهم وجهاً لوجه.

دخل طارق عزيز القاعة دون أن يلتفت إلى أفراد آل الصباح، خاصة وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد. جميع الكويتيين كانوا يرتدون سترات واقية من الرصاص. طارق عزيز يتوجه إلى المجتمعين:

ـ إني اعترض على أن يحضر هنا دمىً، عملاءللأميركيين...

الشيخ صباح الأحمد يقف في سكرة من الغضب:

ـ لقد انتهكتم جميع القوانين الدولية و...

عزيز يقاطعه، ببرودة:

ـ أصمت، لست سوى مرتزق أميركي ضالع في عمالة (وكالة الاستخبارات الأميركية)!

الكويتي، فاقداً أعصابه، يحاول الوقوف ليتابع الكلام، لكنه يهوي إلى الخلف ويهبط في مقعده دون حراك مصاباً بوعكة، فيما تابع طارق عزيز رابط الجأش توجيه ضرباته:

ـ بعد هرب آل الصباح، أصبحت الكويت حرة!

وبعيد ساعات تجدد الاشتباك، ولكن هذه المرة داخل المطعم الواقع في قصر المؤتمرات. العراقيون والكويتيون يتابعون تبادل الشتائم، حتى أن رمضان قذف صحنه بوجه ولي العهد الشيخ سعد، الذي انتفض من

مقعده مستعداً لضرب العراقي الذي يحمل مسدساً على خصره. وتطلب الأمر تدخل عدد من الوزراء الآخرين والدبلوماسيين للفصل بين المتحاربين الذين استمرا بتقاذف القناني والصحون.

لقد بدأ اجتماع القاهرة في أجواء مزرية. إلا أن مبارك وعند افتتاح الجلسة العامة استقبل كلاً من رؤساء الدول بابتسامة إعلامية، مازحاً مع البعض، اليد باليد، كما جرت العادة: ربما أمكن تلافي الأسوأ.

ولكن الأسوأ وقع، وذلك طوال «قمة الفرصة الأخيرة» هذه.

بدأت الجلسة العامة في ١٠ آب الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. كان مبارك يرأس الجلسة وإلى جانبه أمين عام الجامعة العربية الشاذلي القليبي، الذي تحول إلى أخرس، ومجرد صورة. أربعة عشر من الرؤساء والملوك، خمس بعثات ورئيس منظمة التحرير ياسر عرفات موجودون هنا. تونس وحدها غائبة. الرئيس المصري طالب «بانسحاب جميع القوات العراقية من الكويت وباحترام حقوق الشعب الكويتي و إعادة الحكومة الشرعية إلى ما كانت عليه قبل الاجتياح» إلا أنه انتقد أيضاً بصورة ضمنية الموافقة السعودية على استقبال القوات الأميركية.

وهذا ما أغضب فهد، الذي قال فيما بعد لنظير له:

«لقد اتخذت هذا القرار لأن صور الأقمار التي أظهرها لي الأميركيون كانت تثبت حقيقة التهديد العراقي وكذلك لأني أثق بجورج بوش. فأنا أعرفه منذ زمن بعيد، يوم كنت وزيراً للخارجية وهو مديراً لوكالة الاستخبارات الأميركية». منذ وصولهم تجنّب المبعوثون السعوديون علانية الالتقاء بنظرائهم العراقيين. وهناك أيضاً بعض التفاصيل التي تزيد من الطابع المدهش لهذه القمة. فلقد انتهك التسلسل الأبجدي بغية وضع

قطر بين العراق والكويت تلافياً لمواجهات جديدة وعندما ختم مبارك خطابه بالقول:

«لا يمكن للعربي في القرن الواحد والعشرين أن يكون عاجزاً، تائهاً في ظلمات الجهل والفشل. لا يمكن أن تكون الأمة العربية «الرجل المريض لهذا العصر»، صفق الأمير جابر وطه ياسين رمضان ـ الذي قبل أخيراً ترك مسدسه عند المدخل ـ في آن معاً. تلك كانت لحظة الاجماع اليتيمة.

بعد انتهاء الخطاب رفعت الجلسة. وتوجه جميع المشاركين إلى صلاة الجمعة في الجامع الذي أعد داخل قصر المؤتمرات.

الساعة الثالثة والنصف بدأت الجلسة المغلقة. وهي ستدوم خمس ساعات، حيث وصفها أحد رؤساء الوفود بأنها «الأشد فتكاً بوحدة العالم العربي».

يؤكد ياسر عرفات أنه حين جلس على مقعده فوجىء بنص جاهز للبيان الختامي كان موضوعاً أمامه. نصّ كُتب بالانكليزية وترجم إلى العربية. وهذا ما أكدته أيضاً أربعة وفود أخرى: إلى ذلك اكتشف قادة منظمة التحرير عمق عزلتهم. فالعديد من رؤساء الدول لا يردون عليهم التحية، ويبدّلون اتجاههم ليتلافوا الحديث معهم. إن الفلسطينيين يدفعون ثمن دعمهم لصدام. حتى الملك حسين الذي يعترف بأنه لم يقدّر جيداً حجم ردة الفعل الغربية، أخذ تدريجيا يبتعد عن الرئيس العراقي. فقد اعترف بحكومة المنفى الكويتية وقبل بتطبيق برنامج عقوبات الأمم المتحدة، والذي أدى بعيد ذلك إلى اغلاق ميناء العقبة الأردني حيث يجري إفراغ العديد من البضائع التي تشحن، فيما

بعد، إلى العراق.

شنَّ الوفد العراقي هجوماً عنيفاً على الحكومة الكويتية السابقة. أما مبارك فكان يتلاعب من خلال اسلوبه في إدارة النقاش، فيما عرفات حاول، بعد مقدمة طويلة ومبهمة، أن يقترح خطته.

فبادره مبارك وقد نفذ صبره:

ـ ارجع إلى جدول الأعمال، الوقت يداهمنا.

ـ اقترح، اعاد عرفات، بأن تقوم خمس دول، الأردن، اليمن، الجزائر، مصر، وفلسطين بتشكيل لجنة وساطة تذهب خلال ساعات إلى بغداد.

مبارك يقاطعه وقد أتعب:

ـ غير وارد أن أقوم بمثل هذه الزيارة، صدام حسين خان ثقتي. أبو عمار حان وقت التصويت.

ـ ولكن لم أتكلم بعد! صاح عرفات مذهولاً.

أحد الموفدين يتدخل:

ـ لنظل اخوة.

مبارك، وهو ما يزال متوتراً:

ـ نحن اخوة ولكن لننتقل إلى التصويت.

كان يبدو أن العديد من البلدان أعطت موافقتها على المقررات الموضوعة على طاولة كل وفد، حتى قبل بدء الجلسة، وهي: دول الخليج، مصر، سوريا، المغرب والعربية السعودية. هذه المقررات

السبعة التي يعتقد ألعديدون إنها صيغت أو على الأقل أوحي بها من قبل الأميركيين، ترفض ضم الكويت، وتوافق على العقوبات والحصار ضد العراق استناداً إلى قرار الأمم المتحدة، وتدعو إلى تشكيل بعثات عربية إلى المملكة السعودية. ١٢ من أصل ٢١ عضواً في الجامعة العربية صوتوا ايجاباً. ٣ ضد وهم العراق ليبيا ومنظمة التحرير وامتناع اثنين هما الجزائر واليمن فيما الأردن لم يشارك بالتصويت حتى إنَّ الملك حسين ظل مسمّراً في مقعده. إن انتشار القوات وإنشاء قوة سلام عربية حصلا في خضم الآلام والبلبلة.

في الأروقة مباشرة بعد التصويت، كان ياسر عرفات هادئاً: «إنها غلطة، غلطة رهيبة، لو أن وفداً ذهب إلى بغداد لكان توصل إلى حل أدى إلى تسوية أزمة الخليج».

القذافي ظل في مقعده، خائراً بعد التصويت رأسه بين يديه. مبارك يقترب منه فيبادره القذافي قائلاً بغضب:

ـ لماذا لم تعطني الكلام في أي مرة طلبته؟ لماذا كنت مستعجلاً إلى هذا الحد لتمرير هذا القرار؟ إنه غير شرعي قرارك غير شرعي، صاح بأعلى صوته مستشهداً بالذين يحيطون به.

فرد عليه مبارك وهو واقف بوجه شاحب أمامه:

ـ انتبه إلى كلامك. لا تتهمني!

امتدت المواجهة إلى اليوم التالي. مبارك وحافظ الأسد انتقلا إلى الاسكندرية. الرئيسان السوري والمصري كانا حليفين خلال هذه القمة. لقد اقترحا على القذافي أن يرافقهما. وما أن نزلوا في مقر بعيداً عن الأنظار حتى اقترب مبارك من العقيد القذافي ناصباً اصبعه مهدداً فيما كان الأسد

يتأمل المشهد هادىء الأعصاب:

ـ كيف يمكنك أن تقبل باحتلال الكويت؟ انتبه، إذا استمريت هكذا، غداً أنا سأحتل بلدك بدوري ولن يعترض أحدٌ.

كان القرار العربي بتشكيل وحدات دولية موازية للقوات الدولية استجابة لامنيتين متعارضتين: رغبة البعض في إرضاء الأميركيين ولكن أيضاً الحؤول دون أي تدخل أجنبي في المنطقة. فمبارك كان عبّر ضمناً عن هذا الحذر تجاه المداخلات الخارجية، وذلك خلال القمة. «الخيار أمامنا واضح: مبادرة عربية تنقذ مصالحنا الحيوية أو تدخل أجنبي لا يؤمن حقوقنا ويخرج عن سيطرتنا.»

وكان الزعماء العرب الذين اقترعوا لصالح إرسال القوات يخشون من ردود فعل الرأي العام لديهم. فهناك تقليد إسلامي يُؤكد إنه إذا استقبل بلد إسلامي الكفار على أرضه في سبيل القتال فإنه لا بد لجميع الدول الإسلامية الأخرى من معاقبة الخائن.

لم يكن أحدٌ مغفلاً. فالمواجهة التي كانت تُعدّ هي قبل أي شيء منازلة بين الولايات المتحدة والعراق يكون العالم العربي فيها مجرد عربون ليس إلا.

وكان صدام حسين يرى ذلك بوضوح، وفي اليوم نفسه حيث كانت تدور مداولات صاخبة، في القاهرة، ألقى رسالة متلفزة قرأها مذيع هو شبهه إلى حد كبير، إنها دعوة حقيقية إلى «الجهاد ضد الولايات المتحدة والحكام العرب الفاسدين.» وقد أكد أن مكة مهد النبي محمد ستدنس بمجيء الأفواج الأميركية.

في واشنطن، فسرت هذه الدعوة إلى الجهاد من قبل وكالة

الإستخبارات الأميركية كدعوة للاطاحة بنظام فهد، وتحادث مدير الوكالة وليام وبستر بشأنها مع الرئيس بوش الواصل لتوه، نهاية بعد الظهر إلى منطقة «ماين» Maine ،قاصداً مقره في كيننبانكبورت، حيث كان ينوي قضاء عطلة لبضعة أيام.

أمر آخر كان يشغل أيضاً مدير وكالة الاستخبارات المركزية. وهو انه، في اليوم نفسه، وبدعوة من الاخوان المسلمين نزل الألوف من المتظاهرين في شوارع العاصمة الأردنية، دعماً لصدام حسين، وأكثر من أربعين شخص، في عمان أيضاً، تطوعوا للقتال إلى جانب العراقيين. إن خطر الانفجار بات واقعياً.

ولقد قام بعض المحللين من الوكالة بتقييم دقيق «لمكامن الضعف» في العديد من البلدان الحليفة: «هشاشة» حسين في الأردن كانت واضحة حتى وإن كان، كما قال أحد الخبراء «قد بدّل جلده ألف مرة لانقاذ نفسه». ولم يبدُ عرشه مهدداً أكثر مما هو الآن. فبالنسبة لبلده، الذي يفتقر لأي مورد، يقوده الحصار الاقتصادي الذي التزم به، ضد العراق، إلى خسارة عائدات ضخمة. إضافة إلى أن صدام إذا ما قرر فتح جبهة جديدة مع إسرائيل فالمملكة ستكون في خط المواجهة.

أما مصر فكانت بالكاد أفضل حظاً. فمهما ردد مبارك أنه «عندما كذب علي صدام حسين فإن أربعين مليون مصري شعروا أنفسهم مهانين». لا بد له من أن يأخذ بالحسبان المليون ونصف مصري الذين يعملون في الكويت والمئة وخمسين ألف المقيمين في الكويت. ذلك أن طردهم بعنف سوف يفاقم تدهور صحة الاقتصاد المصري الذي يعاني أصلاً من الأزمات. أما التحاق سوريا التي كانت تنعت من قبل

الأميركيين من فترة قصيرة، «بدولة إرهابية»، لم يكن يثير حماس الخبراء الذين رأوا أنه مقابل إرسال قواته «سوف يحاول حافظ الأسد، أن يكسب منا أقصى ما يمكن». والقضية اللبنانية كانت الشاهد على مصداقية هذا التحليل.

***

كان بوش يتحدث مع وليام وبستر من الصالون وهو غرفة ذات لون فاتح وفرش قاتم. هذا الصالون التابع للمنزل الخشبي في كيننبانكبورت، ذلك المنزل الواقع في محاذاة البحر وقرب ملعب للغولف هو المقر الريفي المفضل لدى بوش وعائلته. وقد بناه جدّه الذي كان لاعب بولو ذائع الصيت. أشار وبستر أيضاً إلى الحالة السعودية. فالمملكة لم تكن أبداً من ذي قبل على هذه الدرجة من الغنى ومن التعرض للخطر. فتصاعد أسعار النفط سيسمح لهذا البلد بمضاعفة مداخيله: أكثر من ٩٥ مليار دولار للعام المقبل. ولكن كانت هناك معلومات أكثر أهمية. ففي أوساط العائلة المالكة تعرض فهد لنقد شديد للضوء الأخضر الذي أعطاه للأميركيين، وفي الأماكن المقدسة في مكة والمدينة بدأت التقارير تشير إلى تحرك دعاة أصوليين «ينتقدون بشدة العائلة الحاكمة.» والعراقيون في الحرب الكلامية قد لعبوا حتى النهاية على هذا الوجود الأميركي «الذي يقود إلى فاحشة الجنس والخمر».

وبعد هذه المكالمة اتصل بوش بالبنتاغون وتحادث مع ريتشارد تشيني. وكولن باول وتقرر زيادة عدد «القوات الخاصة» المرسلة. وهي مؤلفة من عدة مئات من الرجال الذين هم من عداد وحدات SEAL في البحرية وقوة دلتا DELTA الملحقة بالمشاة. وكانت المهمة الموكلة إليهم

حماية حقول النفط ضد أي هجوم إرهابي والبقاء على استعداد للقيام بأي عمليات ضرورية لإنقاذ «رهائن أميركية»، رغم أن العبارة لم تكن لها مصداقية على الأرض بعد. كما تقرر أيضاً أن تفرز بعض الوحدات لحماية أمن الشخصيات الرئيسية من أفراد العائلة المالكة السعودية.

على الأرض. كان الليوفتنان ـ جنرال شارلز هورنر ينسق قدوم القوات الجوية. كان على أكثر من مئتي طائرة مطاردة أن تتواجد في القواعد السعودية قبل نهاية الأسبوع مصحوبة بمئة طائرة مساندة. إلى ذلك ٥٠ قاذفة ضخمة من طراز ب ٥٢ كانت تنتظر في جزيرة دياغو غارسيا، مستعدة حسب تعبير ضابط رفيع «لفرش سجادة من القنابل» على الأهداف العراقية. ١٤ مطاردة قاذفة ف ١١١ مرابطة على أرض القواعد التركية. وبالاجمال، كان البنتاغون يتوقع وصول ستماية طائرة لمواجهة الخمسماية طائرة عراقية التي تضم فقط مئة بين ميغ ٢٣ وميراج ف ١، يمكن اعتبارها خصماً فعلياً.

من مقره لقيادة الأركان في الرياض يراقب الجنرال نورمان شوارزكوف كل ما يتعلق بالعملية من تفاصيل. وقد وضع بتصرف القائد العام للقوات الأميركية في العربية السعودية، الذي بات لقبه الآن «دب الصحراء»، تشبّـها بالالماني رومل، خط مباشر يصله على الدوام بمكتب كولن باول في واشنطن. ويتحادث الرجلان كل يوم. ويعتبر شوارزكوف «ان قواتنا تتمتع بقدرات دفاعية وهجومية في آن».

إنه جسر جوي حقيقي أقامه البنتاغون مع العربية السعودية. طائرة عملاقة سي ١٤١ تحط كل خمس دقائق على أرض القواعد السعودية. وهكذا يمكن تفريغ أكثر من أربع مئة وخمسين ألف طن من المعدات.

عدا قطع المعدات العسكرية، تحتوي الصناديق التي تتكدس، مواد وأدوات شديدة الاختلاف، ١٦٨٠٠٠ من التجهيزات الواقية من الحرب الكيميائية إلى جانب ١٥٠٠٠٠ قارورة «لوسيون للشمس». وحدهما باول وشوارزكوف، في أوساط الجيش، يعلمان أن هذا الجهد الهائل يهدف، في نهاية الأمر، إلى ما يلزم لتواجد ٢٥٠ ألف عسكري في الصحراء السعودية في مواجهة الكويت. ولم يحصل أبداً بعد حرب فيتنام أن لجأت الولايات المتحدة إلى مثل هذا الانتشار للقوات أو مثل هذا العرض المخيف لقدراتها العسكرية.

في كل صباح يذهب بوش إلى ملعب الغولف في كينبانكبورت. يطأ العشب الأخضر. يتمظهر بالارتياح، فيما يواصل الجنود في القواعد الخوض في البحار، وهو يقطع أحياناً مسيرته ليتصل بمعاونيه في واشنطن أو بقائد في ناحية من العالم. ويبقى هناك مساعد إلى جانبه باستمرار، حاملاً هاتفاً يسمح له الاتصال بأي نقطة من الكرة الأرضية.

منذ اندلاع الأزمة، ومن خلال أسلوبه في مواجهتها وإدارتها، بدا بوش وقد محى سمعته كرجل متردد، هذه السمعة التي كانت مطبوعة على جلده. هو الآن أشبه بـ «شريف» حاسم، آمراً الإسرائيليين بالهدوء والتروي واليابانيين بالالتزام بأكثر من مجرد المشاركة المالية. وهو يُعلم الصينيين وخاصة السوفييت بأن أمامهم فرصة وحيدة للانضمام فعلياً إلى الأسرة الدولية؛ فيما يجمع تحت لوائه أغلبية من البلدان العربية والحلفاء الأوروبيين. إن شخصية بوش أشد تعقيداً مما يظهر عليه. تكاد أن تكون مزدوجة: نبيل من الساحل الشرقي، لطيف الكلام متزن التصرف، يهوى الموسيقى الكلاسيكية، إنه أيضاً ذاك الرجل الذي جمع ثروة في

تكساس من تجارة النفط، واحدٌ من «غيلان المال» الذي لا يرحم في ميدان الأعمال ومن هواة الموسيقى الفولكلورية.

«دبلوماسيته الهاتفية» ومحادثاته الدائمة مع المسؤولين الآخرين تشهد على هذه الازدواجية. إنه يأخذ على الملك حسين موقفه الشديد الغموض ودعمه الخفي لبغداد، صرامة النبرة تؤثر على العاهل الأردني الذي يحاول التذكير بأنه كان دائماً حليفاً أميناً للولايات المتحدة «علينا أن نناقش هذا الأمر» رماها بوش بجفاء.

اقترح حسين المجيء إلى الولايات المتحدة في غضون أيام، لمقابلة الرئيس الأميركي بعد أن يكون قد التقى في بغداد صدام حسين الذي يأمل منه أن يقدم بعض التنازلات. «أشك بذلك» أجاب بوش بصيغة الحكم.

في إحدى الأماسي، وبالمقابل، سهر لغاية الثانية والنصف صباحاً ليتصل بفرنسوا ميتيران، حيث في باريس تكون الثامنة والنصف، وذلك خشية إيقاظه من النوم. إما كلماته الأولى التي لفظها بصوت مضطرب فكانت: «سيدي الرئيس آمل ألا أكون قد سببت لكم الازعاج وألا يكون الوقت باكراً».

أثناء «لعبة الانتظار» التي تسود الصحراء جرى، بشكل مطول، تقييم نقاط القوة والضعف في الجيش العراقي.

هذا الجيش يشبه بنظر الخبراء الأميركيين «جيش حلف فارصوفيا»، وهو مجهز إلى حد بعيد بمعدات سوفييتية ومشكل وفق تقنيات الجيش الأحمر.

فالهجمات تبدؤها الدبابات السوفييتية ت ٧٢ وت ٦٢ يسبقها

قصف العوائق بمدافع ١١٢ و١٥٢ملم. أما الدفاع الجوي فتؤمنه بطاريات صواريخ سام المتحركة والرادارات المضادة للطائرات ZSU 23. فيما البحرية العراقية تكاد أن تكون معدومة، إلى ذلك فإن خمسة آلاف وخمسماية دبابة مبارزة تبقى من طراز قديم، وأيضاً القوات الجوية تبقى بدورها إلى حد بعيد غير مجهزة بتقنيات تسمح لها خوض المعارك الجوية بفعالية.

غير أن حرباً برية تهدف خاصة إلى استرجاع الكويت تبدو مكلفة جداً في الأرواح. والتقديرات التي يعدها البنتاغون وقيادة الأركان لبوش، والتي لم تعطَ له بعد، تتراوح من عشرين ألف إلى ثلاثين ألف قتيل منهم عشرة آلاف أثناء الأيام الأولى للمعارك. إنه ثمن بشري وسياسي مرتفع جداً.

وتعتمد الإدارة الأميركية لكسر صدام حسين على وقع انتشار القوات الهائلة وعلى فعالية الحصار. ـ لن يمكن للعراق أن يصدر نفطه ـ كما لا يمكنه أيضاً استيراد أي سلعة، بما في ذلك المواد الغذائية ولتقدير أثر العقوبات قامت وكالة الاستخبارات الأميركية CIA وأجهزة الاستخبارات الأخرى بتنسيق خطة كاملة لاستقصاء المعلومات. هنا أولاً صور أقمار التجسس الصناعية التي تظهر بدقة جميع الحركات المدنية والعسكرية والوضعية في الساحات والميادين. هذه الانشطة تتعلق بالـ NSA التي تمتلك أيضاً في تركيا مراكز تنصت بالغة السرّية، يمكنها التقاط قسم كبير من المخابرات الهاتفية من الشبكة العراقية. أما التفاصيل فترسل بصورة فورية إلى الولايات المتحدة حيث يعمل مترجمون وألسنيون على التقييم، استناداً إلى النبرة والمفردات المستخدمة، معنويات الأهالي، استيائهم الكامن، المؤشرات الأولى على النقص في المواد التموينية. وفي

لانجلي، قيادة أركان وكالة المخابرات المركزية، برنامج معلوماتي ضخم وهو ينسق مجمل المعطيات الموجودة، حتى مؤشرات تتعلق بتعرفة التاكسي، التي تكشف ارتفاع كلفة المعيشة، وأسعار المحروقات وربما صعوبة إيجاد قطع غيار.

وفي المقابل، فلقد أعدت مجموعة من عمليات «حرب العصابات النفسية». وهي تنسّق في إطار «اللجنة النيابية» ـ التي تضم مسؤولين مساعدين ملحقين من الوزارات الرئيسية ـ من قبل روبرت غايتس الرقم ٢ السابق في الـ CIA والمدير المساعد الحالي لمجلس أمن البيت الأبيض. ويتمثل أحد الأهداف بمقارعة وتحدي الإعلام العراقي: «نتذكر جميعاً فيتنام حيث خسرنا الحرب سياسياً.»

صوت أميركا بات الآن يبث ٢٤ ساعة على ٢٤ إلى العراق. ولكنه يصطدم بمشكلة: نقص المذيعين العرب، بلهجة عراقية. كما إنَّ مختصين من المجموعة الرابعة للعمليات السيكولوجية النفسية، المتمركزة في فورت براغس في شمال كارولينا باتوا على استعداد للتوجه إلى العربية السعودية ومهمتهم: إجراء تخريب إعلامي لضرب معنويات حشود القوات العراقية في الجبهة المقابلة من الحدود، وذلك بالايحاء مثلاً بأن آبار المياه، في الصحراء مسمومة.

ولا بد من ممارسة ضغوط نفسية على العراق لتأكيد التصميم الأميركي، تلتقط صور، مثلاً، لجنود يقومون بتفتيش المنازل منزل بعد الآخر، وهو ما سوف يكلفون به إذا استعيدت مدينة الكويت.

وقد صاغت المجموعة المحيطة بروبرت غايتس بياناً طويلاً سري جداً «بما يجب فعله وما لا يجب (إفعل لا تفعل Do and don't) ويتوجه

هذا النص إلى الرسميين المدنيين والعسكريين المعنيين مباشرة بالأزمة، ويشكل قانوناً مسلكياً، مشيراً مثلاً إلى ما يجب إعلانه وما لا يجب.

ورغم ذلك سينزلق قائد سلاح الجو، الجنرال ديوغان Dugan في زلة لسان فاضحة فلقد أكد الجنرال ديوغان للصحفيين وجود خطة لقصف بغداد وأنَّ إسرائيل ستساعد القوة الجوية Air Force باختيار الأهداف.

أمر بوش بفصل ديوغان فوراً. ذلك أن تصريحاته كانت محرجة دون شك، إضافة إلى أنه لم يحترم قاعدة رئيسة من مبدأ «ما لا يجب فعله». الواردة في البيان الشهير: عدم الإشارة بتاتاً إلى أي شكل من التعاون مع إسرائيل.

في القدس، الأنباء الواردة «تشغل» القادة الإسرائيليين. فبداية هناك هذه المعلومة التي نقلتها أجهزة الاستخبارات عن الاستعداد لهجوم جوي ضد المفاعل النووي الإسرائيلي في ديمونا في صحراء النقب.

وقد أخذ التهديد على محمل الجد بما يكفي كي تنقل صواريخ هوك المنصوبة على الحدود الأردنية إلى منطقة المفاعل لتدعيم النظام الدفاعي هناك. حتى أنه بُحث باخراج السكان من المدينة المجاورة.

في ١٢ آب اقترح صدام حسين في خطاب بثه الراديو والتلفزيون تسوية شاملة في الشرق الأوسط. واعتبر أنَّ أي انسحاب من الكويت يستدعي المناقشة حول الوجود السوري في لبنان والأراضي التي تحتلها إسرائيل. كما طالب، في أي حال، «بالانسحاب الفوري غير المشروط لقوات الاحتلال الإسرائيلية». وقد رد بوش مباشرة بطلب «الانسحاب الفوري غير المشروط لقوات الاحتلال من الكويت».

ردة الفعل الأميركية بدت غير كافية لتُطمئن شامير رئيس الوزراء

الإسرائيلي. فهو يعتبر أن صدام «يناور لإضعاف التحالف الدولي المقام ضده». أما في الضفة الغربية وغزة فقد استقبل اقتراحِ الزعيم العراقي بحماس شديد. وفي الثاني عشر من آب، خصص الجزء الأكبر من اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي للتطورات في الخليج، وقد أخذ الكلام اثناءه موشي أرينز وزير الدفاع، دان شامرون رئيس الأركان والميجر جنرال آمون شاراك.

وفي ضوء هذه الأحداث بدا أحدهم مرتبكاً:

إنه اسحق رابين، رئيس الوزراء العمالي الأسبق، وهو شخصية باردة وحاسمة. فهو لم ينِ يفكر في هذه الرسالة الغريبة التي وصلت بداية العام.

أحد رجال الأعمال الإسرائيليين أرزيال ايناف تلقّى اتصالاً من شخصية وُصفت بأنها «رئيس مصرف معروف جداً وفاعل من الطراز الأول في السوق النفطية».

هذا الرجل الأميركي ومن أصل عربي كان التقى طويلاً صدام حسين في بغداد الذي كلفه الاتصال برابين «الرجل القوي في الحكومة الإسرائيلية» والذي كان في هذه الفترة وزيراً للدفاع.

وبعد أن أعلم رابين بهذه المبادرة، أمر بإجراء تحقيق حول رجل الأعمال الأميركي ـ العربي. وتبين من التقرير الذي حصل عليه «إنه جدّي ولديه علاقات على مستوى رفيع». وقد قبلَ رابين، وهو لم يزل متحيّراً بهذه المبادرة من الزعيم العراقي، بمبدأ اللقاء، واهتم مساعده ايتان هابر بالتحضير له. وتقرر أن يلتقي الوزير الإسرائيلي رجل الأعمال في فيلادلفيا حيث كان رابين عابراً. وقد تم الاتفاق بين الشخصيتين: لا

بد من أن يحاط لقاؤهما بسرية مطلقة. وقد تم خلاله تقييم وتوزين دقيق لكل تفصيل على حدة.

وصل المصرفي بطائرته الخاصة ليتلافى الصحفيين، ودخل الى الفندق، حيث ينزل رابين، من المطبخ، وأخذ مصعد الشحن الذي وضعه قرب جناح الوزير.

استمر النقاش بين الرجلين لأكثر من ساعة، اقترح صدام حسين على رابين لقاءً «في بغداد أو في أوروبا». قبل الاسرائيلي، ولكنه رفض ان يشارك، كما يقترح العراقي، في أي لحظة من المباحثات، ممثل عن منظمة التحرير الفلسطينية. وتم اقتراح موعدين. أعطى صدام حسين موافقته ثم ألغى عملياً اللقاء عشية اليوم نفسه.

إلا أن الاتصال ظل مستمراً بواسطة رجل الأعمال الأميركي بين المسؤولين السياسيين، وذلك لغاية شباط ١٩٩٠، حين ألقى صدام حسين خطاباً في عمان تضمن هجوماً على اسرائيل واميركا وإيذاناً بالقطيعة. غير ان السؤال ظل يواجه رابين، بكل دلالاته:

ماذا يريد، حقيقة، الرئيس العراقي؟

الاثنين ١٣ آب ذهب الملك حسين الى بغداد. وكان مقرراً أن يغادرها بعد يومين الى واشنطن، حيث يأمل لقاء بوش، حاملا رسالة من صدام حسين أو مشروع خطة للسلام. وقد كان ما يزال يعتقد بامكانية حل عربي للأزمة، وفي تعارض مع أي منطق، ظاهرياً. اتخذت الولايات المتحدة وغالبية دول الجامعة العربية، منذ قمة القاهرة، موقفاً سلبياً من هذا الحل. كان الاردن غارقاً في المصاعب الاقتصادية. فيما واشنطن والرياض بدأتا تعاملانه بحذر. وقد لجأ العديد من البلدان

العربية الى طرد المقيمين الأردنيين، فيما توفرت معلومات للملك تفيد بان السعودية البلد الثالث من حيث التبادلات التجارية، تتهيأ لوقف استيرادها من البضائع الأردنية.

وقد كشف الملك حسين أن «كل يوم يمر يجعلنا أقرب من الحرب، وهؤلاء الذين يعلنون موت الحل العربي يتناسون انه كان ممكناً في الاسبوع الأول من الأزمة. ولغاية ما تم القضاء عليه من قبل الأميركيين».

وكان الملك يعلم أيضاً أن عليه مواجهة عدوانية الكونغرس الأميركي وقد عمل على إعداد رسالة موجهة لكل فرد من الشيوخ والنواب حيث يشرح تفصيلاً موقف بلاده.

عندما خرج من محادثاته مع صدام حسين كان الملك متجهماً ولم ينطق بكلمة واحدة. فيما كشف أخوه الأمير حسن ان المحادثات باءت بالفشل.

في ١٤ آب، قطع جورج بوش، لفترة وجيزة، عطلته ليعود الى واشنطن. كان تم انتشار ستين ألف جندي بحار وطيار في العربية السعودية، فيما خمسون ألف يُرتقب وصولهم خلال الأيام المقبلة. وقد قدر البنتاغون كلفة العملية: «درع الصحراء» بعشرة ملايين دولار في اليوم الواحد.

في ١٥ آب صباحاً التقى زعماء الكونغرس. كان الرئيس مخوّلا دعوة مئة وعشرين ألف احتياطي خلال ١٢٤ يوماً دون حاجة الى موافقة الكونغرس. إلا أنه كان يسعى على الصعيد الداخلي الى تحقيق ما حققه على المستوى الدولي.

وقد كشف بعض مستشاريه «ان موافقة الأمم المتحدة تبقى أسهل

من موافقة الكونغرس . » وأحدهم أضاف :

ـ صحيح ، إننا وعدنا بمشاورة الكونغرس في حال الحرب ، أي أننا سوف نتصل بهم هاتفياً مباشرة بعد سقوط الدفعة الأولى من القنابل .

عاد بوش الى كينبانكبورت قبيل استقباله للملك حسين . ولقد سبقت وصول العاهل الأردني إشاعة ، مفادها أنه يحمل رسالة من صدام حسين . كان هذا غير صحيح . ولم يكن لديه من جديد يقوله لبوش الذي استقبله ببرودة . الى ذلك كانت أوساط الملك في عمّان تدلي بتصريحات تثير الإدارة الأميركية ، مؤكدة ان الولايات المتحدة تستفيد من هذه الأزمة لمزيد من السيطرة ، مستقبلاً ، على المناطق النفطية في العالم .

وفي أثناء المحادثات التزم الملك حسين تطبيق عقوبات الأمم المتحدة ، وطلب من الرئيس الأميركي النظر سريعاً في مساعدة لتعويض الأردن ما يصيبه من خسائر . بوش وعد «بدراسة» هذه المسألة دون ان يلزم نفسه مالياً بأي شيء .

كان الزعيمان يتجاملان ولكن بغياب ما كان يميز لقاءاتهما من حرارة وجو حميم . فالملك الذي كان يصفه بوش حتى الآن «بالصديق القديم والحليف الوفي» بات موضوع شكوك . وعندما غادر حسين الرئيس الأميركي بدا ، وفق بعض الشهود ، منهاراً .

لقد تناول الرجلان على الأرجح مبادرة صدام حسين الأخيرة التي أعلن عنها في اليوم نفسه .

في كتاب الى الرئيس الإيراني رفسنجاني اقترح الرئيس العراقي السلام على البلد الذي كان حتى الآن ألد أعدائه . وقد أكد التخلي عن مطالبته بالمناطق الحدودية ، وأعلن عن انسحاب قواته المرابطة في المناطق موضوع

النزاع، وذلك ابتداء من ١٧ آب. هذه القوات سترسل الى الكويت والحدود السعودية. وأخيراً قبل صدام بالإفراج عن ١٩ ألف أسير إيراني معتقلين لديه.

ببضع سطور محى صدام حسين ذكرى مئات الألوف من القتلى العراقيين، سقطوا طوال ٨ سنوات في صراع اعتبر الأكثر دموية منذ الحرب العالمية الثانية، وأعطى بذلك برهاناً جديداً عن حنكته في إدارة الأحداث.

أما الانسحاب العراقي من منطقة شط العرب القريبة من إيران فيمكن تفسيره بسهولة. فصدام حسين، من خلال ضمه للكويت، يمتلك الآن منفذاً هاماً على الخليج.

والواقع ان تعبير ضم غير مناسب. فالأصح الحديث عن ذوبان حقيقي للكويت في متن الكيان العراقي. لقد تساءلت أجهزة الاستخبارات الغربية طويلا عن الهوية الحقيقية لهذا الكولونيل علي الذي قُدم بصفته زعيم جماعة من «الثوار الشباب» الذين استولوا مؤقتاً على السلطة. فلم يكن أي «كولونيل علي» في عداد الجيش الكويتي وقد تبين من استقصاء أشمل أن الرجل هو صهر صدام حسين.

ومن ناحية أخرى فبالإضافة الى أربعمائة وثلاثين ألف رجل وثلاثة آلاف وخمسمائة عربة مصفحة انتشرت في المنطقة تم إرسال سبعة آلاف عنصر من المخابرات الى الكويت. الهدف: تفكيك حركات المقاومة الناشئة. وقد قُسمت العاصمة الى مناطق نشرت فيها عدة نقاط مراقبة. وفيها أخضعت المنازل للتفتيش، كان كل من يعثر عليه وبحوذته بيانات أو جرائد صادرة عن المقاومة السرية يتعرض للتصفية الفورية. أما

سجلات المصارف فنقبت تنقيباً لكشف الرسميين والموظفين الذين قبضوا شكات صادرة عن سفارات أو مكاتب حكومية. وكذلك حولت بعض المدارس ومراكز الشرطة الى مراكز استنطاق.

في العراق، أعيد خلط الأوراق. فالكويت لم تعد تظهر سوى كونها المحافظة التاسعة عشرة التابعة لبغداد.

أما مدينة الكويت فأعيدت تسميتها «كاظمة»، واللوحات المعدنية العراقية أصبحت على واجهة السيارات. فيما تبرز صور ونصب الرئيس العراقي على طول الشوارع وعلى تقاطعاتها. وكشف أحد المقربين من صدام حسين عن « ان الكويت ابتلعت في أعماق التاريخ واختفت من الجغرافيا. »

العراقيون تعاملوا بوضاعة مع الثراء الكويتي. القوات المحتلة تنهب قليلاً، فيما القيادات، على نطاق واسع. لقد خسر تاجر سيارات خلال ساعات أربعة عشر ألف شيفرولي وأولدزموبيل جديدة متوهجة. حيث أرسلت جميعها الى بغداد. ويأتي من حين الى آخر بعض معاوني الوزراء خصيصاً الى الإمارة (سابقاً) ليحملوا معهم مخزون الكماليات.

غير ان صدام حسين لم يستطع وضع يده على ودائع الكويتيين الهائلة التي جمدت بعد ساعات من الاجتياح، رغم ان قوافل خاصة جلبت من مدينة الكويت الى بغداد ثلاثة مليارات دولار بالعملة الأجنبية ومليار دولار من الذهب، ضبطت في المصرف المركزي والعديد من المؤسسات المالية في البلد.

في ١٦ آب، يهدد صدام حسين باحتجاز الاميركيين والبريطانيين المقيمين في الكويت ويأمرهم بالتجمع في فندق معين. كما يهدد أيضاً

بإعادة الجنود الأميركيين الى ذويهم «بالنعوش». وفي اليوم التالي أعلنت الحكومة العراقية ان الغربيين الذين تحت إشرافها سينقلون الى مواقع مدنية وعسكرية استراتيجية طالما استمر التهديد بالحرب. وطلب مجلس الأمن الى السكرتير العام بيريز دي كويار العمل على تحرير الأجانب. وفي هذه الأثناء كانت ثلاثون فرقة عراقية تغادر الحدود لدعم المئة وخمسين ألف رجل الموجودين في الكويت.

في ١٧ آب، غادر جيمس بايكر واشنطن على متن طائرة، الى مزرعته في ويومينغ في إجازة لبضعة أيام. وقد واصل اتصاله اليومي بادوارد شيفارنادزه في موسكو. بعد ذلك سوف يقام اتصال مثلث حيث يطلب بايكر بتوجيه من بوش، من السوفييت دعم قرار من الأمم المتحدة يجيز استخدام القوة لفرض الحصار. ان لعبة «بوكر» مغشوشة ستدور هنا بين الطرفين: السوفييت يماطلون وهم ما يزالون مقتنعين بإمكانية إيجاد حل عبر التسوية، فيما الوقت بالنسبة للأميركيين يصبح ثميناً.

في ٢٠ آب، وصل نائب رئيس مجلس الوزراء العراقي سعدون حمادي الى موسكو، واستقبله المسؤولون السوفييت الذين يطالبون بانسحاب غير مشروط من الكويت وبإخلاء سبيل جميع الأجانب. عاد حمادي في اليوم التالي الى بغداد وشيفارنادزه اتصل مباشرة ببايكر:

ـ انتظروا ٤٨ ساعة قبل استصدار قرار فمن الممكن ان يتوصل نائب رئيس الوزراء العراقي الى إقناع صدام حسين.

ـ وإذا فشل تنضمون إلينا بعد يومين.

ـ اؤكد لك ذلك سريعاً.

في اليوم التالي عصراً اتصل شيفارنادزه ببايكر:

ـ جيم نحن بحاجة الى مهلة .

ـ كم من الوقت؟

ـ خمسة أيام، لغاية ٢٧ آب .

بايكر يصمت وبعدها :

ـ إنها مدة طويلة . عليّ ان اتشاور مع الرئيس .

بايكر يتصل ببوش العائد في ١٩ آب من مقره في ماين والذي غادر في اليوم التالي الى بالتيمور حيث وصف، لأول مرة، أمام تجمع من قدامى المحاربين، الأجانب المحتجزين في العراق والكويت «بالرهائن» . وهي كلمة تحمل شحنة عاطفية وسياسة هائلة في الولايات المتحدة، وذلك منذ قضية الدبلوماسيين الأميركيين الذين احتجزوا عام ١٩٨٠ في السفارة في طهران . وبدا بوش منزعجاً من مماطلة السوفييت وطلب من بايكر الحصول على مهلة أقصر . فما كان من وزير الخارجية إلا ان طلب موسكو وقال للسوفييتي :

ـ من الصعب الاستجابة لطلبكم . نحن نعاني من ضغوطات قوية . خاصة ان بعض المسؤولين في البنتاغون يطلبون السماح لهم باستخدام القوة لفرض الحصار دون انتظار غطاء الأمم المتحدة .

شيفارنادزه يتنهد :

ـ اعلم ذلك، نحن نعاني من المشكلة نفسها مع ضباطنا الذين يعتقدون اننا نخطىء عندما ندعمكم . إذ بنظرهم ليس لديكم سوى هدف واحد :

إقامة تواجد عسكري دائم في الشرق الأوسط . وبالعودة الى مسألة

الأمم المتحدة ماذا تقترحون؟

ـ ان يجري التصويت في ٢٤ !

ـ موافق

ـ ولكن سننال دعمكم أليس كذلك؟

بقي جواب شيفارنادزه غائماً.

غير ان القائم بالأعمال السوفييتي في موسكو سيرجي شتفيركوف، حضر، في اليوم التالي ٢٣ آب، الى وزارة الخارجية. وقد كلفه المسؤولون السوفييت إبلاغ الاميركيين النص الكامل للرسالة الموجهة من غورباتشيف الى صدام حسين، حيث يطلب الزعيم السوفييتي الانسحاب من الكويت وإخلاء سبيل الأجانب مضيفاً: «لقد أجلنا التصويت في مجلس الأمن بقدر ما تمكنا. واننا نطلب منكم ان ترسلوا لنا جوابكم نهار الجمعة (٢٤) آب مساءً على أبعد تقدير.»

اتصل الوزير السوفييتي بنظيره الاميركي حالما تلقى الرسالة العراقية.

ـ ماذا يقولون؟ سأل بايكر.

ـ ما لا يستأهل أي تعليق. في أي حال هذا ما لا يرضي بتاتاً. يمكنكم الذهاب الى الأمم المتحدة ونحن سنلحق بكم.

بعد دقائق تلقى رئيس البعثة الاميركية الى الأمم المتحدة، توماس بيكيرينغ أمراً من بايكر لإبقاء الأعضاء الخمسة عشر في مجلس الأمن في اجتماع مفتوح ما لم يتم التصويت على القرار. السبت ٢٥ آب الساعة الثانية صباحاً نال القرار رقم ٦٦٥ الذي يجيز استخدام القوة لفرض

الحصار ١٣ صوتاً مقابل لا شيء، وبامتناع عضوين كوبا واليمن.

في ٢٧ آب غادر جيسي جاكسون مطار كيندي في نيويورك على متن طائرة من الخطوط الملكية الأردنية. لقد افتتح هذا المرشح الأسود للرئاسة أسلوباً سوف يصبح حديث الناس طوال أشهر: السفر الى بغداد، لقاء مع صدام حسين الذي يشرح موقفه ومظلوميته، ثم العودة الى الوطن بصحبة كومة من الرهائن. الأول الذي فتح هذه الثغرة كان الرئيس النمساوي كورت فالدهايم الذي افتتن بهذه الفرصة التي سمحت له الخروج من المحجر الصحي الذي وضع فيه بسبب بعض الاشكالات حول ماضيه خلال الحرب العالمية الثانية.

الا ان رحلة جيسي جاكسون كانت أشد أهمية ووزناً ـ لكونه ـ شخصية اميركية ولأن الأزمة الراهنة كانت قبل كل شيء منازلة «بالكباش» بين بوش وصدام. غادر القس الأسود الى بغداد على رأس فريق تلفزيوني.

أما هدفه فاجراء مقابلة مع الرئيس العراقي. وقد أظهرت مجريات زيارته الفائدة التي كانت تريد بغداد ان تجنيها من مثل هذه الزيارات.

كان ثلاثة ملايين من الأجانب موجودين في العراق والكويت. والأكثر عدداً منهم المصريون ١,٦ مليون في العراق و ١٥٠,٠٠٠ في الكويت ويليهم الفلسطينيون (٣٠٠,٠٠٠ في العراق ١٧٠,٠٠٠ في الكويت) ثم الهنود والفليبينيين. غير ان هؤلاء العمال من العالم الثالث لا يشكلون رغم عددهم ورقة ضاغطة أو عملة تبادلية تساوي ولو جزءاً يسيراً مما يساويه الاميركيون (٢٥٠٠ في الكويت و٥٠٠ في العراق) البريطانيون (٤٠٠٠ في الكويت و٥٠٠ في العراق) إضافة الى رعايا أوروبيين آخرين.

لقد تم استقبال جاكسون وبعثته بعيد وصولهم مباشرة، ولمدة طويلة من قبل طارق عزيز وذلك لما يقارب الثلاث ساعات ونصف، شرح أثناءها الوزير العراقي، تفصيلاً موقف بلاده، وعرض بدقة تاريخ الأزمة، سامحاً لنفسه القول: « لمرات عديدة خلال المفاوضات بدا الرئيس صدام حسين أكثر صبراً مني وأكثر تسامحاً. . . عندما انتهت قمة جدة كنا يائسين بسبب الرفض الكويتي. لم نعد نستطيع تسديد وارداتنا من المواد الغذائية. كانت حرب حقيقية لتجويعنا. الملك فهد نفسه، في العربية السعودية، لم يكن يبدو مهتماً ما إذا كنا جائعين. وقد خلصنا الى أنها مؤامرة مدبرة لتدمير العراق، مؤامرة لم يكن الكويت ليعدها دون دعم دول كبرى. بالنسبة لنا كانت هذه مؤامرة تهدف الى تقويض الاقتصاد العراقي، يتبعه انهيار سياسي ثم قلب النظام. »

وعندما انهى طارق عزيز عرضه سأله أحد الصحفيين المرافقين لجاكسون:

ـ كيف يأمل العراق بالتعاطف معه فيما الاميركيون ما يزالون يتذكرون مشهد الأهالي الأكراد المسمومين بالغاز عام ١٩٨٨، وشنق الصحافي البريطاني أوائل هذا العام؟

ظل الوزير العراقي صامتاً لبرهة وقد فاجأه السؤال، قبل ان يجيب بصوت خافت:

ـ أوافق أنها مشكلة.

في المساء استقبل صدام حسين جيسي جاكسون منفرداً. ودار جزء من المحادثة حول المسيح واستشهاده. وقد شبه الرئيس العراقي نفسه بالمسيح كونه ضحية إدانات متعمدة وأحكام جائرة.

واعترف بانه أعطى الأمر باستبقاء الأجانب ولكنه أضاف «كان ذلك ضمانة للسلام» معتبراً ان «الحصار الحالي المفروض على الغذاء والأدوية أقسى من أخذ الرهائن».

وأظهر صدام حسين مرارته العميقة تجاه الولايات المتحدة. حيث كان يشعر بالاهانة من غياب الجواب الاميركي على «انفتاحه المتكرر» وكشف، مذلولاً: «بعد لقائي مع سفيركم في ٢٥ تموز، لم تكلف السلطات الاميركية نفسها الطلب مني نسخة رسمية عنه. إن بلدكم يتعامل معي بتعجرف السلطة المستعمرة تجاه إحدى مستعمراتها.»

وفي اليوم التالي تمكن جاكسون من القيام بزيارة قصيرة الى مدينة الكويت ولأسباب أمنية طلب المحيطون بصدام حسين أن يقوم بتصوير الفيلم مصورون عراقيون وبآلات التلفزيون العراقي. وفي نهاية المحادثة سأله جاكسون إذا كان، ببادرة حسن نية، «تخدم أغراض السلام» مستعداً لإخلاء فوري للرهائن. أجاب صدام حسين بنبرة غاضبة:

ـ في أكثر من مقابلة ولأكثر من صحفي، شرحت بوضوح موقفي من هذا الموضوع. وليس عندي ما أضيفه. ثم نهض وبلحظة تغير موقفه وتبدلت تعابيره. لا أثر للغيظ بل ابتسامة رضى وسلام مطوّل يداً بيد مع جاكسون التلقطته بعناية الكاميرات الحاضرة. وقد قال للقس الأميركي بنبرة احتفالية، وليسمعه الجميع: «كانت سهرة ممتعة تبادلنا فيها مشاعر انسانية عميقة. واكراماً للأميركيين الذي يشاهدوننا على التلفاز، يمكنكم أن تصطحبوا معكم النساء والأطفال وقد سمحت لهم بالمغادرة وكذلك أربعة رجال يبدون مصابين بالمرض. وسيصلون إلى الولايات المتحدة على متن طائرة عراقية».

وفي حين كان جاكسون يستعد لمغادرة بغداد عاد المدير العام لوزارة الدفاع الإسرائيلية دافيد ايفري إلى تل أبيب. كان قد ذهب على عجل إلى واشنطن لاجراء مفاوضات سرية مع المسؤولين الرئيسيين في البنتاغون. الحكومة الإسرائيلية تبدو قلقة من المشاريع الأميركية لبيع السلاح إلى العربية السعودية. خاصة أن الاتفاق مع الرياض يشمل ٢٤ ف ١٥ سي، ١٥٠ دبابة و٢٠٠ صاروخ ستينغر مضاد للطائرات. وقد قدر الإسرائيليون هذه الصفقة بـ ٢,٥ مليار دولار. وقد حمل دافيد إيفري مشروعاً تطلب إسرائيل بموجبه حق الحصول الفوري على كمية أكبر من المعدات العسكرية. خاصة من طائرات ف ١٦ وصواريخ آباش وتاو، إضافة إلى دفعة من ١,٨ مليار دولار مساعدات عسكرية، سبق للولايات المتحدة أن وافقت عليها. وقد طلب إيفري أن تحصل إسرائيل على مجمل المبلغ في بداية السنة الضريبية. وقد عاد إيفري بوعد بأن الولايات المتحدة ستبيع القدس ما يوازي مليار دولار من الأسلحة المتطورة.

في اليوم نفسه تلقت الحكومة الإسرائيلية رسالة من غورباتشوف نقلت بواسطة وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما الذي كان قد التقاه. إن موسكو ومن خلال معلومات حصلت عليها في بغداد تتخوف من احتمال هجوم عراقي على إسرائيل.

لا تختصر أزمة الخليج بنظر غورباتشوف بكونها فرصة رائعة لكي يثبت للعالم اعتداله وشعوره بالمسؤولية من خلال تعاونه الوثيق مع الولايات المتحدة. بل إنها أيضاً «وجع ـ رأس» وربما فخ. إذ لا بد له من استيعاب هجوم بعض مراكز السلطة التي ما تزال قوية خاصة وسط الجيش، وبعض أقسام المخابرات K.GB ووزارة الخارجية، وهي تحافظ

على علاقات وثيقة مع بغداد. الجميع «يقلق من مسايرته الاستراتيجية الأميركية». وقد أكد غورباتشوف من جديد، في ٣١ آب، على «انطباق نشاط الولايات المتحدة مع شرعة الأمم المتحدة». وقد تم الاعتراض عليه بأن واشنطن تعد لانشاء نظام أمني جماعي في الخليج يفضي إلى تواجد عسكري دائم في هذه المنطقة. إنه مشروع يسبب له الارباك.

بالإضافة إلى ذلك، بدا غورباتشوف غاضباً من عدم معرفة الكرملين بالخطط العراقية. وفي النهار الذي شهد الاجتياح استدعى إلى مكتبه وزير الدفاع الماريشال ديمتري يازوف. من المدافعين عن الخط التقليدي، وقد جرى حوار متوتر بين الرجلين.

وتبين من الاستقصاء أن الاستخبارات العسكرية GRU أعلمت بالاستعدادات للاجتياح قبل اسبوعين من وقوعه. وكانت GRU على صلات متعددة في العراق وذلك عبر الخبراء العسكريين والرسميين من بطانة صدام. ولتبرير صمتهم شرح المسؤولون في الاستخبارات العسكرية أن المعلومات الواردة بدت لهم «مبالغة». كان هذا دفاع معقول، غير أن هذا الصمت من الممكن أيضاً أنه كان كتماناً مقصوداً، لوضع الرئيس السوفييتي في موقف محرج.

إضافة إلى أن العراقيين يملكون عملة تبادلية: الخبراء العسكريين السوفييت الذين ما يزالون في مكانهم وما يزال عددهم سرياً. وقد أعلمت بغداد موسكو أن عودتهم ستتعرقل إذا أفشى السوفييت «باسراز عسكرية» للأميركيين.

وقد شكَّ المحللون الغربيون الأكثر تشاؤماً بأن غورباتشوف يلعب على الحبلين. من جهة الورقة الدبلوماسية والاستنكار لصالح المجموعة

الدولية، ومن جهة أخرى الاستمرار، سراً ، بدعم عسكري لنظام بغداد حليف الاتحاد السوفييتي منذ ما يناهز العشرين عاماً. وفي أي حال من الواضح أن هذه الشكوك تنال من مصداقية غورباتشوف.

في ٥ أيلول مساء، ظهر هذا الأخير في إطار الجريدة المتلفزة «فريميا»، وقدم تقريراً مفصلاً عن مقابلاته النهارية، فلم يذكر لقاءه مع طارق عزيز.

فالوزير العراقي كان قد قام بزيارة خاطفة و «استقبله بناء لطلبه رئيس الاتحاد السوفييتي» وفي ختام محادثاته التي وصفت «بالصريحة» وهذا ما يعني في القاموس السوفييتي «صعبة» أدلى العراقي مبتسماً: «دون تردد ما زال يمكنني أن أنعت الاتحاد السوفييتي بالصديق.» عبارة ربما كانت تهدف بمظهرها الصريح أن تزعج غورباتشوف قبل ثلاثة أيام من لقائه جورج بوش في هلسينكي. وفي المساء، في كلمة له في فلاديفوستوك أكد شيفرنادزه بأن «الأسرة الدولية لا يمكنها أن تتغاضى مع الدول النهّابة وأنظمة القرصنة».

لم يكن الاتحاد السوفييتي البلد الوحيد الذي يشتبه بأنه يلعب لعبة مزدوجة. فأكثر من مصدر مسؤول سيتساءل في غضون الأسابيع التالية عن حقيقة الموقف الفرنسي.

حتى إن البعض سيذهب إلى وصفه «بالمتردد» و «الغامض». هل فاوضت فرنسا العراق بشأن إخلاء رهائنها؟ في تونس وخاصة في عمان من المحتمل أن يكون قد جرى اتصال مباشر بين مبعوثين فرنسيين، معروفين بعلاقاتهم المميزة بالقادة العرب وأجهزة الاستخبارات في الشرق الأوسط، وبين مسؤولين عراقيين. ويطرح هنا بالتأكيد اسم كلود شيسون

ولكن أيضاً فيليب روندو، خبير الشؤون العربية في DGSE والذي كان والده لسنوات خلت من مؤسسي الاستخبارات السورية. ما هو الثمن الذي دفع؟ بالتأكيد أكبر من تراجع الخمسة آلاف جندي فرنسي المرابطين في السعودية تراجعاً رمزياً إلى خمسين كليو متراً أو التخلي عن السفارة في الكويت بحجة الافتقار إلى المياه. وهناك سر أهم بكثير مما ذكرناه. هل ما يزال يوجد فرنسيون في العراق؟

إن بعض التقنيين المدنيين وربما أيضاً العسكريين المقيمين في بغداد قبل الاجتياح لتأمين صيانة معداتنا العسكرية، ما يزالون يعملون هناك منذ إخلاء الرهائن ورغم مقررات الأمم المتحدة.

الثامن من أيلول وقبل وصول الرئيس الأميركي ونظيره السوفييتي إلى العاصمة الفنلندية، ببضع ساعات، وجه صدام حسين تحذيراً متلفزاً طالباً عدم التدخل الأجنبي في العالم العربي، ومن الاتحاد السوفييتي أن يقوم بكل ما يلزم للمحافظة على موقعه كدولة عظمى. وهي إشارة عدائية وغادرة تبطن أن موسكو بالتحاقها بالمواقف الأميركية بدأت تفقد شيئاً فشيئاً من نفوذها وتنزلق إلى دور التابع.

في ٩ أيلول، تم الاتفاق بين بوش وغورباتشوف الذي بعدما أقنع الرئيس الأميركي بعدم دعمه العراق عسكرياً، حصل على ضوء أخضر للابقاء على صلاته واتصاله بالعراق. فقام بتكليف أحد معاونيه المقربين ايفغيني بريماكوف بمتابعة الملف. وبالمقابل أجاز غورباتشوف لبوش متابعة استعداداته العسكرية. وصدر بيان مشترك يعيد التأكيد على الرغبة بتسوية سلمية لهذه الأزمة. إلا أنه «إذا ما فشلت جميع المحاولات الراهنة، نكون مستعدين للنظر في مبادرات أخرى ملائمة لشرعة الأمم المتحدة».

المجهول الرئيسي كان وما يزال حتى ذلك اليوم يتمثل بقرار صدام حسين. ولكن جزءً من النقاب يمكن أن يرفع من خلال حديثه السري، نهاية شهر آب لياسر عرفات وأبي أياد أثناء لقائه بهما.

لقد وجده القائدان الفلسطينيان «مرتاحاً تماماً». كان صدام يتكلم بهدوء، حيث أسرّ «الآن وقد تفاقمت أزمة الخليج، هل يمكنني أن اختزلها إلى المطالبة بجزيرتين وبضع آبار نفط، خاصة بعد أن انسحبت من شط العرب؟ هذا لا يكفي. إذا قلت للشعب العراقي إني انسحب لأني وجدت حلاً لمشكلة بحجم القضية الفلسطينية فإنه سيتفهم. ولكن إذا أقدمت على الانسحاب فقط من أجل الاحتفاظ بالجزر وآبار النفط فان الشعب لن يقبل بذلك أبداً، وهذا أفدح من خسارة الحرب. لم أقل أبداً إني مستعد للانسحاب، لماذا؟ لأني اعتقد أن الجنود العراقيين سيفقدون معنوياتهم عندما يشعرون بأني مقتنع بالانسحاب». ثم يضيف: «إذا تقدمت بعرض للسلام علي أنا أن أقدم تنازلات، أما إذا جاءت العروض من الآخرين فحينها أحصل أنا على التنازلات.»

وقد تناقش الرجال الثلاثة باحتمال اندلاع الحرب. صدام يواجهه دون اضطراب. «إني على علم تماماً بالتفوق التكنولوجي الأميركي. خاصة في مجال الطيران، ولكني أعتقد أنه لن يمكنهم شل إلا جزء من القوات العراقية وأن المعارك الحاسمة ستدور في البر».

وأخذ يصف تفصيلاً نوعية وحجم الهجمات المختلفة التي يمكن أن يواجهها. يبدو أنه فكر بكل الاحتمالات ووزن كل شيء: الخسائر التي سيتحملها ووسائل الرد. وقد أكد عرفات «وانا أسمعه دهشت لبرودة أعصابه» وأبلغه رئيس منظمة التحرير أنه وفقاً لمعلومات عملانية، هناك عمليات في طور التحضير تستهدفه شخصياً. قهقه صدام وأجابه:

«هل تحاول تخويفي أو دفعي إلى الاستسلام؟ إنها مزحة.» هل انثنى صدام أو انحنى منذ ذلك الحين؟

لقد قابله ايفغيني بريماكوف لمرات عدة، مبعوثاً خاصاً من غورباتشوف. وفي خلال شهر تشرين الأول تخلى السوفييتي عن اللغة الدبلوماسية وهو غاضب ومذهول في آن من جراء تصلب العراقي:

ـ سيدي الرئيس إذا استمريت هكذا سيشن الأميركيون الحرب عليك، ونحن لن نتدخل لمنعهم.

ـ أعلم ذلك، أجاب صدام حسين، بلهجة مترفعة.

ولكنك ستخسر، رد بريماكوف

نظر صدام حسين إليه طويلاً قبل أن يجيب بهدوء:

ـ ربما.

الخاتمة

بالرغم من أن أزمة الخليج لم تجد حلاً لعقدتها، كان علينا ان نختار تاريخاً نختتم به هذا الكتاب، واستقر رأينا أخيراً على تاريخ ٢٩ تشرين الثاني. من الواضح ان الأزمة ستمتد لبعض الوقت؛ وبأن حلها سيصبح أكثر تعقيداً. إذ أن أحداثاً دراماتيكية قد حصلت في الشرق الأوسط في منتصف تشرين الأول.

وفي الوقت الذي كنت أعمل فيه على هذا الكتاب في منطقة وسط جنوبي فرنسا، كان من الواضح بروز عوامل جديدة ضاغطة على التحالف الدولي الرامي الى إجبار صدام حسين على الانسحاب من الكويت.

لقد شغلت الجرائد والراديو والتلفزيون، بقضية ٢١ فلسطينياً تمت تصفيتهم في باحات مساجد القدس في الثامن من تشرين الأول، وأعقب ذلك هزيمة القائد المسيحي الجنرال ميشال عون على يد الجيش السوري في بيروت في الثالث عشر من تشرين الأول.

في الثاني عشر من آب، أي بعد عشرة أيام من غزو الكويت، أعلن صدام حسين ان الأزمة لا يمكن إيجاد حل لها إلاّ ضمن إطار معالجة الصراعات الاقليمية الأخرى: الوجود الإسرائيلي في الأراضي المحتلة، والوجود السوري في لبنان والاختراق الاسرائيلي لجنوب لبنان.

وجاء رد السلطات الاميركية والاسرائيلية معتبراً ان عرض صدام حسين بمثابة «دعاية رخيصة».

وفي حين كانت الأزمة تتابع سيرها، كانت تصريحات بعض القوى الغربية تميل الى الاقرار بوجود علاقة بين مشاكل الشرق الأوسط. فقد أعلن الرئيس فرنسوا ميتران من على منبر الأمم المتحدة، بتاريخ ٢٤ أيلول، ان المفاوضات يمكن البدء بها أذا ما أكد صدام حسين رغبته في ترك الكويت. كذلك أكّد دوغلاس هيرد وزير الخارجية البريطانية، ان حل المشكلة الفلسطينية سيحتل الأولوية، بمجرد انهاء ازمة الخليج. أما الرئيس بوش، وبالرغم من رفضه لوجود صلة مباشرة بين المسألتين، إلاّ أنه اعلن بأن مشاكل الشرق - الأوسط يجب ان تجد حلاً لها بعد انسحاب صدام حسين من الكويت.

شكلت الأحداث الدامية التي حصلت في القدس في الثامن من تشرين الأول هدية غير متوقعة لصدام حسين، فقد نقلت الانتباه العالمي نحو المشكلة الفلسطينية ووضعت إسرائيل في موقف صعب. لقد أعلن الاسرائيليون بأن الاضطربات التي حدثت كانت تقف وراءها منظمة التحرير بهدف إحراج اسرائيل. كما ذهب بعض الناطقين الاسرائيليين الى حد الادعاء بأن العراق هو الذي حرّض منظمة التحرير على هذا العمل. لقد تبنى القادة الفلسطينيون وجهة نظر معاكسة. فقد اتهموا الاسرائيليين بأنهم تصرفوا بطريقة دموية تحت حجة التحرك الذي قامت به مجموعة من المتطرفين الاسرائيليين، «أتباع الهيكل»، والذين أعلنوا عن رغبتهم في تدمير أحد المساجد واستبداله بكنيس.

ولكن من المعروف ان الشرطة الاسرائيلية قد منعت بالفعل المتطرفين من الاقتراب من المسجد. كذلك من الواضح ان الفلسطينيين قد رشقوا

آلاف اليهودبالحجارة أمام حائط المبكى. ولكن من المؤكد أيضاً ان القوات الاسرائيلية قد فتحت النار على الفلسطينيين بعد أن تمكن اليهود من النجاة من راشقي الحجارة وأصبحوا في مأمن.

لقد انتقدت عدة قوى سياسية اسرائيلية الحكومة على قمعها للمظاهرة. فقد اتهمت احدى المجموعات المستقلة «باتسليم»، التي تدعم احتفاظ اسرائيل بالأراضي المحتلة، قوات المحافظة على الأمن بأنها «أطلقت النار بدون تمييز ودون أية تفرقة بين راشقي الحجارة وبين الصبية المتفرجين وأفراد الاسعاف. حيث تتابعت الرماية، بالرغم من ان الجمهور قد تفرق وتوزع في كل اتجاه؛ ولم تتوقف عن ذلك من بعد مجيء سيارات الاسعاف والجهاز الطبي الى مكان الحادث». كما شككت بتقرير المحققين البالغ ٣٤ صفحة.

خلقت هذه الأحداث مشكلة كبيرة للحكومة الأميركية، التي تقيم علاقات قديمة ومتميزة مع اسرائيل. فخلال مناقشات امتدت لخمسة أيام في مجلس الأمن، عملت أميركا على التوصل الى صيغة قرار يحمل أقل ما يمكن من الادانة لاسرائيل. ان حصول الولايات المتحدة على دعم غالبية الدول العربية في أزمة الخليج، أعفاها في الواقع، من ضرورة اللجوء الى حق النقض. ان الأيام التي تلت أحداث القدس، أدّت الى تحويل عدائية العالم تجاه منظمة التحرير، بسبب دعمها لصدام حسين، نحو اسرائيل. هذا التغير يلحظ بقوة في مصر، نظراً لموقف الرئيس حسني مبارك الداعم بقوة لأميركا في سياستها تجاه صدام حسين. وقد أظهرت الصحافة المصرية هذا التغير المتأتي عن أحداث القدس.

ان صيغة القرار الذي توصلت إليه منظمة الامم المتحدة لا يقتصر على إدانة اسرائيل بسبب قمعها الفلسطينيين فقط، بل يرى ضرورة

إرسال لجنة تحقيق ميدانية من الامم المتحدة. الأمر الذي استدعى رداً غاضباً من حكومة شامير المحافظة. واتهاماً للولايات المتحدة بالتدخل في الشؤون الداخلية ورفضاً قاطعاً للجنة التحقيق التي طرحتها الامم المتحدة، مع الاعلان بأن ممثلي الامم المتحدة لا يمكنهم دخول البلاد إلاّ بصفة سائحين. لقد قارن جيمس بايكر سكرتير الدولة الأميركية بين ردة فعل اسرائيل على قرار الأمم المتحدة وردة فعل صدام حسين. وهذا ما ضاعف التوتر بين اسرائيل والولايات المتحدة، توتر كان يمكن للطرفين تلافيه بطيبة خاطر، في خضم أزمة الخليج.

ومنذ بداية أزمة الخليج، نصحت الولايات المتحدة اسرائيل، بأن تتصرف على نحو يمنع الرأي العام الدولي من تصور وجود «مؤامرة أميركية صهيونية». ولقد فهم صدام حسين هذا الامر بدقة. لذا أعلن في عدة مناسبات، بأنه في حال تعرض العراق لأي اعتداء من قبل القوات الاميركية أو غيرها الموجودة في المملكة السعودية، فإنه سيقوم بقصف اسرائيل بالصواريخ، مما يجبر اسرائيل برأيه على دخول الصراع، ويسمح بتفكك وحدة موقف البلدان العربية ضد العراق.

لقد قامت اسرائيل، بإجراء تحقيقها الخاص حول أحداث القدس، مكلفة بذلك الرئيس السابق للموساد «زفي زامير»، واستمعت اللجنة للشهادة الأولى في جلسة مغلقة في تاريخ ١٤ تشرين أول. وبعد مضي ١٢ يوماً، أعلن تقرير «زامير» ان شرطة الحدود الاسرائيلية غير مسؤولة عن مقتل ٢١ فلسطينياً.

لقد حصلت أحداث هامة في الشرق الأوسط خلال العشرة أيام التي سبقت انجازنا لهذا الكتاب.

ففي ١٨ تشرين الثاني، أي بعد ثلاثة أشهر ونصف من بدء أزمة الخليج، اجتمع في باريس ٣٤ رئيس دولة يمثلون حكومات اوروبا الشرقية والغربية والولايات المتحدة وكندا، ضمن إطار قمة "CSCE" معلنين بذلك إنتهاء الحرب الباردة. ووصلت الى القمة رسالة من بغداد، يعلن فيها صدام حسين عن نيته بتحرير الرهائن الأجانب إبتداء من عيد الميلاد. ولم يكن لهذه الرسالة أي وقع مفاجىء. فمنذ بداية الأزمة، حاول صدام حسين ان يستخدم بمهارة ورقة الرهائن بهدف التأثير على الرأي العام الدولي كي يناهض أي هجوم عسكري ضد بلاده. لقد رفضت الولايات المتحدة، المبادرة الأخيرة كما رفضت ما سبقها، معتبرة إياها عملاً دعائياً جديداً. وفي صباح اليوم التالي، وبعد تناول فطور الصباح مع رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر، أعلن بوش إدانته لقرار تحرير الرهائن على دفعات، وأضاف بأنه إذا أراد صدام حسين حلاً سلمياً، فعليه ان يتصرف في الكويت كما تصرف مع ايران، أي أن يقلب موقفه ١٨٠ درجة. عندها لن يكون أحد بحاجة الى إطلاق طلقة نار إذا قام بما يتوجب عليه. أي اذا رضخ ودون تحفظ للشروط التي طرحتها قرارات الأمم المتحدة.

مع افتتاح مؤتمر "CSCE" تبين وبوضوح بأن أزمة الخليج قد غدت

أكثر تعقيداً. فجورج بوش وسكرتير الدولة جيمس بايكر لم يحضرا الى باريس فقط بهدف المشاركة في المؤتمر، بل أيضاً وأساساً من أجل إقناع فرنسا والاتحاد السوفياتي بضرورة قرار جديد تصدره الامم المتحدة يجيز استخدام القوة العسكرية ضد العراق. وبعد لقاء تم بين بايكر ووزير الخارجية الفرنسية رولان دوما سربت أوساط بايكر بأن فرنسا تدعم مثل هذا القرار. وقام الاميركيون بتداول رسالة مشتركة إثر الغداء الذي ضم بوش وميتران. لقد سارع الأليزيه الى القول بأن أي اتفاق بهذا الشأن لم يتم. وبأن فرنسا إذا كانت تقبل «من حيث المبدأ»، فإنها لا تدعم أي قرار لم يناقش في مجلس الأمن. وحدد ميتران موقفه النهائي في مؤتمر صحافي عقده بعد انتهاء اجتماع باريس، معلناً فيه ان قراراً جديداً سوف يتم تبنيه خلال ثلاثة أسابيع ويجيز استخدام القوة.

والامر نفسه تم تقريباً مع السوفييت. فقد عقد بايكر ثلاثة لقاءات مع ادوارد شيفارنادزه، واتصل بوش بغورباتشيف.

لقد واجه السوفييت دون حماس إمكانية صدور قرار «عرض قوة» من قبل مجلس الأمن. وأعلن الناطق الرسمي باسم الوفد السوفياتي في عدة مناسبات، بان موقف بلاده يستند الى «الصبر».

ولكن قبل مغادرة غورباتشوف لباريس، ظهر على شاشة التلفزيون الفرنسي حاملاً على العراق وعلى صدام حسين: «الوضع شديدالخطورة. يجب علينا ان نتحرك، ونظهر حزمنا وتصميمنا. وعلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ان يجتمع دون تأخير من أجل مناقشة الوضع واتخاذ القرار».

كان بوش، وقبل وصوله الى باريس، قد أعلن عن قراره بتدعيم

القوة الاميركية في الخليج عن طريق إرسال مئتي ألف رجل إضافي، الامر الذي دفع المراقبين الى رسم نوعين من السيناريو. الأول يرى ان تحريك قوات بهذا الحجم يتطلب عدة أشهر، الأمر الذي من شأنه استبعاد أي عمل عسكري قبل نهاية كانون الثاني أو بداية شهر شباط. ووفق السيناريو الثاني، فإن الاعلان عن التعزيزات يهدف الى التغطية على عمل عسكري يبدأ خلال شهر كانون الأول.

ان الذين احتفظوا بأمل التوصل الى حل عربي، تبخرت أوهامهم باكراً. ففي بداية شهر تشرين الثاني، اقترح ملك المغرب الحسن الثاني عقد قمة عربية لمعالجة الأزمة. وفي حين سارع العراق لتأييد هذا الاقتراح، فقد قوبل بالرفض من قبل البلدان العربية الرئيسية، خاصة مصر والمملكة السعودية وسوريا.

كذلك الأمر بالنسبة للساعين الى حل تفاوضي، فقد خاب مسعاهم. فالوسيط السوفييتي بريماكوف الذي جال بين الدول العربية، بما في ذلك العراق بهدف تحريك حل سلمي، أوحى بإمكانية تقديم تنازلات الى بغداد. وهذا ما لا تستطيع ولا تريد الولايات المتحدة القبول به. ففي الواقع، كان بوش قد وضع نفسه في موقف يصعب تغييره كما يصعب التفاوض حوله. فقد كان أعلن بأن أية مفاوضات لن تحصل مع صدام حسين ما لم ينسحب من الكويت، وتعود العائلة الملكية الكويتية الى السلطة ويتم تحرير جميع الرهائن. لقد قابل صدام حسين هذه الشروط بالرفض في كل المقابلات التي أجريت معه. في هذا الوقت أعلم وزير الخارجية العراقي أحد المؤلفين المدعو «بيار سالنجر» والذي كان في بغداد في بداية أيلول، برغبة صدام حسين بإجراء مناظرة تلفزيونية مع جورج بوش. وعندما نقل الخبر الى البيت الأبيض كان الجواب «لا»

جازمة. وفي مقابلة أجراها صدام حسين في بغداد في ١٥ تشرين الثاني مع مراسل شبكة «أي. بي. سي»، «بيتر جينيكس»، أكد استعداده لاجراء محادثات مع الولايات المتحدة والعربية السعودية «دون شروط مسبقة»، وهذا معناه انه لن ينسحب من الكويت قبل الوصول الى حل تفاوضي. لقد بدت مواقف كل من جورج بوش وصدام حسين انها غير قابلة للتوافق. ان سقوط احتمال الانسحاب من الكويت من جانب صدام حسين، وسقوط الحل العربي، وسقوط الحل التفاوضي، كان يدفع، باستثناء مفاجأة، نحو الحرب.

وفي ٢٩ تشرين الثاني من عام ١٩٩٠، تبنى مجلس الأمن صيغة قرار تجيز استخدام القوة ضد العراق، مع الإشارة الى تاريخ ثابت للإنسحاب من الكويت وهو منتصف شهر كانون الثاني من عام ١٩٩١. وهذا معناه أن الحرب لن تبدأ قبل نهاية شهر كانون الثاني أو بداية شهر شباط من عام ١٩٩١. مع الاشارة، الى أنه يكفي أن يقوم صدام حسين بأي تحرك عسكري لكي تبدأ الحرب قبل ذلك.

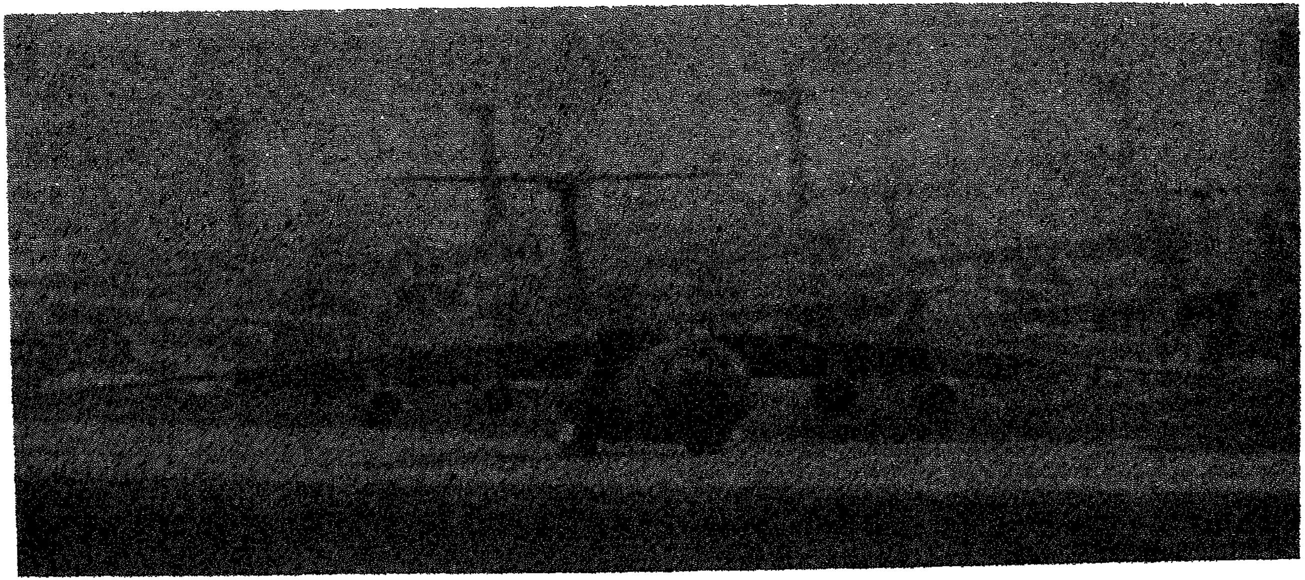
لقد حدثت بعد ذلك المفاجأة. ففي اليوم التالي على تصويت مجلس الأمن، عرض جورج بوش التفاوض مع العراق، عن طريق مجيء طارق عزيز الى واشنطن، وذهاب جيمس بايكر الى بغداد. وكان على صدام حسين ان يجيب خلال ٢٤ ساعة على هذا العرض.

ان خطر الحرب لم يستبعد، ولكن الرئيس الأميركي، امتلك عن طريق هذا العرض نقطتي قوة: فتصويت الأمم المتحدة أطلق يده في استعمال القوة وفي الوقت نفسه سمح له بأن يدخل باب المفاوضات وهو متحرر من أي مظهر ضعف.

ومن الآن فصاعداً باستطاعة بوش ان يمتشق السيف أو يلوّح بغصن الزيتون.



زوجة أسير كويتي في العراق .



طائرات نقل أميركية ضخمة متوجهة الى الخليج .

وثائق

سري جداً وخاص

سمو وزير الداخلية الشيخ سالم الصباح السالم الصباح

بعد لقائنا المشترك وتنفيذاً لأوامر سموكم الصادرة بتاريخ ٢٢ (أوكتوبر) تشرين الأول ١٩٨٩، قمت بين ١٢ و ١٨ (نوفمبر) تشرين الثاني ١٩٨٩، بزيارة مقر وكالة الإستخبارات في الولايات المتحدة، بصحبة الكولونيل اسحق عبد الهادي شدّاد، مدير المباحث في محافظة الأحمدي.

وقد شدد الجانب الأميركي أن تبقى الزيارة سرية جداً، إلى حين حل مشكلة حساسية أشقائنا في مجلس التعاون الخليجي من جهة وفي كل من إيران والعراق من جهة ثانية.

وفي هذه الرسالة أضع بين يدي سموكم، النقاط الرئيسية التي اتفقنا عليها مع القاضي وليم وبستر، مدير وكالة الإستخبارات الأميركية، وذلك خلال لقائي الخاص معه يوم الثلاثاء في ١٤ (نوفمبر) تشرين الثاني ١٩٨٩.

١)إن الولايات المتحدة، مستعدة لتدريب أشخاص، نختارهم نحن، لحماية سمو الأمير وسمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح. إن الإعداد والتدريب سوف يكونان في مقر وكالة الإستخبارات الأميركية

نفسه، هذا مع العلم أن العدد النهائي لهؤلاء الأشخاص هو ١٢٣ شخصاً.

وقد اتفقنا أن تناط ببعضهم مهمات خاصة مرتبطة مباشرة بالعائلة الملكية، هذه المهمات يحددها سمو الأمير ولي العهد.

وحول هذا الموضوع أفادنا الجانب الأميركي، أنهم غير راضين عن كفاءة وقدرات قوات الحرس الملكي اثناء الهجوم الذي تعرض له سمّو الأمير.

٢) وقد اتفقنا مع الجانب الأميركي على أن تتم زيارات متبادلة على كل المستويات بين مديرية الأمن الوطني ووكالة الإستخبارات المركزية.

وأن يتم تبادل معلومات حول تسلح كل من إيران والعراق، وحول البنى الإجتماعية والسياسية لكليهما.

٣) وقد طلبنا بإلحاح مساعدة خبراء الوكالة، لإعادة تكوين بنية مديرية الأمن الوطني، بعد لقائنا معهم، حيث أصبحت هذه القضية من الأولويات الملحة خصوصاً بعد الأوامر التي أصدرها سمّو الأمير.

إننا ننتظر خبراتهم للشروع في وضع استراتيجية جديدة تتناسب مع الوضع الداخلي في البلاد ومع التغيرات في منطقة الخليج، وذلك عن طريق تركيب نظام معلوماتي وآلي في مديرية الأمن الوطني.

٤) وكما طلبنا نحن، فقد أعلمنا الجانب الأميركي، أنه مستعد لتبادل المعلومات، حول نشاطات المجموعات الشيعية المتطرفة داخل البلاد، وفي بعض دول مجلس التعاون الخليجي.

وقد قام السيد وبستر بتهنئتنا على الإحتياطات التي اتخذناها ضد

ت المدعومة من إيران، وأعلمنا أن الوكالة مستعدة لعمل مشترك لاستبعاد كل عوامل التوتر في منطقة الخليج.

٥) وقد اتفقنا مع الجانب الأميركي، على أنه من المهم الإستفادة من ر الوضع الإقتصادي في العراق، حتى نجبر حكومة هذا البلد على ة على رسم حدودنا المشتركة. وقد عرضت وكالة الإستخبارات كية وسائل الضغط التي تراها ملائمة. مع التشديد على أنه يجب أن بيننا تعاون واسع في هذا الحقل، بشرط أن يتم التنسيق على أعلى يات.

٦) يرى الجانب الأميركي، أن تكون علاقاتنا بإيران على الشكل : من جهة يجب أن نسعى لتلافي أي اتصال مباشر معهم. ف ذلك من جهة ثانية، يجب أن نمارس عليهم كل الضغط سادي الممكن، بنفس الوقت الذي يجب ان نستمر فيه بدعم سم مع سوريا.

قد حدد الاتفاق مع الجانب الأميركي، أنه على الكويت تلافي أي ح علني ضد إيران، وبالمقابل تقليص دورها ونشاطها في اعات العربية المختلفة.

٨) لقد اتفقنا مع الجانب الأميركي، أنه من المهم جداً محاربة رات داخل الكويت، وذلك بعد أن أخبرنا خبراء مكتب المخدرات كالة، أن جزءاً كبيراً من الرأسمال الكويتي، يُستعمل لتشجيع تجارة رات في باكستان وإيران. وأن نموّ هذه التجارة له انعكاسات على مستقبل الكويت.

١٠) لقد وضع الجانب الأميركي بتصرفنا خطاً هاتفياً خاصاً، لتشجيع

التبادل السريع للأفكار والمعلومات التي تتطلب اتصالات مكتوبة.

إن رقم خط الهاتف الخاص العائد للسيد وليم وبستر هو التالي: ٥٢٤١ـ٦٥٩ (٢٠٢).

إنني انتظر توجيهات سمّوكم. وابعث لسمّوكم بأفضل التحيات.

العميد فهد أحمد الفهد

مدير عام

مديرية الأمن الوطني

المتعهدون الاجانب المتعاملون مع صدام حسين(*)

الشركات التي تزود العراق بمعدات وتجهيزات عسكرية غير تقليدية .

بلد المنشأ	عدد الشركات
الارجنتين	٣
النمسا	١٧
بلجيكا	٨
البرازيل	١
مصر	١
اسبانيا	٤
الولايات المتحدة	١٨
فرنسا	١٦
اليونان	١
الهند	١
العراق	٢
ايطاليا	١٢
اليابان	١
جيرسي	١
موناكو	٢
البلدان المنخفضة	٢
بولونيا	١
جمهورية المانيا الفدرالية	٨٦
بريطانيا	١٨
السويد	١
سويسرا	١١
المجموع :	٢٠٧

لائحة الشركات هذه، التي اعدت استناداً الى ملفات Middle East Data Project، تحتوي على معلومات حول ٢٠٠ شركة متورطة بتسليم العراق قذائف وصواريخ كيميائية أو موجهة أو تكنولوجيا عسكرية متقدمة.

هذه المعلومات لا تشمل تصدير الاسلحة التقليدية. الميدل ايست داتا بروجكت أحصت أكثر من الف شركة متورطة في هذه الصفقات:

إصطلاحات مستعملة:

س ب: أسلحة بيولوجية وجرثومية

س ك: أسلحة كيميائية، تكنولوجيا و/ أو مواد للتحضير.

ص: تصميم قذائف صاروخية و/ أو معدات للتصنيع.

ن: أسلحة نووية وتكثيف اليورانيوم، تكنولوجيا، تجهيزات ومعدات.

ص س: تصميم اسلحة و/ أو مواد للتصنيع. هذه الفئة تتعلق قبل أي شيء بقضية «المدفع العملاق».

---

* هذه الدراسة اعدت في ميدنيوز التي يديرها في باريس كينث تيمرمان

ايروتش (بيونس أيرس)	ارجنتين	ص	مجموعة كونسن، تصميم صواريخ
كوستش	ارجنتين	ص	مجموعة كونسن، تصميم صواريخ
إينتسا SA(كوردوبا)	ارجنتين	ص	مجموعة كونسن، تصميم صواريخ
كونسولت AST	النمسا	س ك	بناء مختبرات
كوسولتكو	النمسا	س ك	بناء سعد ١٦
ايمريش ـ آسمان	النمسا	س ك	مالك هيوتر وشرانز
بينيبارغ	النمسا	س ك	مشاريع بناء
البناء المعدني (لينهارد)	النمسا	س ك	ابنية معدنية، مصانع اسلحة كيميائية
نيوبرغر	النمسا	س ك	اجهزة استطلاع كيميائية
سواتيك وسرني	النمسا	س ك	معدات صحية
دلتا كونسولت	النمسا	س ك	الكترونيك، خطط مشاريع
دلتا سيستم	النمسا	ص	تصميم صواريخ وقذائف
بنك جيروزنترال	النمسا	ص	تمويل مختبرات اسلحة

هيوتر وشرانز	النمسا	ص	انشاء مختبرات اسلحة
ايلبو	النمسا	ص	جدران ضد العواصف، مصانع قذائف صاروخية
دانزل	النمسا	ص . س	طوافات م ب ب
هيرتنبرغ	النمسا	ص . س	شعائل شرارية وآلات جر
ستير ـ دملر ـ بوش	النمسا	ص . س	رصاص بمعادن غير حديدية
فويست ـ الين	النمسا	ص . س	هاوتزر جي سي ـ ٤٥
فيليبس بتروليوم	بلجيكا	س . ك	مبيع تيودي غليكول KBS
سياتا	بلجيكا	س . ك	بناء مصانع اسلحة كيميائية
مخازن البارود المتحدة	بلجيكا	ص	وقود للقذائف الصاروخية والصواريخ
امالغاميتد تريدنغ	بلجيكا	ص . س	مدفع عملاق
كوكريل	بلجيكا	ص . س	قطع غيار لمدفع عملاق
مصهر زيبروج هيرستال	بلجيكا	ص . س	قطع غيار لمدفع عملاق
سيكس كونستراكت	بلجيكا	ص . س	بناء قواعد جوية
سبيس ريزرش كوربوريشن	بلجيكا	ص . س	المقاول الاول للمدفع العملاق

افيبراس	برازيل	ص	برامج قذائف صاروخية
كومبان Inc	سويسرا	س . ك	انذار كيميائي
IFATكورليمتد	سويسرا	س . ك	تقنية سعد ١٦
كوندور بروجكت AG	سويسرا	ص	تصميم قذائف صاروخية
كونسن (Zug) SA	سويسرا	ص	تصميم قذائف صاروخية، قدمت ١٥٠ مهندس الكترون ومعلوماتية
ويستيك(Zug) A.G	سويسرا	ص	تصميم قذائف صاروخية
شوبلين	سويسرا	ن	وسائل لتركيبات نووية
شميد ميكانيكا	سويسرا	ن	تجميع نابذات
جورج فيشر	سويسرا	ص . س	قوالب صهر، آلات لتصنيع المدافع
سييس ريزرش	سويسرا	ص . س	شراء مدافع عملاقة
فون رول	سويسرا	ص . س	قطع مدفع عملاق
فوف VUF	سويسرا	ص . س	وساطة تمويل
WTB	مصر	س . ك	مراقب سعد ١٦

اوشم	فرنسا	س . ك	انذارات سارين
كاربون لورين	فرنسا	س . ك	وكيل حماية ثانوي
فيد اندوستريال	فرنسا	س . ك	وكيل حماية ثانوي
بيريب	فرنسا	س . ك	وكيل حماية ثانوي
بريفوست	فرنسا	س . ك	وكيل حماية ثانوي
بروتكت	فرنسا	س . ك	شريك كارل كولب، مواد لصناعة الانذارات «تابان» لمصنع سامّراء.
SVCM	فرنسا	س . ك	لوازم / مواد ثانوية للحماية.
ساجم	فرنسا	ص	نظم توجيه قذائف صاروخية
سبSEP	فرنسا	ص	محركات صواريخ، نضّاحات
SNPE	فرنسا	ص	وقود للصواريخ
فراماتوم	فرنسا	ن	وقود نووية للمفاعل اوزيراك
سان غوبان	فرنسا	ن	تقنية نووية
تكناتوم	فرنسا	ن	مفاعل نووي اوزيريس

اوزينور ـ ساسيلور	فرنسا		فولاذ خاص لمراكز الدفع
انترسباس	فرنسا	ص . س	آلات تصوير سريعة موجهة بالاشعة ما تحت الحمراءلأقمار المراقبة . (موجهة الى البرازيل)؟
تومسون CSF	فرنسا	ص . س	مصنع الكترونيك سعد ١٣
TESA	المانيا الفدرالية	؟؟	؟؟
جوزف كوهن	المانيا الفدرالية	س ب	ميكو توكسين، TH-2, T-2
انطون ايرل	المانيا الفدرالية	س ك	مختبرات متحركة للسموم
افياتست	المانيا الفدرالية	س ك	مركز أبحاث الديناميكا الهوائية على الصواريخ سعد١٦
BP	المانيا الفدرالية	س ك	ابحاث عسكرية
كارل زايس	المانيا الفدرالية	س ك	معدات لمختبرات الأسلحة الكيميائية ، سعد١٦
هربرغر Bau	المانيا الفدرالية	س ك	بناء مصنع اسلحة كيميائية
دويتش	المانيا الفدرالية	س ك	ابحاث عسكرية
IBI	المانيا الفدرالية	س ك	بناء، مشترى

اندوستري ورك	المانيا الفدرالية	س ك	آلات ، معدات ، غلاف لسلاح كيميائي
انفرا بلان	المانيا الفدرالية	س ك	مشروع ٩٢٣٠ غاز الاعصاب
ايفيكو	المانيا الفدرالية	س ك	شاحنة لمختبر متحرك
كارل كوب	المانيا الفدرالية	س ك	سعد١٦ ، معدات ابحاث اختبار، معدات بيولوجيا ، مقاول لمصانع اسلحة كيميائية لسامرّاء .
MBB	المانيا الفدرالية	س ك	لوازم مختبر سعد ١٦
بيلوبلنت (على طريق التصفية)	المانيا الفدرالية	س ك	معدات لمصنع سامرّاء .
بلانو كوف	المانيا الفدرالية	س ك	سموم
بروساغ	المانيا الفدرالية	س ك	معالجة المياه ، انشاءات سامرّاء
كاست	المانيا الفدرالية	ص . س	اغلفة مولدات لسارين
راين بايرن	المانيا الفدرالية	س . ك	مختبر متنقل للسموم
ريا ـ لابور تكنيك	المانيا الفدرالية	س . ك	نظام تنشق للابحاث في ميدان المواد السامة
سيغما شيمي	المانيا الفدرالية	س . ك	مؤثرات الاسلحة البيولوجية
سيغما شيمي	المانيا الفدرالية	س . ك	؟؟

فيت . أنجينيرنج	المانيا الفدرالية	ص . س	مؤشرات ، مصانع انتاج
WTB	المانيا الفدرالية	س ك	مصانع غاز الاعصاب
AEG	المانيا الفدرالية	ص	مواد تصنيع الاسلحة والذخائر
بلوهم ماشينبو	المانيا الفدرالية	ص	مساحق محكمة بالحاسب الالكتروني ، سعد ١٦
براون بوفري	المانيا الفدرالية	ص	الكترونيات
ديملر بنز	المانيا الفدرالية	ص	شاحنات
ديغوتا	المانيا الفدرالية	ص	ابحاث عسكرية سعد ١٦ ولوازم ومواد غير مصنفة لمصانع كيميائية
فريتز ويرنر	المانيا الفدرالية	ص	آلات ـ ادوات
غيلاستر (بروجكتا)	المانيا الفدرالية	ص	المقاول العام لبرنامج سعد١٦ ، نظّم وقدّم آلات ومعدات تجريب .
انتيغرال ـ سوير	المانيا الفدرالية	ص	مجموعة كونسن
انيفورماتيك (ICE)	المانيا الفدرالية	ص	صواريخ سعد ١٦ ، نظم
ليفلد	المانيا الفدرالية	ص	رؤوس صواريخ ناصر

M.A.N	المانيا الفدرالية	ص	قطع قاذفات، قذائف صاروخية
ماشينفابريك (رافنسبورغ)	المانيا الفدرالية	ص	آلات ـ ادوات
موسرّ ـ فارك	المانيا الفدرالية	ص	صواريخ سعد ١٦، ابحاث.
MBB	المانيا الفدرالية	ص	تدريب، تقنية، الكترونيك تجارب على القذيفة الصاروخية كوندور II
نيكل هامبورغ	المانيا الفدرالية	ص	علم المناخ، مصانع كيميائية
فريبورغ PSG	المانيا الفدرالية	ص	مجموعة كونسن، تصميم قذائف صاروخية
برومكس	المانيا الفدرالية	ص	وساطة، اسلحة كيميائية، قذائف صاروخية
راين ميتال	المانيا الفدرالية	ص	دافع قذائف صاروخية، البيت المركزي لآفياست / تادجي.
سيمانس	المانيا الفدرالية	ص	خالطات الكترونية لوقود الصواريخ، مخارط دقيقة، معدات لمعلوماتية التحكم، برامج لمركز تادجي، صالة خالية من الاصوات لسعد ١٦.
انترشونال (تريد كوسلتنغ)	المانيا الفدرالية	ص	الوكيل الثانوي الرئيسي لسعد ١٦، متعهد مواد مختبر لقذائف صاروخية واسلحة كيميائية.

ولدريش (سيغن)	المانيا الفدرالية	ص	آلات وادوات لمصانع قذائف صاروخية.
فيفهان	المانيا الفدرالية	ص	نظام سحب لقاذفات روكيت
فينس (تكنيك)	المانيا الفدرالية	ص	غرف باردة وساخنة
ديلنغر	المانيا الفدرالية	ن	فولاذ خاص لمراكز الدفع
اكسبورت (يونيون)	المانيا الفدرالية	ن	معدن لصنع غازات مدفوعة
فروستال	المانيا الفدرالية	ن	الوكيل الاول تادجي
H-H ميتالفورم	المانيا الفدرالية	ن	آلات تصفيح، معدات للمعلوماتية المدققة، تقوية المدافع، رصاص، بناءات قذائف صاروخية.
اينواغو	المانيا الفدرالية	ن	حلقات مغناطسية لمصانع تكثيف اليورانيوم، تطوير صاروخ سكود
KWU	المانيا الفدرالية	ن	تقنية لمركز المفاعل النووي
ليبولد A.G	المانيا الفدرالية	ن	تادجي، فرن مرتفع الحرارة، تذويب وسباكة
M.A.N تكتولوجي	المانيا الفدرالية	ن	وسطاء لـ H-H ميتالفورم
نوكيم	المانيا الفدرالية	ن	مشابك / مرشات لوقود محتوية على اليورانيوم.

سارستال	المانيا الفدرالية	ن	فولاذ للتصنيع بواسطة مراكز الدفع في تادجي
T ? V	المانيا الفدرالية	ن	تجارب على المواد، تادجي
A.B.Bمانهايم	المانيا الفدرالية	ص . س	قطع كهربائية لافران تادجي
بوديروس (فرع ميلدمول)	المانيا الفدرالية	ص . س	تقنية الصهر، تادجي
ديملر ـ بنز	المانيا الفدرالية	ص . س	عربات مراقبة
ديناميت نوبل	المانيا الفدرالية	ص . س	متفجرات
فون	المانيا الفدرالية	ص . س	وسائل نقل
هوشتيف	المانيا الفدرالية	ص . س	بناء، تادجي
كلوكنر	المانيا الفدرالية	ص . س	مولد بخاري فولاذي، مسبك ضاغط، قطع غيار لتادجي.
كروس ـ كويف	المانيا الفدرالية	ص . س	مواد غير مصنفة لمصنع اسلحة
لاسكو	المانيا الفدرالية	ص . س	وحدات انتاج اسلحة وذخائر
LOI نديستريو فينانلاغن	المانيا الفدرالية	ص . س	افران خاصة بالفولاذ المقوى (تادجي)
لودفيغ هامر	المانيا الفدرالية	ص . س	مواد غير مصنفة لمصانع اسلحة

M.A.Nرولاند	المانيا الفدرالية	ص . س	لوازم تجهيزات للنقل
مانسمان (دويسبرغ)	المانيا الفدرالية	ص . س	قطع المدفع العملاق
مانسمان ديماغ	المانيا الفدرالية	ص . س	لوازم صهر لتادجي
مانسمان ـ ريكسروت	المانيا الفدرالية	ص . س	قطع المدفع العملاق
ماربوس	المانيا الفدرالية	ص . س	وحدات انتاج اسلحة وذخائر
ماتوشكا	المانيا الفدرالية	ص . س	المركز الام لـ. ليكو ليفيلد وشركاه
م . ب . ب MBB	المانيا الفدرالية	ص . س	براءات لمتفجرات «وقود ـ هوائية»
رافنسبورغ	المانيا الفدرالية	ص . س	مقدح لصنع المدافع في تادجي
روهر غاز	المانيا الفدرالية	ص . س	تادجي
شيرمر ـ بليت ـ سيمبكلاسب	المانيا الفدرالية	ص . س	وحدات انتاج اسلحة وذخائر
شميت ، كرانتز	المانيا الفدرالية	ص . س	التحقق من المواد بالحاسب الالكتروني، تقوية أنابيب للمدافع
SMSهازنكليفر	المانيا الفدرالية	ص . س	مكبس للمصاهر في تادجي
T.B.Tتيفبوهرتكنيك	المانيا الفدرالية	ص . س	آلات ادوات ، تادجي

تيسن	المانيا الفدرالية	ص . س	؟؟
زوبلين	المانيا الفدرالية	ص . س	صهر الفولاذ، تادجي
دانغو ودينانتال	المانيا الفدرالية	ص . س	معالجة معادن في حالة ذوبان وانصهار، تادجي .
كوربر (مركز بلوم)	المانيا الفدرالية	ص	آلات ـ ادوات لسعد ١٦
معهد ادفانسد تكنولوجي	اليونان	س . ك	دراسات للمدفع العملاق
KBS	البلاد المنخفضة	س . ك	ثيودي غليكول
ملشيمي	البلاد المنخفضة	س . ك	مؤشرات كيميائية
ترانسبك إنديا	الهند	س . ك	تريونيل كلوريد
تيكو (رساميل المانية)	العراق	س . ك	تادجي (وسيط)؟
العربي	العراق	ص	وكيل الدولة مالكة TDG
اوسيدت	ايطاليا	س . ك	مؤشرات سارين
مونتيغيدون	ايطاليا	س . ك	مؤشرات «سارين» لميل شيمي
SNIA	ايطاليا	س . ك	مختبر سلاح كيميائي سعد ١٦
تكنيترول	ايطاليا	س . ك	مصنع غاز اعصاب

Saia Bpd	ايطاليا	ص	وقود صواريخ
اروماك	ايطاليا	ص	صاعق (كريترون)
Saia تكنيك	ايطاليا	ن	خلايا
بنك BNL	ايطاليا	ص . س	تمويل
دانيّلي	ايطاليا	ص . س	آلة تصفيح
ايلفا	ايطاليا	ص . س	لوازم فرن
ايلفا	ايطاليا	ص . س	مالك فوسين : قطع المدفع العملاق
سوسيتا دل فوسين	ايطاليا	ص . س	قطع المدفع العملاق
مينولتا	اليابان	ص . س	لوازم اعادة انتاج
ترانس تكنو	جيرسي	ص	مجموعة كونسن ، تكنولوجيا القذائف الصاروخية
كونسن للاستثمار	موناكو	ص	مجموعة كونسن ، تمويل
كونسن S.A.M	موناكو	ص	مجموعة كونسن ، تقنية القذائف الصاروخية
شيمادكس	بولونيا	ن	اشغال تصليح مصنع معالجة اليورانيوم
ان تل تريد كونسلتنك	اسبانيا	ص	وسيط لتقنية القذائف الصاروخية

كازا	اسبانيا	ص . س	طوفات د MBB
تريلان	اسبانيا	ص . س	مذراة فولاذية للمدفع العملاق
بوفور	سويد	ص	الكترونيك، قاذفات صواريخ.
كانيرا	بريطانيا	ص	مالك ٥٠٪ من TDG حاول شراء ليرفان
ماتريكس شرشيل	بريطانيا	ص	آلات ـ ادوات، مخارط دقيقة (رساميل عراقية)
Naar	بريطانيا	ص	رؤوس صواريخ
SRC	بريطانيا	ص	وصلات انابيب فانتور SRC/TDG حاول شراء كانيرا/ ليرجت (ايرلندا). عام ١٩٨٩، اشترى ماتريكس ـ سرشيل.
TMG للهندسة	بريطانيا	ص	شراء صواريخ وتقنيات، تمويل مصانع آلات وادوات
ترانستيكنو UK	بريطانيا	ص	مجموعة كونسن تقنية قذائف صاروخية
كونسارك للهندسة	بريطانيا	ن	فرن عالي الحرارة
استرا هولدينغز	بريطانيا	ص . س	قطع غيار المدفع العملاق
BSA	بريطانيا	ص . س	آلات ـ ادوات لمصانع اسلحة
ايغل تروست	بريطانيا	ص . س	مالك هالي سوين لوازم المدفع العملاق

غلوبال تكنيكال	بريطانيا	ص . س	تحديد المناجم تحت البحار
هاليسوين	بريطانيا	ص . س	قطع غيار للمدفع العملاق SRC
غلوبال تكنيكال	بريطانيا	ص . س	سبر المناجم، صواعق صوتية لمناجم تحمائية
اين تل هايواي ترانسبورت	بريطانيا	ص . س	نقل قطع المدفع العملاق
ميد انترناشيونال	بريطانيا	ص . س	آلات ـ ادوات
شيفلد	بريطانيا	ص . س	جذع للمدفع العملاق
ولتر سومرز	بريطانيا	ص . س	معدات مائية للمدفع العملاق
سنتر دينزز كونترول	الولايات المتحدة	س ب	فيروس حمّى النيل
الحداد تريدنغ	الولايات المتحدة	س . ك	مؤشرات سارين
الكولاك	الولايات المتحدة	س . ك	مؤشرات كيميائية
نوكرافت ميركاتيل	الولايات المتحدة	س . ك	مؤشرات كيميائية
كوربوريشن	الولايات المتحدة	س . ك	؟؟
لوموس (كرست)	الولايات المتحدة	س . ك	أوكسيد الأتيلين
الكترونيكس (اسوشيتد)	الولايات المتحدة	ص	حاسبات الكترونية لصاروخ R&D

هيولت (باكارد)	الولايات المتحدة	ص	حاسبات الكترونية لصاروخ B&D
ساينتيفيك (اطلنطا).	الولايات المتحدة	ص	حاسبات الكترونية لصاروخ B&D
ويلترون (كومباني)	الولايات المتحدة	ص	لوازم لحساب الكتروني، نظام تحليل لا توجيهي
XYZاوبشنز	الولايات المتحدة	ص	عناصر آلات وادوات كاربون
كونسارك	الولايات المتحدة	ن	افران عالية الحرارة
بنك BNL	الولايات المتحدة	ص . س	فرع في اطلنطا لـBNL الايطالي، تمويل
سنتريفوجال (كاستنك)	الولايات المتحدة	ص . س	آلات وادوات لجذع مدفع
سيتيكو	الولايات المتحدة	ص . س	تمويل عراقي
تيكترونيك .	الولايات المتخدة	ص . س	نهايات صورية لحسابات الكترونية
تكسرونيكس	الولايات المتحدة	ص . س	حاسبات لصواريخ B&D

ملحق

رسالة
نائب رئيس الوزراء، وزير الخارجية العراقي
إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية
بتاريخ ١٥ يوليو (تموز) ١٩٩٠

سيادة الأخ الشاذلي القليبي

الأمين العام لجامعة الدول العربية

تحية أخوية. . .

في بداية هذه الرسالة لابد من التذكير بالمبادىء التي يؤمن بها العراق والتي طبقها بكل أمانة وحرص في علاقاته العربية.

إن العراق يؤمن بأن العرب في كل أقطارهم أمة واحدة. . ويفترض أن يعم خيرهم الجميع وأن يستفيدوا منه، وإذا ما أصاب أحدهم ضرر أو أسى فأن هذا الضرر والأسى يلحق بهم جمعياً وأن العراق ينظر إلى ثروات الأمة على أساس هذه المبادىء. . وقد تصرف في ثروته منطلقاً من هذه المبادىء.

كما يؤمن العراق. . بأنه برغم ما أصاب الأمة العربية في العهد العثماني وبعده تحت ظل الاستعمار الغربي من شتى الوان التقسيم والهوان والاضطهاد ومحاولة فسخ الشخصية القومية، فان مقومات وحدة الأمة العربية ما تزال حية وقوية. . وأن الوطن العربي برغم انقسامه إلى دول هو وطن واحد وأن أي شبر من هذا الوطن هنا أو هناك في أرض هذا القطر أو ذاك ينبغي أن ينظر إليه من منظور الاعتبارات القومية وخاصة اعتبارات الأمن القومي العربي المشترك، كما ينبغي تجنب الوقوع في مهاوي النظرة الضيقة والأنانية في التعامل مع المصالح والحقوق لهذا

القطر أو ذاك. إن مصالح الأمة العربية العليا.. والحسابات الاستراتيجية العليا للأمن القومي العربي يجب أن تكون حاضرة دائماً كما يجب أن تكون المعيار الأول في التعامل في كل هذه المسائل بين الأقطار العربية.

على أساس هذه المبادىء القومية والأخوية المخلصة والصادقة تعامل العراق مع الكويت رغم ما هو معروف من حقائق الماضي والحاضر بالنسبة للكويت والعراق. والذي دعانا إلى كتابة هذه الرسالة.. اننا مع عميق الأسف بتنا نواجه الآن من جانب حكومة الكويت حالة تخرج عن إطار المفاهيم القومية التي ذكرنا.. بل تتناقض معها وتهددها في الصميم.. وتتناقض مع أبسط مقومات العلاقات بين الأقطار العربية.. إن المسؤولين في حكومة الكويت وبرغم مواقفنا الأخوية الصادقة في التعامل معهم في جميع القضايا، وبرغم حرصنا على مواصلة الحوار الأخوي معهم في كل الأوقات قد سعوا وبأسلوب مخطط ومدبر ومتواصل إلى التجاوز على العراق والإضرار به وتعمدوا إضعافه بعد خروجه من الحرب الطاحنة التي استمرت ثمان سنوات والتي أكد كل العرب المخلصين قادة ومفكرين ومواطنين، ومنهم رؤساء دول الخليج بأن العراق كان يدافع خلالها عن سيادة الأمة العربية كلها وخاصة دول الخليج ومنها بل وبصورة خاصة الكويت. كما سلكت حكومة الكويت هذه السياسة التي تتعمد إضعاف العراق في الوقت الذي يواجه فيه العراق حملة امبريالية صهيونية شرسة بسبب مواقفه القومية في الدفاع عن الحق العربي، تدفعها إلى ذلك مع الأسف دوافع أنانية ونظرة ضيقة وأهداف لم يعد ممكناً النظر إليها إلا على أنها مريبة وخطيرة. وفي هذا الشأن هنالك صفحتان رئيسيتان:

الأولى : من المعروف أنه منذ عهد الأستعمار والتقسيمات التي فرضها على الأمة العربية هنالك موضوع معلق بين العراق والكويت بشأن تحديد الحدود. . ولم تفلح الاتصالات التي جرت خلال الستينات والسبعينات في الوصول الذي حل بين الطرفين لهذا الموضوع حتى قيام الحرب بين العراق وإيران. . وفي أثناء سنوات الحرب الطويلة بصورة خاصة وفي الوقت الذي كان فيه أبناء العراق النشامى يسفحون دمهم الغالي في الجبهات دفاعاً عن الأرض العربية ومنها أرض الكويت وعن السيادة والكرامة العربية ومنها كرامة الكويت، استغلت حكومة الكويت انشغال العراق كما استغلت مبادئه القومية الأصيلة ونهجه النبيل في التعامل مع الأشقاء وفي القضايا القومية لكي تنفذ مخططاً في تجميد وتيرة الزحف التدريجي والمبرمج باتجاه أرض العراق فصارت تقيم المنشآت العسكرية والمخافر والمنشآت النفطية والمزارع على أرض العراق وقد سكتنا على كل ذلك واكتفينا بالتلميح والإشارات علها تكفي في إطار مفاهيم الأخوة التي كنا نعتقد أن الجميع يؤمنون بها. ولكن تلك الإجراءات استمرت وبأساليب ماكرة وإصرار يؤكد التعمّد والتخطيط.

وبعد تحرير الفاو، بادرنا ـ في أثناء مؤتمر قمة الجزائر عام ١٩٨٨ ـ إلى إبلاغ الجانب الكويتي برغبتنا الصادقة في حل هذا الموضوع في إطار علاقات الأخوة والمصلحة القومية العليا ولكننا وجدنا أنفسنا أمام حالة تثير الاستغراب الشديد. . فبرغم أن المنطق يفترض أن يفرح المسؤولون الكويتيون لهذه المبادرة الأخوية الكريمة من جانبنا وأن يعملوا لانجاز هذا الموضوع بسرعة، لاحظنا التردد والتباطوء المتعمدين من جانبهم في مواصلة المباحثات والاتصالات وإثارة تعقيدات مصطنعة مع الاستمرار في التجاوز وإقامة المنشآت البترولية والعسكرية والمخافر والمزارع على

الأراضي العراقية وقد صبرنا على هذه التصرفات بدواعي الحكمة والحلم .

وكان استعدادنا لمزيد من العمل كبيراً لولا انتقال الأمور إلى مستوى خطير لم يعد ممكناً السكوت عليه وهو ما سنتناوله في الصفحة الثانية والأكثر خطورة من الموضوع .

إن العراق يحتفظ بسجل كامل لهذا الموضوع يوضح بالوثائق والحيثيات كل التجاوزات التي قامت بها حكومة الكويت .

الثانية : بدأت حكومة الكويت ومنذ مدة أشهر، وبالتحديد منذ أن رفع العراق صوته عالياً يدعو بقوة إلى استعادة حقوق العرب في فلسطين وينبه إلى مخاطر الوجود الأميركي في الخليج ، بدأت بانتهاج سياسة ظالمة القصد منها هو إيذاء الأمة العربية وإيذاء العراق خاصة .

وفي هذا الجانب اشتركت حكومة الإمارات العربية المتحدة مع حكومة الكويت. فقد نفذت حكومتا الكويت والإمارات عملية مدبرة لإغراق سوق النفط بمزيد من الانتاج خارج حصتهما المقررة في الأوبك بمبررات واهية لا تستند إلى أي أساس من المنطق أو العدالة أو الانصاف. . وبذرائع لم يشاركهما فيها أي من الأشقاء من الدول المنتجة. . وقد أدت هذه السياسة المدبرة إلى تدهور أسعار النفط تدهوراً خطيراً. . فبعد التدهور الذي حصل قبل سنوات في السعر، من المعدلات العالية التي كان قد بلغها وهي ٢٤، ٢٩، ٢٨ دولاراً للبرميل الواحد، أدت تصرفات حكومتي الكويت والإمارات إلى انهيار سعر الحد الأدنى المتواضع الذي تم الاتفاق عليه في الأوبك أخيراً وهو ١٨ دولاراً للبرميل إلى ما بين ١١ ـ ١٢ دولاراً للبرميل. وبعملية حسابية بسيطة

يمكننا أن نقدر مقدار الخسائر الباهظة التي لحقت بالدول العربية المنتجة للنفط .

أولاً: إن معدل انتاج الدول العربية من النفط هو ١٤ مليون برميل في اليوم وأن تدهور الأسعار في الفترة الواقعة بين ١٩٨١ ـ ١٩٩٠ قد أدى إلى خسارة الدول العربية بحدود ٥٠٠ مليار دولار، كانت حصة العراق منها خسارة ٨٩ مليار دولار. ولو أن العرب جميعاً لم يخسروا هذه المبالغ الهائلة ووفرنا نصفها للتنمية القومية ولمساعدة البلدان العربية الفقيرة لحققنا تقدماً هائلاً في التنمية القومية وأسعدنا الفقراء من أبناء أمتنا. . ولكان وضع الأمة أقوى وأكثر رفاهاً وتقدماً مما هو عليه الآن.

إذا اعتمدنا الحد الأدنى للأسعار كما قررته الأوبك عام ١٩٨٧ وهو ١٨ دولاراً للبرميل، فأن خسارة الدول العربية خلال الفترة من ١٩٨٧ ـ ١٩٩٠ بسبب تدهور هذا السعر تبلغ حوالي ٢٥ مليار دولار.

ثانياً: أن نقص كل دولار من سعر النفط يؤدي إلى إلحاق خسارة بالعراق تبلغ مليار دولار سنوياً. ومن المعروف ان السعر قد انخفض هذه السنة عدة دولارات عن سعر ١٨ بسبب سياسة حكومتي الكويت الإمارات، مما يعني خسارة العراق لعدّة مليارات من دخله لهذه السنة في الوقت الذي يعاني فيه العراق من ضائقة مالية بسبب تكاليف الدفاع الشرعي عن أرضه وأمنه ومقدساته وعن أرض العرب وأمنهم ومقدساتهم طيلة ملحمة الثمان سنوات. إن هذه الخسائر الجسيمة من جراء تدهور اسعار النفط لم تصب الدول العربية المنتجة للنفط وحدها. . وانما اصابت بنتائجها الدول الشقيقة الأخرى التي كانت تتلقى المعونات من اخواتها الدول العربية المنتجة للنفط. . فقلّت امكانات الدعم بل توقفت

في بعض الحالات كما تدهورت ايضاً أوضاع مؤسسات العمل العربي المشترك وعانت الأزمات وهي الآن في اصعب الظروف ، لهذا السبب أو لاتخاذ ذلك ذريعة لتقليل أو ايقاف المساعدات والدعم لمؤسسات العمل العربي المشترك.

وقد أضافت حكومة الكويت الى هذه الاساءات المتعمدة إساءة اخرى مستهدفة الإضرار بالعراق بالذات. فقد نصبت منذ عام ١٩٨٠ وخاصة في ظروف الحرب منشآت نفطية على الجزء الجنوبي من حقل الرميلة العراقي وصارت تسحب النفط منه. ويتضح من ذلك انها كانت تغرق السوق العالمي بالنفط الذي كان جزءاً منه هو النفط الذي تسرقه من حقل الرميلة العراقي وبهذا تلحق الضرر المتعمد بالعراق مرتين. . مرة باضعاف اقتصاده وهو احوج ما يكون فيه الى العوائد ومرة اخرى بسرقة ثروته. وتبلغ قيمة النفط الذي سحبته حكومة الكويت من حقل الرميلة فقط بهذه الطريقة المنافية لعلاقات الأخوة وفقاً للاسعار المتحققة بين ١٩٨٠ ـ ١٩٩٠ ـ (٢٤٠٠) مليون دولار.

واننا نسجل امام جامعة الدول العربية وامام الدول العربية كلها حق العراق في استعادة المبالغ المسروقة من ثروته وحق العراق في مطالبة المعنيين باصلاح التجاوز والضرر الذي وقع عليه.

لقد سبق ان شرحنا مخاطر سياسة حكومتي الكويت والامارات لأخوتنا في الدول العربية المنتجة ومنهم الكويت والامارات مرات عديدة. . وشكونا. . وحذرنا. . وفي قمة بغداد تحدث السيد الرئيس صدام حسين حول هذه المسألة أمام الملوك والرؤساء والأمراء وبحضور المعنيين بصراحة وبروح أخوية (ونرفق طياً نص حديث سيادته حول

الموضوع في مؤتمر قمة بغداد). وكنا نتصور وخاصة بعد الاجواء الأخوية الايجابية التي تحققت في قمة بغداد ان حكومتي الكويت والامارات سترعويان عن هذا النهج ولكن الحقيقة المؤلمة هي أن كل ما قمنا به من مساع ثنائية ومن اتصالات مع دول شقيقة لتلعب دوراً إيجابياً في ثني حكومتي الكويت والامارات عن هذا النهج وبرغم حديث السيد الرئيس صدام حسين في قمة بغداد فقد تعمّدت هاتان الحكومتان مواصلة هذه السياسة واستمرتا فيها بل إن بعض المسؤولين فيهما اطلقوا تصريحات وقحة عندما ألححنا الى هذه الحقائق وشكونا منها. لذلك لم يبق هناك أي مجال لاستبعاد الاستنتاج بأن ما فعلته حكومتا الكويت والامارات في هذا الشأن انما هو سياسة مدبرة تستهدف اهدافاً خفية. ومع ادراكنا بأن هذه السياسة التي أدت الى انهيار اسعار النفط تضر في المحصلة النهائية باقتصاد هذين البلدين نفسيهما . . فلم يبق امامنا غير ان نستنتج بان من تعمد هذه السياسة بصورة مباشرة ومكشوفة أو من آزرها أو دفع اليها، انما ينفذ جزءاً من المخطط الامبريالي ـ الصهيوني ضد العراق وضد الأمة العربية خاصة في التوقيت الذي جاءت فيه وهو ظروف التهديد الخطير من جانب اسرائيل والامبريالية الذي يتعرض اليه الوطن العربي عامة والعراق خاصة، اذ كيف يمكن لنا ان نواجه هذا التهديد الخطير ونحافظ على التوازن في القوة الذي حققه العراق بأغلى التكاليف وهو الذي عانى ما عانى من الخسائر في اثناء الحرب مع انهيار مورد العراق الأساسي وموارد الدول العربية المصدرة للنفط وهي العراق، السعودية، قطر، عمان، اليمن، مصر، سورية، الجزائر وليبيا؟!

هذا فضلاً عما تؤدي اليه هذه السياسة المريبة من إضعاف قدرة هذه الدول العربية على مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة التي

تعاني منها وهي مشكلات ذات طبيعة مصيرية . . فإلى أي مصير تريد حكومتا الكويت والامارات ان تجرّا الأمة العربية؟! . . في هذا الظرف الصعب الدقيق والخطر؟!. وسياسات من وأهداف من تريدان إرضاءهما؟!.

إنّا . . وبعد أن أوضحنا هذه الأمور لكل الأشقّاء وبعد أن طلبنا مباشرة من هاتين الحكومتين الكف عن هذه السياسة الظالمة والمدمرة وشرحنا لهما ما نتعرض إليه من أضرار كبيرة . . قبل قمة بغداد وفي اثناء القمة . . وبعدها . . وأرسلنا المبعوثين وكتبنا الرسائل . . لذلك فإننا ندين ما فعلته حكومتا الكويت والامارات بالعدوان المباشر على العراق فضلاً عن عدوانهما على الأمة العربية .

اما بالنسبة لحكومة الكويت فإن اعتداءها على العراق هو اعتداء مزدوج فمن ناحية تعتدي عليه وعلى حقوقه بالتجاوز على أراضينا وحقولنا النفطية وسرقة ثروتنا الوطنية . . وإن مثل هذا التصرف هو بمثابة عدوان عسكري .

ومن ناحية اخرى تتعمد حكومة الكويت تحقيق انهيار في الاقتصاد العراقي في هذه المرحلة التي يتعرض فيها الى التهديد الامبريالي الصهيوني الشرس وهو عدوان لا يقل في تاثيره عن العدوان العسكري .

اننا اذ نعرض هذه الحقائق المؤلمة امام الاشقاء العرب فاننا نأمل ان يرفع الاشقاء صوتهم عالياً لوضع حد لهذا العدوان المتعمد المدبر ولكي ينصحوا المنحرفين للعودة الى السلوك السوي الذي يأخذ بالاعتبار المصلحة القومية المشتركة ومتطلبات الأمن القومي المشترك .

ثالثاً: وبمناسبة الحديث عن المصالح القومية العليا وارتباط الثروة العربية بمصير الأمة العربية نطرح مقترحاً كالتالي:

ـ لو تضامنت كل الدول العربية المنتجة وغير المنتجة تضامناً سياسياً متيناً واتفقت على العمل على رفع سعر النفط الى ما يزيد عن ٢٥ دولاراً ثم اقامت صندوقاً للمعونة والتنمية العربية على غرار ما اتفق عليه في قمة عمان على ان يموّل هذا الصندوق بدولار عن كل برميل نفط تبيعه الدول العربية المنتجة باكثر من سعر ٢٥ دولاراً فان المبلغ الذي سيتحقق لهذا الصندوق هو ٥ مليارات دولار سنوياً في نفس الوقت الذي تتحقق فيه زيادات كبيرة في مداخيل الدول المصدرة للنفط، لأن التضامن العربي الجماعي الذي يفترضه هذا السعر المنصف يزيد من مدخولاتها المالية ويحميها من المحاولات العدائية التي تستهدف إضعاف القوة العربية من خلال إضعاف مواردها من الثروة البترولية.

ويمكننا ان نتصور كيف ان مبلغاً ثابتاً كهذا سيعزز الأمن القومي العربي ويوفر امكانات نمو لكل الدول العربية ويمكّنها من مواجهة الضائقة الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها اغلب دولنا.

ان العراق يطرح هذا المقترح للدراسة الجادة وقد يكون مؤتمر القمة العربي القادم في القاهرة مناسبة لبحث هذا المقترح واقراره.

رابعاً: ولمناسبة الحديث عن هذه الحقائق المؤلمة نرى من الضروري ان نوضح اللبس الذي ربما يكون موجوداً لدى بعض الاشقاء حول موضوع (المساعدات) التي قدمتها الكويت والامارات للعراق اثناء الحرب.

لقد اجمع العرب المخلصون في كل الوطن العربي على ان الحرب التي اضطر العراق الى خوضها لم تكن للدفاع عن سيادته فحسب وإنما كانت دفاعاً عن البوابة الشرقية .

اننا نضع هذه الحقائق المؤلمة أمام ضمير كل عربي شريف وفي المقدمة منهم شعب الكويت الشقيق لكي يقدروا الألم والضرر والأذى الذي أصابنا ويصيبنا .

أرجو سيادة الامين العام توزيع هذه الرسالة على الدول العربية . .

مع اطيب التحيات والتمنيات .

طارق عزيز

نائب رئيس الوزراء

وزير خارجية الجمهورية العراقية

بغداد في ٢٣ / ذي الحجة / ١٤١٠ هـ

الموافق ١٥ / تموز ١٩٩٠ م

ليلة الثاني من آب عام ١٩٩٠ ، هي الليلة الأكثر إثارة في هذا العصر. ذلك أنه بين منتصف الليل وبزوغ الفجر، هب رؤساء الدول في العالم من أسرتهم مذعورين، لخبر يقول: العراق يقوم باحتلال الكويت.

بيار سالينجر، متحدث سابق باسم البيت الأبيض، ومراسل رئيس لشبكة التلفزة الأميركية ABC في أوروبا، والشرق الأوسط، كذلك إريك لوران، المحرر الصحفي الكبير، يرويان سوية جميع الملفات السرية لصراع وضع العالم كله على حافة الهاوية.

في هذا الكتاب، ندخل معهما إلى حصن صدام حسين، ونسمع معهما أوامر بوش داخل قاعدة قيادة قوات التدخل الأميركية، ونحضر معهما العشاء الأخير الذي أقامه ملك المملكة العربية السعودية لمصالحة الاخوة الأعداء.

وبعد الاجتياح بثلاثة أيام، نكون معهما في مكتب الرئيس العراقي، الذي بذل جهدا كبيرا في طمأنة المبعوث الأميركي.

ويوما بعد يوم، نرى كيف انكشفت كل التقلبات، والتحولات، والثارات، واللقاءات الخفية، والرقصات الدبلوماسية، وكأن التاريخ كله يُصنع تحت أعيننا، ونحن ننزلق نحو حرب لا أحد يظنها ممكنة.